

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة: تاريخ



الخطاب الصوفي للطرق الصوفية في الجزائر وبلاد المغرب
خلال العهد العثماني
الطريقة التيجانية - نموذجاً.

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد مكحلي

إعداد الطالب الباحث:

الهادي عبد العزيز

رئيساً	جامعة سيدي بلعباس	أ.د هلايلي حنفي
مشرفاً ومقرر	جامعة سيدي بلعباس	أ.د محمد مكحلي
مناقشا	جامعة سيدي بلعباس	د. محمد الزين
مناقشا	جامعة وهران 1 أحمد بن بلة	أ.د محمد دادة
مناقشا	جامعة وهران 1 أحمد بن بلة	د.بن عمر حمدادو
مناقشا	جامعة وهران 1 أحمد بن بلة	أ.د خليفي عبد القادر

السنة الجامعية : 2016-2017/1437-1438

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

الحمد لله والشكر أن يسّر لي وأعاني على إتمام هذا البحث وقوفا عنده صلى الله عليه وسلم

«لا يشكر الله من لا يشكر الناس» (رواه أحمد وأبو داود والبخاري في صحيحه)

اتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور : محمد مكلي المشرف على هذا العمل بالتوجيه والنصح والإرشاد.

كما أتقدم بخالص الشكر والاحترام إلى الدكتور " مختار بونقاب " الذي دعمني والشكر الجزيل إلى كل من أعاني من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل





إهداء

إلى سندي في الحياة والداي الكريمين
إلى زوجتي التي ساندتني في الأفراح والأقراح ووالديها الكريمين
إلى أبنائي : حفظهم الله ورعاهم وإلى أخي وأختي العزيزين
إلى كل من علمني حرفا
إلى كل طلبة العلم
أهدي ثمرة هذا الجهد



قائمة المختصرات

باللغة العربية:

ت.ت: تحقيق وتعريب

تر: ترجمة

ج : الجزء

د . ت : دون تاريخ

د.م.ج : ديوان المطبوعات الجامعية

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

ش.و.ن.إ : الشركة الوطنية للنشر والإشهار

ط : الطبعة

ع : العدد

م .و.ك : المؤسسة الوطنية للكتاب

B. N .A : Bibliothèque Nationale Algérienne

E .N .L : Entreprise Nationale Du Livre

Édit : Éditeur

Imp. : Imprimerie

O.P.U : Office des publications universitaires

P.U.F : Presse Universitaire De France

PUB : Publier

R.A : Revue Africaine

R.H : Revue Historique

R.S.A.C : Recueil Des Notices et Mémoire De La Société Archéologique De
La Provence De Constantine

Trad : Traduction

مقدمة

يحتاج البحث في تاريخ التصوف الإسلامي إلى طرق ومواضيع جديدة للكشف عن جوانب لا يزال الغموض يكتنفها، خصوصا في مجالات التأليف الصوفي وماله من تأثير على صنع الأحداث وتطورها عبر التاريخ، وباعتباره -أيضا- أحد العناصر المحددة في تشكيل ذهنيات المجتمع المغربي.

وعلى الرغم من اهتمام الباحثين المعاصرين بهذا النوع من المواضيع، إلا أننا نحسب أنه لم يحظ بعد بالاهتمام الكافي الذي يستحقه، وذلك راجع فيما نظن إلى اعتباره من اختصاص السوسيولوجيين والأنثروبولوجيين أكثر من المؤرخين على اعتبار أن اهتمام المؤرخين ينصب على التاريخ السياسي وأحداثه الكبرى. بينما نرى أن تاريخ المجتمعات المغربية وفكرها الصوفي من أخصب حقول البحث لدارس التاريخ، ونتائج التنقيب فيه قد تصح مجموعة من "الأخطاء" كانت إلى عهد قريب تعد شبه "مسلمات" لا يرقى إليها الشك .

من هذا المنطلق يحاول بحثنا تقديم مساهمة في إبراز جزء من التطور الديني والفكري للمجتمع المغربي من خلال تتبع المجهودات التي بذلها رجال التصوف لإقرار مشربهم وتوطينه في المجتمع وبالتالي مساهمتهم في صياغة الفكر الصوفي .

أهمية الموضوع:

يعتبر التصوف في فترة المدروسة أي خلال القرنين (17-18) الميلاديين المحرك الحقيقي للمجتمع الإسلامي، من خلال عدة مستويات: دعوة وإقناعا، وتنظيرا وتقييدا،

وتنظيماً وتأطيراً، في حركية واعية لا متناهية لرجالات التصوف بدأت تبلورها "كفئة ذات خصائص مميزة"، وأخرجت شطأها واستغلظت طيلة القرنين السادس والسابع، واشتد عودها واستوت على سوقها في القرنين الثامن والتاسع، لتغدو في القرون اللاحقة: الملاذ الروحي الأمل للمجتمعات الإسلامية، والإطار التنظيمي الأقوى له، ويكون لها بالتالي الدور المحدد في الحراك الاجتماعي، لا نزال نشاهد أثره القوي حتى الآن مما جذب انتباه نخبة من الباحثين، كل من موقع تخصصه، وبحسب توجهه وأدواته للنش في تاريخ الصوفية "الشائك" باعتبار التصوف ظاهرة مجتمعية متطورة متجددة مما يجعلها عصية على التحليل العلمي، لا يكون خائض غمارها إلا على غرر من استنتاج خلاصة، أو إصدار حكم قد يصدق على مجموعة أو فترة دون أخرى. ومن جهته يحاول هذا البحث دراسة الخطابات العديدة لفئة الصوفية داخل المجتمع فكراً وعملاً، تنظيراً وتنزيلاً في تفاعلاتها مع فئة العلماء والسلطة السياسية باعتبار فئتي الصوفية والعلماء قوتين متكاملتين من الناحية النظرية يشتركان في المنطلقات، ويتقاربان في الأساليب والوسائل.

وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع والموسم ب: " الخطاب الصوفي للطرق الصوفية في الجزائر وبلاد المغرب من الوجود العثماني إلى الاحتلال الأوربي -الطريقة التيجانية نموذجاً-" حاولنا من خلال هذا البحث رصد وتحليل واقع فترة من الفترات الحاسمة من تاريخ بلاد المغرب. كما حاولنا تتبع العلاقة بين الصوفية والسلطة وتطورها عبر مختلف أقطارها وبالخصوص الجزائر وما أفرزته من خطابات، والتعايش الحذر الذي

كان سائدا بينهما والذي يختص كل منهما بمميزات خاصة تمنحه شخصيته واستقلاليته. إن محاولة التركيز على المشروع الإصلاحى الذى اعتمده رجالات الصوفية خاصة من السنوسية والتيجانية وكذى شيخ الاسلام كل على نمطه، وإماطة اللثام عن أهم خصائصه وملامحه وأبرز توجهاته لم يقلل من اهتمامه بأدوار كل من السلطة والعلماء، لاعتقادنا أن التقاطعات والتجاذبات بين هؤلاء الفاعلين هي التي شكلت التاريخ الديني والاجتماعي والسياسي لبلاد المغرب. يهدف البحث إذن إلى محاولة القيام بدراسة تحليلية تطويرية للحركة الصوفية ببلاد المغرب في العصر الحديث أي إبان التواجد العثماني بالمنطقة من خلال خطاباتها، ومحاولة التعرف على المجهود الذي بذله رجال التصوف لنشر مشربهم، وطرقهم التعليمية التي عمدوا إليها والاختيارات التي أقروها والنتائج التي أفضت إليها هذه الاختيارات على المستويات الفكرية والاجتماعية والسياسية.

ومن هذه الاشكالية نستطيع طرح بعض التساؤلات:

- ما هي أهم الأحداث التي أحاطت بالخطاب الصوفي في فترة الدراسة الداخلية منها والخارجية؟

- ما مدى قوة الخطاب الصوفي وكيف سعت السلطة المركزية إلى استغلاله لصالحها؟

- كيف تمكن الخطاب الوهابي من الوصول إلى بلاد المغرب وما هي ردة فعل العلماء؟

- ما هي أهم المؤثرات التي خضع إليها الخطاب الصوفي؟

-كيف تطور خلال فترة الدراسة وكيف كانت مساهماته في خلق التوازن بين السلطة

والعامة؟

-كيف ظهرت الطريقة التيجانية ومن هو أحمد التيجاني؟

-ما هي أهم الخصائص التي ميزت الخطاب التيجاني؟

-ما هي أهم المسائل التي أثارت الجدل؟

-ما هي أهم ردود فعل التيجانيين من خلال تأليفهم؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على منهج البحث التاريخي التحليلي والذي يقوم

على الاسترداد والرجوع إلى الحقائق التاريخية بالدراسة والتحليل والتفسير لكشف الحقيقة ونزع

الالتباسات، لأن الخطاب الصوفي يستلزم وضعه في سياقه التاريخي حتى يسهل فهمه،

وكذى الاهتمام بالمفردات الصوفية ومصطلحاته التأويلية، التي يسعى الصوفي من خلالها

التقرب إلى الحق.

أسباب اختيار الموضوع:

يعتبر هذا البحث مساهمة منا في تسليط الضوء على جانب من جوانب تراثنا الزاخر

وقد جاء اختيارنا على هذا الموضوع نتيجة أسباب موضوعية وذاتية أبرزها:

الأسباب الذاتية:

- الرغبة الذاتية في التعمق لدراسة الفكر الصوفي من حيث المعتقدات وجوانبه الأخرى التي جعلت من التصوف ميدانا علميا بالغ الأهمية والذي اصطبغت به حياة العام والخاص السياسية منها والثقافية والاجتماعية وحتى الاقتصادية.
- تتمة لما قمنا به في دراستنا لمذكرة الماجستير حول أحمد التيجاني ونشر طريقته في إفريقيا جنوب الصحراء.

الأسباب الموضوعية:

- بعد اطلاعنا على مجموعة معتبرة من المصادر المراجع والدراسات الأكاديمية حول موضوع التصوف عامة وبالخصوص الطريقة التيجانية وجدنا أن الاهتمام بالجانب التاريخي يخص الأحداث فقط دون التعمق في خصوصيات التصوف الحساسة نوعا ما.
- اهتمت الدراسات التي قدمت حول الخطاب الصوفي على الجانب الأدبي ولم نجد دراسات تاريخية تتحدث عن الخطاب الصوفي وخاصة الخطاب التيجاني.
- هذه الأسباب وغيرها كانت الدافع والمحرك الذي دفعنا قدما نحو المضي في حيثيات الموضوع وتقصي الأخبار ومعرفة كل صغيرة وكبيرة والتنقيب عن المستور ولم يكن ذلك ممكنا لولا استعانتنا بمؤلفات نعتبرها السند الأساسي في دراستنا وسنذكر منها ما يلي:

المصادر:

المصادر الصوفية:

- "الرسالة القشيرية" للقشيري عبد الكريم ت(465هـ-1072م) حاول من خلال هذا المؤلف التأسيس لعلم التصوف وفق الكتاب والسنة مهتد بالعلماء الريانيين والعارفين من أهل السنة ومحاولة لكبح جماح خيال المتصوفة الفياض. وقد استفدت منه في تحديد مفاهيم بعض المصطلحات الصوفية.

- "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي(450-505هـ/1085-1111م) وهو موسوعة شاملة على كل ما يخص المسلم في أمور دينه فهو يرتقي بهذا العمل إلى العلم التطبيقي فيخرج المسلم من الجمود إلى العمل السلوكي وقد أفادني في شرح المصطلحات وتفسير بعض المسائل التربوية والتي أفادنتي خاصة في ما يتعلق بالتربية الصوفية وتحديد مفهومها الإسلامي الصحيح.

- "اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي" أبو نصر سراج الطوسي(378هـ-988م) الذي أشار في مؤلفه إلى تنامي ظاهرة التصوف وكثرة الذين انتسبوا إلى التصوف دون علم ولا تفقه في الدين كما أنه أشار إلى الشيوخ الأوائل الذين حذروا من هؤلاء، فالكتاب كان نوعاً من الأعمال لإرساء قواعد التصوف. استعنت بهذا الكتاب

- "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" لعبد الكريم الفكون(988-1073هـ/1580-1663م) تحقيق سعد الله أبو القاسم عرفنا هذا الكتاب بما كان سائداً في فترة من فترات الحكم العثماني والذي كثر فيه الدجل والتصوف الزائف والعلماء المنقادون للحكام فقد فضحهم من خلاله. منحني هذا المؤلف لمحة عن

الوضع السائد في تلك الفترة الزمنية بالتالي تعرفت من خلاله عن المنهج الصحيح الذي عمل به الشيخ الفكون في دعوته إلى العودة إلى الكتاب والسنة.

الصوفية التيجانية:

- "جوهر المعاني وبلوغ الأمانى في سيدي أبي العباس التيجاني"، لصاحبه علي حرازم برادة الفاسي وهو من إلماء الشيخ أحمد التيجاني وهو المصدر الأول في الطريقة التيجانية وهو عبارة عن كتاب جامع لأقوال وأعمال الشيخ، وقد حالفني الحظ أني اطلعت على نسخته المخطوطة الموجودة بالمكتبة الوطنية الجزائرية. وقد استفدت منه في تحديد الخطاب التيجاني وآلياته التواصلية
- "زماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم" لمؤلفه عمر الفوتي(1210هـ-1795/1280-1864م)وهو في هامش المؤلف السابق وقد تحصلت على نسخة منه من المكتبة البلدية بولاية معسكر بمساعدة أستاذي مختار بونقاب. هو من أهم المصادر التيجانية والتي أفادنتني في تعميق فهمي للخطاب التيجاني.
- "أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه" لمؤلفه عبد الباقي مفتاح وهو مرجع يتعرض فيه عن سيرة أحمد التيجاني وأتباعه الذين قاموا بنشر طريقته في أنحاء العالم. تعرفت من خلاله على أهم المراحل التي خطتها الطريقة التيجانية صعودا نحو العالمية كما أنه كان سندا لي في كثير من المسائل المتعلقة بأتباع الطريقة.

الدراسات السابقة الأكاديمية:

- "تحليل الخطاب الصوفي(في ضوء المناهج النقدية المعاصرة)" تأليف آمنة بلعلى وهو عبارة عن دراسة أكاديمية أدبية تناولت الخطاب الصوفي من حيث إنتاجه النثري بمنهج علمي حديث مثيرا قضايا فلسفية كالحلول ووحدرة الوجود والفناء والحقيقة الأحمدية... الخ. أعتبره من أهم الدراسات الأكاديمية حول الخطاب الصوفي أما الاستفادة منه تمثلت في تحديد بعض المفاهيم الصوفية لما فيها من الرمزية.

- "الخطاب الصوفي وإشكالاته التواصلية-الطريقة التيجانية نموذجاً"- وهي رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب واللغة العربية تخصص علوم اللسان العربي جامعة محمد خيضر بسكرة وقد اهتمت هذه الدراسة بالجانب المعرفي والسلوكي كما تناولت أهم المسائل التي أثارت الجدل في أوساط علماء الوهابية وانتقاداتهم. وقد استفدت منه في مسائل منهجية وتحديد بعض المفاهيم اللغوية المتعلقة بالخطاب.

وهناك مراجع أخرى متنوعة باللغتين العربية والفرنسية ومقالات رجعنا إليها حتى يتعمق الفهم.

قسمنا دراستنا إلى مقدمة ومدخل وقسمين، قسم تعلق بدراسة الخطاب الصوفي في بلاد المغرب والقسم الآخر اهتم بدراسة الخطاب التيجاني، وقد جاء هذه البحث مرتبا على النحو

التالي:

المدخل كان بعنوان " الخطاب(تأسيس وتنظير)" حددنا فيه مصطلح الخطاب من حيث التعريف اللغوي والاصطلاحي ومن حيث مفهومه عند العرب والغربيين كما تطرقنا لتحليل الخطاب لأهميته البالغة في تفسير الرمزية التي تغلب نصوص المتصوفة فتكلمنا عنه من حيث التعريف اللغوي والاصطلاحي. خصصنا في الجزء الثاني للخطاب الديني من حيث المفهوم ومنه أهمية الخطاب الديني الاسلامي والآليات المتحكمة في الخطاب الديني وكذا أنواع الخطاب الديني الاسلامي. وقد استعملنا في هذا التدرج أسلوب الانتقال من الكل إلى الجزء وقد أنهينا حديثنا بالكلام عن الخطاب الصوفي (الطريقي) من حيث كذلك المفهوم والخصائص وكيف نشأ هذا الخطاب وتطور وكيف تدرج في مراحل له إلى أن أصبح علما ثم خالصنا إلى علاقة التصوف بالفلسفة والفقهاء.

القسم الأول عنوانه ب: " الخطاب الصوفي للطرق الصوفية في الجزائر وبلاد المغرب"

قسمناه إلى ثلاث فصول كما يلي:

الفصل الأول تضمن: " حركية الخطاب السياسي ببلاد المغرب في العهد العثماني"

وقع اختيارنا على هذا العنوان لأهمية الحراك السياسي الذي ساد المنطقة أثناء الفترة العثمانية والذي غذى الطرق الصوفية فنمت وترعرعت في ظله، فبدأنا بالأحداث الخارجية التي عرفت تطورات خطيرة انعكست على الوضع الداخلي لبلاد المغرب ككل والجزائر خاصة فظهور الوهابية كان نتيجة تزدى الوضع الاجتماعي والديني في المجتمع الاسلامي وما له من التأثيرات الملموسة على الوضع الداخلي، فارتأينا أن نتناول موضوع الوهابية

وردود أفعال علماء بلاد المغرب ازاء هذا الخطاب الديني الجديد والذي بات يهدد استقرار الوضع في البلاد الاسلامية. كما عرجنا على حملة نابليون على مصر وأوضاع الدولة العثمانية التي بائت تضعف أمام النهضة الأوربية التي تنامت خلال (ق 18م). ثم تطرقنا إلى الأوضاع السياسية الداخلية وخصصنا بالذكر أوضاع تونس والجزائر والمغرب كون أن حلقة التواصل بينهما كانت ديناميكية وباعتبار الجزائر الجزء المشترك في هذه الحلقة وأن للمتصوفة كلمتهم ووزنهم في هذا الحراك السياسي وأهم تطورات العلاقة بين هذه الأقطار. وفي آخر الفصل تكلمنا عن الخطاب السياسي التواصلي وأهم القضايا التي طفت على السطح.

الفصل الثاني فخصصناه للحديث عن "مظاهر الخطاب الصوفي ببلاد المغرب" وقد جزءناه إلى جزئين الأول كان للخطاب الطريقي بين الدين والعبادة والطريقة وتكلمنا فيه عن التأثيرات المختلفة التي عرفها التصوف أثناء انتشاره ببلاد المغرب خلال الفترة العثمانية وأهم العوامل المساعد على انتشاره، وتطرقنا إلى بعض الطرق الصوفية المهيمنة وكيف أصبح للشيخ قوة روحية أقرها له الخطاب الجهادي.

الفصل الثالث تطرقنا فيه إلى "الطرق الصوفية وماهية الخطاب الصوفي" قسمناه إلى ثلاثة أجزاء. أولاً تكلمنا عن العلاقة بين السلطة والمتصوفة كمثل للسلطة الروحية بالمنطقة ثم تكلمنا عن الخطاب الطريقي وحركة التواصل الاجتماعي وتمثلت في العلاقة المهمة بين الوضع الاجتماعي والدور المنوط بالمؤسسات الصوفية في هذه المجالات وكذى حركة

التأليف والمؤلفين ثم توقفنا في آخر الفصل عند الخطاب الاصلاحى الذى قاده الشيخ عبد الكرىم الفكون وكتابه "منشور الهداية..."

القسم الثانى بعنوان: "حركة التواصل فى الخطاب الصوفى الطريقة التيجانية -

نموذجاً- " قسمناه إلى ثلاث فصول، الفصل الأول تكلمنا فىه عن الطريقة التيجانية من حيث التعريف بصاحب الطريقة، نشأتها مبادئها وخصائصها ثم نشر الطريقة من حيث جهود الشيخ ومن تلاه من المقدمين وأخيراً موقف التيجانية من السلطة العثمانية.

الفصل الثانى عنوانه "مكونات الخطاب فى الطريقة التيجانية" بدأنا فىه بخصوصيات

الطريقة التيجانية ثم انتقلنا إلى الحديث عن الخطاب الاصلاحى فى الطريقة وتعرضنا إلى أهم الأمراض التى قد تصيب النفس وكيفية التخلص منها وفق المنهج الاسلامى التربوى للشيخ التيجانى ثم انتقلنا للحديث عن الخطاب الصوفى فى المؤلفات التيجانية وعرجنا فى بادئ الأمر على نشاطات الطريقة التعليمية بعدها انتقلنا إلى أهم المؤلفات التى تركها التيجانيون وعلى رأسهم الشيخ أحمد التيجانى وبعض مشاهير الطريقة ببلاد المغرب مع أهم نشاطات الطريقة الاجتماعية.

الفصل الثالث والأخىر جاء الحديث فىه عن "الخطاب التيجانى (بين التأثير والتأثر)"

بدأنا فىه بأوراد الطريقة ثم تطرقنا إلى أهم المسائل العقديّة التى كانت محل جدل فى أوساط العلماء وحتى التيجانيين منهم والتى هى فى اعتقادهم أنها مدسوسة وليست من الشيخ ولا أتباعه ومن أهم المواقف المعارضة خطاب التيجانى وخاصة موقف الوهابيين.

وقد واجهتنا خلال انجاز هذا العمل المتواضع مجموعة من الصعوبات الشخصية منها والعلمية فالمشاكل الشخصية لا يسعني أن أذكرها في هذا المقام العلمي وأعدها من ابتلاءات التي يواجهها المؤمن في حياته وإن كان تأثر نوعا ما على مردود الباحث. أما الصعوبات العلمية فهي كما يلي:

- كون الموضوع الذي تناولناه بالدراسة جد حساس لأنه ذو بعد عقائدي بالدرجة الأولى وأن تنتظر إلى الأحداث الماضية بنظرة تفكيرية حسب واقعنا تترك أفكار الباحث لأن الواقع هو مغاير تماما لواقع فترة الدراسة من حيث المعطيات وأسلوب التفكير وغيرها.

- من يتناول الخطاب الصوفي لابد عليه أن يتسلح بالأدوات العلمية التي تساعده على الفهم، فالباحث في التاريخ لا يكتفي بسرد الأحداث بل عليه الإلمام بالأدوات التي يستعملها الباحث في الفلسفة وعلم الاجتماع ... وغيرها من العلوم المساعدة والمفسرة للأحداث التاريخية.

- نقص الدراسات التاريخية التي تتناول الخطاب كمادة تثري البحث التاريخي وتخرجه من النمط الكلاسيكي.

وفي الأخير نقدم هذا العمل مساهمة منا في اثراء الرصيد التراثي الزاخر والحافل بالأحداث لأخذ الدروس والعبر. فما كان تقصيرا فمنا وما كان توفيقا فمن الله.

مدخل

الخطاب (تأسيس وتنظير)

أولاً: تحديد مصطلح الخطاب

ثانياً: الخطاب الديني

ثالثاً: الخطاب الصوفي (الطريقي)

رابعاً: نشأة الخطاب الصوفي وتطوره

خامساً: البيان والعرفان والبرهان ديناميكية تفاعلية

توطئة:

مر الفكر الاسلامي منذ أن نزل الوحي على سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا بمجموعة من المحطات، وهو يشق طريقه نحو النضج متأثراً بعوامل عديدة داخلية وخارجية إلى أن شب وأصبح يعتمد على قواه الخاصة متصدياً للحملات الخارجية خاصة الصليبية منها والتي لا تمل من مهاجمته. ظهرت على إثرها عدة تيارات كالمعتزلة والمتصوفة وغيرهما وما يهمننا في هذا المقام الحركة الصوفية وما أنتجته من خطابات تخطت الحدود الزمكانية تاركة بصماتها في كل مكان وزمان وجد فيه، مؤثرة ومتأثرة بما حولها.

أردنا في هذا الفصل التمهيدي توضيح مفهوم الخطاب حتى يتسنى لنا المضي قدماً في حيثياته دون أي لبس أو غموض.

أولاً: تحديد مصطلح الخطاب

من الضروري وقبل الشروع في أي عمل بحثي تحديد مفاتيحه ونزع اللبس عن مصطلحاته التي تعتمد عليها جملة من المفاهيم الاجرائية حتى نصل إلى الفهم الدقيق له وهذا ما نرجوه من بحثنا، لكن هذا المصطلح له عدة منافذ فهناك من لا يفرق بينه وبين مصطلح "النص" أو "الكلام" إلى غير ذلك. ولعل ذلك راجع إلى ثراء لغتنا العربية وتراثنا الإسلامي، حتى أن التأثير الغربي باد من خلال الترجمات العربية التي طالت مختلف

الميادين، ويقودنا هذا إلى إشكالية المصطلحات العربية على العموم التي باتت هاجس المتعلمين والمعلمين على حد سواء¹.

ولعل ما يحدث اليوم من تسارع رهيب فرضته العولمة التي أدت إلى تقارب ثقافات الشعوب وهيمنة الواحدة على الأخرى حتى الذوبان، لذلك ارتأينا أن لا نتجاهل المفاهيم الغربية التي علقت بالمصطلح حتى يتسنى لنا إنشاء مقارنة واضحة خاصة ما يتعلق بالتصوف الذي لا يخلو من القدرات الفكرية واللغوية في كتاباتهم وتراثهم الثقافي.

الخطاب حسب تعريف أحد الباحثين الغربيين بأنه: "كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوباً أو ملفوظاً"، غير أن الاستعمال تجاوز ذلك إلى مفهوم أكثر تحديداً، أما الكلام فيعرفه الفيلسوف هيربرت بول غراس (HERBERT PAUL GRICE) أن "الكلام دلالات غير ملفوظة يدركها المتحدث والسامع دون علامات معلنة أو واضحة. وبالتالي ومن خلال هذان التعريفان بتبين لنا صعوبة تحديد مفهوم الخطاب فهذه التعاريف لم تستطع إعطاء مفهوم دقيق يميز الخطاب عن الكلام والنص بالتحديد.

وهناك من يعرف الكلام على أنه: "ما تضمن كلمتين بالإسناد" و"كلام علم يبحث فيه عن ذات الله وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام والقيود الأخير

¹ بودهيم مريم، إشكالية المصطلح اللساني في الكتابات العربية الحديثة، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية، جامعة بسكرة السنة الجامعية 2012/2013م، ص 16.

لإخراج العلم الالهي وفي اصطلاح النحويين هو المركب الذي فيه الإسناد التام¹. أما علاقة الكلام بالخطاب كعلاقة الكل بالجزء أو علاقة الأصل بالفرع وبالتالي فإن الكلام هو الأصل والخطاب فرع من فروعه والعلاقة نفسها مع النص فلذا نجد أننا في هذه الحالة تداخل واضح بين مفهوم الخطاب ومفهوم النص، فالإشكال فيه أكثر وضوحاً من حيث أنهما اصطلاحان أساسيان وعلمان من العلوم اللسانية، لم يتم الحسم في أدبياتهما من حيث تداول العبارات التالية: كخطاب النص، نص الخطاب... الخ.

ولقد تأثر الباحثون العرب بالرؤية الغربية حول مصطلح النص، والخطاب عندهم لا يعتمد في التقسيم إلى خطاب نفعي أو فني بل أن يكون تقسيمه نوعياً فحسب فيصبح النص الأدبي إما نصاً دينياً أو قضائياً أو سياسياً... الخ. أما ما يميز النص فهو وجوب وجود أركان جوهرية تتمثل في القارئ والسياق ووسائل الاتساق.

1- مفهوم الخطاب:

أ- الخطاب لغة:

جاء في لسان العرب لابن المنظور أن: "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، نقد خاطبه بالكلام، ويقال أيضاً خَطَبَ والخطب هو الشأن أو الأمر، ويقال ما خطبك، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً. فصل الخطاب هو أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين

¹ علي الجرجاني، التعريفات، تح محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة-2004، ص155.

الحكم وضده¹ يقول تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ²﴾. وهو كلام موجه إلى مجموع المستمعين في إحدى المناسبات، وأسلوب الخطاب يعرف على أنه يعتمد على المحسنات اللفظية وتحريك الوجدان³. أما عند الزمخشري⁴ قال: خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام⁵.

ب-الخطاب في المعاجم العربية:

(المعجم الوسيط)⁶ جاء الخطاب بمعنى: "الكلام والرسالة وهو المواجهة بالكلام، أو ما يخاطب الرجل به صاحبه، ونقيضه الجواب. وفي (قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية)⁷ الخطاب هو مقطع كلامي يحمل في طياته معلومات يريد بها المرسل إيصال جملة من الأفكار إلى المرسل إليه ويفهمها الطرف الثاني المتلقي بناء على نظام لغوي مشترك بينهما. كما عرفه (معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة)⁸ على أنه مجموع التعابير الخاصة التي تتحدد بوظائفها الاجتماعية ومشروعها الإيديولوجي.

2-الخطاب اصطلاحاً:

¹ ابن المنظور، لسان العرب، ج 2، دار صادر، بيروت-د ت، ص155.
² سورة "ص"، الآية 20.
³ المنجد في اللغة العربية، ط40، دار المشرق، بيروت-2003م، ص67.
⁴ هو الإمام العلامة ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (467-538هـ/1074-1143م).
⁵ الزمخشري، قاموس عربي-عربي، ر-ق، ابراهيم قلاتي، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر 1998م، ص172.
⁶ ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول-1996م، ص243.
⁷ إميل يعقوب، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت-1987م، ص159.
⁸ سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت-1985م، ص ص83-85.

أ- مفهوم الخطاب عند العرب:

اتسم مفهوم الخطاب عن الباحثين العرب بالشساعة فتشعبت مجالاته وتعددت فنجد من يقول هذا خطاب سياسي وذلك خطاب ديني وآخر خطاب صوفي... الخ من الخطابات التي تطورت في خضم نسق معرفية تأثرت بالغرب في جميع الأصعدة فتضاربت المفاهيم بين العرب القدامى والمحدثين.

بحسب أصول اللغة فإن الخطاب هو توجيه للكلام نحو الغير مفاده الإفهام وإيصال الفكرة¹. وفي نفس السياق ذهب الأمدى في تعريفه للخطاب مع تجنب الغموض قائلاً: "إن الخطاب هو اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه. ويفسر بن جني على أن الكلام هو ذاته خطاب، والخطاب هو لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، يتسم بالأصل الشفهي"².

أما المحدثين فقد جاء مفهوم الخطاب عند بوراوي عبد الحميد هو تلك الوظيفة التواصلية التي تنشئ بين الراوي والكاتب، والراوي بالشخصيات، والكاتب بالقارئ، في إطار

¹ التهانوي محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، ط1، تق إش مر العجم رفيق، مكتبة لبنان الناشر، بيروت-1996م، ص749.

² ابن الجني، الخصائص، تح النجار محمد، ج1، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-1999م، ص32.

علاقات أخلاقية وإيديولوجية واجتماعية... الخ كما أن الخطاب في نظره هو تلك النتيجة التي نلمسها في الفعل الإنتاج اللفظي الذي له طبيعة ملموسة ومرئية¹.

وعند جابر عصفور الخطاب "طريقة تشكل جملها نظاما متتابعا تساهم في نسق كلي متغير ومتحد الخواص، أو على نحو يمكن معه أن تتألف الجمل في الخطاب بعينه لتشكيل خطابا واسعا ينطوي على أكثر من نص مفرد، وقد يوصف الخطاب بأنه مجموعة دالة من مجموعة الاداء اللفظي تنتجها مجموعة من العلاقات أو يوصف بأنه مساق العلاقات المتعينة التي تستخدم لتحقيق أغراض معينة².

أعطى مصطفى ناصف تعريفا أوسع وأشمل للخطاب حين أشار إلى تعدد الخطابات وطرق دراستها المختلفة فالعلاقات الاجتماعية لا يسعها خطابا واحدا وعلى سبيل المثال فالخطاب الأدبي لا يعبر عن خلاصة واقعية لنشاط اللغة الكثيف والمتقاطع³.

ب- مفهوم الخطاب عند الغربيين:

الخطاب عندهم لفظ مأخوذ من أصل لاتيني (DISCURSUS) مشتق من (DISCURRER) يحمل معنى الجري في كل الاتجاهات أو الجري ذهابا وإيابا، وهو يعني التدافع المقترن اللفظ العفوي الارتجالي¹.

¹ بوراوي عبد المجيد، القراءة من النص إلى الخطاب، مجلة التبیین، 12-13، الجزائر-1998م، ص48.

² جابر عصفور، عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، دار الأفاق العربي، بغداد-1982م، صص 17-18.

³ مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، منشورات عالم المعرفة، كويت-1995م، 332.

اعتبر أفلاطون أول من كانت له محاولات جادة في تحديد المفهوم الفلسفي للخطاب، ومستندا إلى قواعد عقلية، وما نستطيع قوله أنه ومن خلال هذه المحاولات الأولى بدأت تظهر الملامح الحقيقية للمفهوم الفلسفي للخطاب في الثقافة اليونانية، فنجدته يولي أهمية بالغة للكلام الذي أساسه الفكر فهما يقومان على ركائز مترابطة فالفكر عنده هو المتكلم².

أما أرسطو فإنه يلزم مفهوم الخطاب بالمنطق، فالمنطق الأرسطي يستند إلى حد كبير على الخصائص اللغوية، فالمعطيات اللغوية والنحوية لها تأثير بالغ على الفكر المنطقي، كما أن السفسطائية³ جعلوا رابط وثيقا بين العقل والكلام المنطوق مستعينين باللغة وألفاظها حيث أن هذه المعطيات تستعمل في الخطاب الذي يهدف إلى الإقناع أثناء المحاورات والمناظرات الجدلية التي شاعت في أوساط الطبقة الأرسطراطية اليونانية⁴.

أما عند الغربيين المحدثين فالخطاب يعني ما يلي:

- عند هاريس (1952م):

¹ الساسي عامرة، الخطاب الصوفي وأشكالته التواصلية - الطريقة التيجانية نموذجا -، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية تخصص: علوم اللسان العربي، جامعة محمد خيضر - بسكرة، 2015/2014م، ص 18.

² إميل برهيه، الفلسفة اليونانية، تر جورج طرابيشي، ج1، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1987م، ص ص 141-142.

³ السفسطائية هي مذهب فكري فلسفي نشأ في اليونان إبان نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس ق.م في بلاد الاغريق.

⁴ فايز الداية، علم الدلالة العربية النظرية والتطبيق (دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية)، ط2، دار الفكر دمشق - 1996م، ص 103.

فهو يعد اللساني الأول الذي حاول توسيع حدود البحث اللساني وذلك بجعله يتجاوز الجملة إلى الخطاب. وقد عرفه قائلاً: "ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون منغلقة، يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض" ويقول أيضاً: "إن الخطاب منهج في البحث في أيما مادة مشكلة من عناصر متميزة ومترابطة في امتداد طولي سواء أكانت لغة أم شيئاً شبيهاً باللغة، ومشمتم على أكثر من جملة أولية، إنها بنية شاملة تشخص الخطاب في جملته.. أو أجزاء كبيرة منه"¹.

- عند ميشال فوكو (1926-1984) م:

يذهب فوكو في تعريفه للخطاب على أنه فكرة مستوحاة من الواقع المعرفي وذلك في قوله: "... أن كل خطاب ظاهر، ينطلق سرا وخفية من شيء ما تم قوله ... ليس مجرد جملة تم التلفظ بها، أو مجرد نص سبقت كتابته، بل هو شيء «لم يقل أبدا» إنه خطاب بلا نص... والكتابة ليست سوى باطن نفسها"²، ويقول أيضاً في موضع آخر عرفه بأنه المجال العام لمجموع المنطوقات على أنه كم خاص من مجموع العبارات تكون تشكيلة خطابية معينة نشأة في خضم شبكة معقدة من النسق الاجتماعية والثقافية والسياسية... الخ³.

¹ يقطين سعيد، تحليل الخطاب الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت-1989م، ص17.

² ميشال فوكو، حفريات المعرفة، تر سالم يفوت، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-1987م، ص25.

³ ساسي عامرة، المرجع السابق، ص19.

ويقول أن النظام المعرفي هو مجموع العلاقات التي يمكننا الوقوف عليها بين العلوم السائدة في فترة ما ، وذلك حين نقوم بتحليل مستوى تنظيماتها الخطابية. وبسبب علاقتها بالتاريخ فإن النظم المعرفية ذات بنية متغيرة ديناميكية ، ذلك أن كل مرحلة تاريخية تتحكم فيها مجموعة من أنظمة معرفية معينة تتقاطع مع سابقتها مكونة مقدمة لنظم معرفية لاحقة، أي أنها تعبير عن قانون تاريخي صالح لفترة تاريخية معينة¹.

3- تحليل الخطاب:

يعد تحليل الخطاب من الموضوعات الحديثة النشأة في ميدان البحوث والدراسات العربية، أما مجالاته فهي واسع تهتم بالخطاب بالدرجة الأولى ومنهجه الإجرائي التحليلي.

أ- التحليل لغة:

حلّ العقدة: أي فكها وحلّ الشيء: أرجعه إلى عناصره الأولى. وحلّلت اليمين أحلّها تحليلًا: أي لم أفعَلْ إلاّ بقَدْر ما حلّلتُ به قَسَمي أنْ أفعَلُهُ ولمْ أبالغ، ثمّ كثرَ هذا في كلامهم حتّى قيل لكل شيء لم يُبالغ فيه تحليل².

ب- التحليل اصطلاحًا:

¹ الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-2000م، صص 98-90.

² منجد اللغة والإعلام، ص 147.

هو إظهار أجزاء الشيء وعمل كل جزء فيها ويأتي على الشرح والتفسير والتأويل والعمل على جعل النص جلياً وواضحاً. ومن هذا يركز الباحث والعلاقات المتبادلة بين الأجزاء والكل في النص، لكي يصبح معناه ورمزيته واضحين، من حيث يعتمد على ترتيب وتنظيم المعلومات بشكل منطقي، حتى يتسنى لنا القدرة على فهم النص فهماً صحيحاً. لذا فإنّ قراءة النص دون إمعان لا يعد تحليلاً، وإذا وقف القارئ على كل فكرة في النص وفهمه وأدرك مغزاه، وقرأ ما بين الأسطر وفهم حيثياته، وكان على وعي بالتغيرات الاجتماعية، فقد دخل في مجال التحليل. أما عملية التحليل الخطاب فهو الفني يحتاج إلى جهد ووقت وخبرة وبحث وتنقيب وإمام بكل حيثيات وظروف النص¹.

يتلزم على الباحث في مجال تحليل الخطاب استرجاع الظروف التي أدت إلى إنتاج النص، وهو ما يسميه اللغويون بتحليل السياق؛ وهو جزء أساسي من عملية تحليل الخطاب، فالنص لا نستطيع فهمه حتى نرجعه إلى الظروف التي أدت إلى نشأته.

تحليل الخطاب عند ميشيل فوكو:

لقد أتاحت أعمال فوكو لمفهوم الخطاب ومنهجه التحليلي فرصة جديدة وعالماً يقصده الباحثون الاجتماعيون، فالخطاب يتشكل من وحدات أطلق عليها اسم المنطوقات ومجموعها ينتج لنا التشكيلات الخطابية تختص بذاتها في حقل خطابي فريد. وبالتالي فإن تحليل

¹ بوراوي عبد المجيد، المرجع السابق، ص 48.

الخطاب ليس له أي علاقة بتحليل اللغة والتحليل المنطقي، فالتحليل الخطابي يعتمد على الوصف الأركيولوجي الذي يسعى إلى وضع قوانين ندرية المنطوقات وتراكمها، أما الجينولوجي الذي يهتم بالبحث عن البدايات بصفة حديثة متجنباً الطريقة الكلاسيكية في البحوث التاريخية حيث يركز على تبيين الانقطاعات والفواصل وبالتالي فهو يقوم على التحليل التاريخي للخطابات التي تكشف عن ندرية وخارجية وتراكم وقبيلية الخطابات فهي تعود إلى الممارسة فقط¹.

إن تحليل الخطاب لا يتناول بالدراسة البنية السطحية والشكلية للنصوص، بل يتجاوزها إلى محاولة القراءة التأويلية لها وذلك تفكيك الشفرات المختلف للرموز والإشارات التي يرمي إليها النص، أو ما يعبر عنه بما لم يقله النص أو ما سكت عنه النص².

ثانياً: الخطاب الديني

يعد الخطاب الديني من المواضيع الحديثة المطروحة في مجال العلوم الاجتماعية عامة، والبحث فيه حديث النشأة على غرار الخطابات الأخرى كالخطاب السياسي والإيديولوجي...

أ- مفهومه:

¹ الزواوي بغورة، المرجع السابق، ص ص(124-143).

² ميشال فوكو، المرجع السابق، ص 26.

الخطاب الديني نسبة إلى الدين وهو في اللغة: هي الطاعة ، اسم لجميع ما يعبد به الله، والدائنون بمعنى خاضعين¹.

جاء في لسان العرب بمعنى الطاعة، فيقال دنت له: أطعته، ويجمع على كلمة أديان. ونقول الأديان السماوية لأنها تفرض على معتنقيها الخضوع وطاعة أحكامها وتعاليمه، فتجبرهم على انتهاج أسلوب معين في الحياة.

أما اصطلاحيا فهو كل سلوك أو فعل يبعث على تحديد دين معين ينتمي إليه، سواء كان خطاب مكتوبا أو مسموعا أو فعلا ممارسا. وهو أيضا ما يصدر عن رجال الدين من أقوال ونصائح أو مواقف سواء كانت تصريحات سياسية أو خطب وعضية تستند إلى الدين وهي موجهة إلى جمهور المتديينين وخاصتهم².

والخطاب الديني بناء من الأفكار والمعتقدات تلعب دورا الهام في الحياة الاجتماعية للمسلمين والتي تتبع من ارتباطها الوثيق بالدين، وبالتالي تأثيرها على المتلقي ممن يؤمن بتعاليمه لبناء صور للحياة والعالم الذي يعيش فيه ومعرفة تصرفاتهم وسلوكهم في جميع مجالات الحياة³.

¹ منجد اللغة والإعلام، المصدر السابق، ص 231.

² زايد أحمد، صور من الخطاب الديني المعاصر، ط1، دار العين للنشر، القاهرة-2007م، ص16.

³ يونس محمد، الخطاب الاسلامي في الصحافة العربية، دار القلم للنشر والتوزيع، الإمارات-2004، ص132.

قد يتعدى الخطاب الديني إلى عدة خطابات وذلك حسب مجالات الحياة فرأي الدين في المجال الاقتصادي أو السياسي أو الميدان الطبي... الخ، فيكون الخطاب في هذه الحالة مفتوحاً وقد يتضمن عدة مستويات مما اقتضى الأمر إلى تجديده حسب مستجدات الأمور الحياتية ومتغيراتها وبالتالي يكون أحد دوافع المجتمع للنمو بطريقة سليمة واكتساب مناعة ضد كل موجات تهديدية.

يختص الخطاب الديني عند المسلمين أو كما نسميه "بالخطاب الاسلامي" أهل العلم من علماء الشريعة وأئمة المجتهدين في بيان شرع الله تعالى، وقد أثبت التاريخ تأثيره الكبير على عامة الناس، وقدرته الفعالة في فآت خاصة من العوام وتوجيه حياتهم. وإذا تعلق الخطاب بالأمور الاجتهادية فإنه يقتصر على الواقع الإنساني فهو ملزم بالتغيرات التاريخية، فلذلك يتغير الخطاب الديني من عصر لآخر دون المساس بالثوابت الأساسية للعقيدة الدينية¹.

والخطاب الاسلامي هو أسلوب تعبيرى للمضامين الاسلامية، فهو يدعو إلى جملة من القواعد الشرعية والالتزامات أساسها التبشير وعدم التنفير والتيسير ولا تعسير واستعمال الرفق واللين ونبد العنف والتعصب².

ب- أهمية الخطاب الديني الاسلامي:

¹ ناصر حامد أبو زيد، ، نقد الخطاب الديني، ط2، سينا للنشر، القاهرة-1994م، ص65.

² يونس محمد، المرجع السابق، ص67.

يكتسي الخطاب الاسلامي أهمية بالغة في الحياة اليومية للمسلمين فهو يحرك مشاعرهم وانفعالاتهم وذلك لتحقيق ثقافة اسلامية ويدفع الناس إلى الإنتاج والمزيد من الانجازات. أما ما يتضمنه الخطاب الاسلامي فإنه يتجسد من خلال النور الرباني للرسالة المحمدية التي تخرج الانسان من الظلام الدامس إلى الحقيقة النورانية.

وقد نجد من يخلط بين الدين والفكر الديني وهما منفصلان تماما فالفكر الديني ما هو إلا اجتهادات بشرية لتفسير وتأويل النصوص الدينية¹.

ج-آليات الخطاب الديني²:

يعتمد طرح المفاهيم الدينية ومنطقاته الفكرية على آليات تساعد على كسب أنصار ومؤيدين³. وهي متنوعة تعتمد على وسائل طرح هذا الخطاب وأدواته ونركز منها على الآليات الذهنية والعقلية وهما يكشفان على مستوى الايديولوجي لهذا الخطاب وهو ينحصر بين الفكر الاعتدالي والمتطرف ، وبين الفقهاء والوعاض، ويمكن إجمالها في ما يلي:

- التوحيد بين الفكر والدين وإلغاء المسافة بين الذات والموضوع.
- تفسير الظواهر كلها بردها جميعا إلى مبدأ أو علة أولى، تستوي في ذلك الظواهر

الاجتماعية أو الطبيعية.

¹ ناصر حامد أبو زيد، المرجع السابق، ص31.

² نفسه، ص93.

³ زايد أحمد، المرجع السابق، ص100.

- الاعتماد على سلطة "السلف" أو "التراث" وذلك بعد تحويل النصوص التراثية -وهي نصوص ثانوية- إلى نصوص أولية تتمتع بقدر هائل من القداسة لا تقل -في أكثر من الأحوال- عن النصوص الأصلية.
- اليقين الذهني والحسم الفكري "القطعي" ورفض أي خلاف فكري إلا إذا كان في الفروع والتفاصيل دون المساس بالأسس والأصول.
- تجاهل البعد التاريخي ، ويتجلى هذا في البكاء على الماضي الجميل يستوي في ذلك العصر الذهبي للخلافة الرشيدة، وعصر الخلافة التركية العثمانية¹.

د-أنواع الخطاب الديني الاسلامي:

كما سبق الذكر فإن الخطاب الاسلامي ما هو إلا اجتهادات العلماء المسلمين والأئمة والمفكرين، وبالتالي فإننا نجده متنوعا حسب المسلم ذاته إن كان متدينا أم لا وبالتالي فهو يتعلق بالفئة المستهدفة. ومن أنواعه نجد: الخطاب الذي يتعلق بالأحكام الفقهية والذي له صلة بالسلوك أو بالفكر أو العقيدة ... الخ. وقد يكون التصنيف تبعا للأسلوب الخطابي فهو يخضع بشكل مباشر أو غير مباشر إلى جملة من المؤثرات التاريخية والسوسيولوجية، والسيكولوجية التي تحدد ملامحه، مما دفع البعض الباحثين إلى القول بأن الخطاب الاسلامي يأخذ عدة أشكال وأنماط وبالتالي فقد يكون:

¹ حامد أبو زيد، المرجع السابق، ص77.

-الخطاب الرسمي: وتمثله الدولة عن طريق وزارة الأوقاف التي تصدر الافتاء وغيرها من

المهام المتعلقة بتنظيم شؤون الناس المتعلقة بدينهم¹.

-الخطاب السياسي: وهو مرتبط بالجماعات الاسلامية والجمعيات المدنية ذات الطابع

الديني.

-الخطاب الشعبي: هو متعلق بطريقة فهم الناس للإسلام وبالتالي انعكاساته على ممارساتهم

وتصرفاتهم في الحياة اليومية.

أما الخطاب الصوفي فستعرض له بالتفصيل في العنصر الموالي.

ثالثاً: الخطاب الصوفي (الطريقي)

1- مفهومه:

عبر المتصوفة في كتاباتهم عن التصوف ب"الطريق" ومعناه الطريق إلى الله وبالتالي

فإنهم قد اختاروا مسلك في حياتهم وعالم خاص وهو العالم الشعوري لا المادي، يؤمن

لأنفسهم من خلاله تحقيق المعرفة وبذلك كان لزاماً عليهم وعي هذا العالم، وباعتبار أن

الذات هي الأصل والمصدر للوصول إلى الوعي، فوقع الإشكال في النفس² التي تمثل أولى

محطات الوعي وموضوعه للوصول إلى درجة الشوق، ومن هنا تشكلت أولى قواعد الطريق

¹ زايد أحمد، المرجع السابق، ص18.

² ضياء مجيد الموسوي، غاية التصوف وأدوات المتصوف، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر-2011م، صص(34-36).

المتتملة في الأخذ بالحقائق وترك ما بيد الخلائق¹، وهذا لا يعني ترك الدنيا بما فيها من ماديات، لكن المتصوف يعبرون عنها بقلب النظرة من العالم الخارجي للنظر إلى العالم الباطني أي كل ما يدور داخل ذات الانسان وبالتالي فهو يتخلى على كل ما هو مادي حتى يتحقق له الاستقلال الشعوري وذلك للوصول إلى الحقيقة الخالصة ويكون ذلك عن طريق مجاهدة النفس وترويضها وتخليصها من كل الشوائب العالقة بها والتخلي بأسمى الصفات².

لم تكن النية مبدئية في فرض منهج فكري معين يتنافى وما هو سائد لكن لقوة خطابهم وحيويته أعطت بديلا ناجعا وفعالا يوحى بامتداداته السليمة المتأصلة. كما استطاع المتصوفة ومن خلال انتاجهم الفكري أن يؤمنوا لأنفسهم عالما من المعارف افترضوه وآمنوا به، كما توحى لنا طبيعة العلاقة بذواتهم التي يعتبرونها منبع ومصدر ذلك المعنى ووعيه، لما وقع الاشكال في النفس التي تعتبر أولى المحطات وطريقا للوصول إلى الله لخصه المتصوفة في معنى الاشتياق إلى الخالق، وقد يجرنا هذا إلى أهم تعاريف للتصوف التي تجسد أهم قواعد الطريق إلى الحقيقة³.

يرى الصوفي أنه عارف بأسراره، كونه علم نهائي وهي غير صادرة من علاقته بغيره بل هي إدراك وجداني، ويحصل ذلك بإضعاف لأحوال الحس المادي، وتقوية الأحوال

¹ بلعلى آمنة، تحليل الخطاب الصوفي (في ضوء المناهج النقدية المعاصرة)، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر- 2010م، ص23.

² يعيش محمد، شعرية الخطاب الصوفي (الرمز الخمرى عند ابن الفارض نموذجاً)، منشورات كلية الأدب والعلوم الانسانية، فاس-1996م، ص127.

³ بلعلى آمنة، المرجع السابق، ص23.

الروحية. ويعرف أحد الباحثين أن الإدراك الوجداني على أنه نوع من الإلهام نشأ عن الكشف والمكاشفة والمشاهدة الناتجة عن الأزمت النفسية، والحالة الوجدانية التي يعاني منها المتصوفة، وهذه الحالة يعبر عنها المتصوفة بالكشف وهو منهجهم للوصول إلى المعرفة¹.

-المقامات والاحوال:

وتصبح عند العارف فعلا يمارسه وطريقا يوصله إلى المعرفة التي تدفع الشعور نحوها لتبدوا في ظاهرها واعتبروا المتصوف سالكا ومسافرا وخلال رحلته الروحية يمر بمحطات أو كما يسمونها مراتب ومواقف يعبر عنها بالمقامات والاحوال ويتدرج فيها الصوفي من مقام إلى مقام أعلى منه وقد أطلق عليها تسمية المدارج فالصوفي من خلالها يصعد من درجة دنيا إلى درجة أعلى منها. أما الحال² فهو حالة قلبية لا إرادية ، فتحدث المكاشفة التي تكون ثمرتها جواب على الاشكال الذي وضعه المتصوفة لأنفسهم وهو فعل لا يتحقق إلا بالمجاهدة المستمرة لتحقيق الانتصار على الذات وأنانيتها.

2-خصائصه:

- له قوانين واستراتيجيات التواصل معقدة من الصعب التنبؤ بها أو مجاراتها.

¹ أبو الوفا الغنيمي التقنازاني، المعرفة الصوفية، مجلة الرسالة، العدد 932-1951 الموقع: مجلة_الرسالة/العدد_932/المعرفة_الصوفية/wiki/https://ar.wikisource.org/wiki/

² أنظر في تعريف الحال إلى: القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، تح معروف مصطفى، المكتبة العصرية، بيروت- 2003م، ص 57. وكذلك: الطوسي أبو الناصر، اللمع، تح عبد الحليم محمود، دار الكتاب الحديث بمصر، مصر- 1960م، ص 77.

- يتسم بسمات الإطلاق ولا تحديد.

- على أنه يتصف بالباطنية الصادقة وهو ذو نزعة وجدانية.

- يتصف بالإخلاص التي تصبغه، مهما كان ميدان هذه النزعة أو غايتها ما دامت تتصل بالروح والوجدان وتتسم بالصدق. فكل عاطفة صادقة منبعها الحب، أو المودة، أو الصداقة، أو الوفاء، أو الولاء، أو الحزن.

رابعاً: نشأة الخطاب الصوفي وتطوره

من يمعن في القرآن الكريم يجد أكثر من آية تحت على ترك الدنيا وملذاتها وعدم الانغماس فيها وأن تكون الآخرة هي مبتغاه ومآله الأخير يقول تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾¹. تعني هذه الآية أن ما هو غير مرغوب أن تستحوذ الدنيا على قلب المرء وبالتالي جعلها أولى الأولويات، أما إذا جعلها وسيلة للعيش ومراده الآخرة أصبح في هذه الحالة متاعها مباح.

يقول صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»² ما لاشك فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم حث على هذا النوع من الزهد ودعى أمته إلى ذلك، وقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على نهجه في الزهد وقد جاء في

¹ سورة الشورى الآية:20.

² الترمذي أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، ط1، دار بن الجوزي، القاهرة-2007م، ص965.

إحدى كتب الطبري أن علياً-كرم الله وجهه- وقف ذات مرة على باب خزانة بيت المال وقال: "يا صفراء ويا بيضاء غُري غُري"¹.

أنعم الله على الصحابة بصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وعاشوا معه وتأسوا به وتعلموا منه فهانت الدنيا أمامهم فتركوها وملذاتها وكتفوا بالقليل منها فعظم شأنهم، وتأثرت طائفة من المسلمين بسيرتهم ومن هؤلاء نجد الحسن البصري (21-642هـ/110-728م) الذي أسس لمدرسة الزهد لمن بعده وقد تأسى تلامذته به وبدأ يتأسس فكر جديد تمثل في التصوف الذي تطور بمرور الوقت.

عرف أقوام في كل من البصرة والكوفة ومصر ... بالبكائين والجواعين والقراء عرفوا بزهدهم في الدنيا إلى حد الإفراط فأصبحوا يشكلون ظاهرة اجتماعية لم يعرفها الإسلام من قبل اتخذوا من الصوامع والرباطات أماكن للتعبد، من هؤلاء نجد أبو سليمان الداراني (140-215هـ/758-830م).

امتلك الخطاب الصوفي كباقي الخطابات الأخرى من الفاعلية ما أكسبته عبر التاريخ أبعاداً مختلفة ضمنت له الانسجام والتواصل رغم بداياته الانفرادية المنعزلة. لم يتوقع المتصوفة الأوائل أنه سيأتي يوم يدخلهم في صراع للتمكين من منهجهم الفكري والتربوي مع

¹ يقصد بالصفراء والبيضاء قطع الذهب والفضة من المال أنظر: الطبري أبو جعفر، الرياض النظرية في مناقب العشرة، ج4، تص محمد بدر الدين دار الكتب العلمية للنشر، بيروت-2003م، 211.

ما هو سائد، ذلك الواقع الذي يوحي بالتناقضات التي كان يعيشها الانسان المسلم في معظم فتراته.¹

ازدهر التصوف وأقطاب الصوفية خلال القرن الثالث الهجري، في ظل ملابسات اجتماعية وسياسية ومعرفية معقدة وحاسمة من التاريخ الاسلامي من الناحية الفكرية والحضارية وقد تباينت أفكاره المتضاربة بين الحنابلة والمعتزلة والشيعة والمتصوفة والفقهاء... من جهة ومن جهة أخرى نجد القصور والبذخ والترف الذي عم العالم الاسلامي برمته والذي أنتج لنا نوعا من التناقضات الفكرية والاقتصادية والثقافية أحدثت ثورة على الواقع.

لقي المتصوفة تعنتا ومضايقات كبيرة من طرف السياسيين والفقهاء وذلك بإصدار الفتاوى ضدهم حتى قام الحكام بسجنهم أو قتلهم أو صلبهم، ذلك نتيجة خلافهم مع الفقهاء في منهج المعرفة، مفاده أن المتصوفة يرون أن كل ما هو ظاهر يخفي وراءه باطن لا نتمكن من الوصول إليه إلا بالمعرفة الذوقية، كان ذلك يزعج الفقهاء الذين كانوا يفسرون النص بسطحية دون اللجوء إلى التأويل، وبهذا التضارب في الأفكار وبذلك فقد العديد من

¹ بلعلى آمنة، المرجع السابق، ص 21-22.

المتصوفة حياتهم ومنهم من هرب إلى أماكن بعيدة أو اعتزل في السرايب كما فعل الجنيد مع مريديه¹، ومنهم من تظاهر بالجنون كالشبلي.

1-تطور فعل الحب:

يعبر المتصوفة عن علاقتهم بالله في بداية الطريق التي لا نهاية له بعلاقة الحب، فهي فعل لا يشبع. والحب حسبهم ينبع من الذات الانسانية، وهي تكمن فيه ونشأت وتكونت لتكون له فلا بد عليه التخلص من القوى الأخرى حتى تصير واضحة جلية.

يقول أبو حامد الغزالي (450-505هـ/1058-1111م): "المحبة هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات، فما بعد المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا. وقبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد"²

وقد جاء في هذا السياق قول رابعة العدوية (100-180هـ/717-796م) وهي تفر

بحبها لله تعالى في الأبيات التالية:

أَحِبُّكَ حُبَّيْنِ: حُبُّ الْهَوَى وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَ
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْهَوَى فَشَغْلِي يَذْكُرُكَ عَمَّنْ سِوَاكَ

¹ الكلابادي أبو بكر، كتاب التعريف لمذهب أهل التصوف، تص آرثر جون أربري، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة-1994م، ص111.

² الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، تح سيد عمران، دار الحديث، القاهرة-2004م، ص286.

وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَكَشَفَكَ لِي الْحُجْبَ حَتَّى أَرَاكَ
قَالَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَكَأ¹

تعبّر هذه الأبيات عن حالة رابعة العدوية وحالة تعلقها بالله التي وجدت فيه ملاذها الوحيد في وسط نفشت فيه مظاهر التفسخ والانحلال وغابت عنه القيم الأخلاقية الرفيعة حينها فقدت الثقة في الناس وساعت الظن بهم، فاستغنت بعبادة الله عن طلب الدنيا ومتاعها طالبة منه الرضا والنظر إلى وجهه².

2- تطور السكر:

عرفه القشيري (346-456/957-1064م) السكر: "السكر غيبة³ بوارد قوي، والسكر زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطا إذا لم يكن مستوفيا في سكره، وقد يخطر إسقاط الأشياء عن قلبه في حال سكره، وتلك حال المتساكر⁴ الذي لم يستوفه الوارد، فيكون الإحساس فيه مساغ، وقد يقوى سكره حتى يزيد إلى الغيبة، وربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذا قوي سكره..."⁵

¹ الغزالي أبو حامد، نفسه، ص ص 266-267.

² تركي إبراهيم محمد، التصوف الإسلامي (أصوله وتطورات)، ط1، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية-2007م، ص 132.

³ غيبة: حالة فقدان الوعي.

⁴ المتساكر: المتظاهر بالسكر.

⁵ القشيري عبد الكريم، المصدر السابق، ص 71.

السكر عند البسطامي (188-261هـ/804-875م) يعبر من خلاله على فناءه، وجاء في قوله وهو يعبر عن الزهد في الجنة تحت تأثير السكر: "ما النار؟ لأستدن إليها غدا وأقول: اجعلني لأهلها فداء، أو لأبلغنها. ما الجنة؟ إنها لعبة صبيان"¹.

كما يروى أن له شطحات² أخرى لا يصدقها العقل وهو ناكر لها لما يستفيق رغم حثه على اتباع الشرع.

3- تطور الفناء:

للفناء ثلاث مستويات عند القشيري:

المستوى الأول: هو فناء النفس عن ما هو مذموم من سلوكيات، أي الفناء عن الشهوات، وهو علاج القلب بالنفي عنه الحسد والحقد والبخل والغضب والكبر... الخ. نجد أن هذه المرحلة كان عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام³.

المستوى الثاني: إذا فني عن الحسابان أول الأمر وآخره من الخلق، دليل على مشاهدة جريان القدرة في تصريف الأحكام، وبالتالي فبنفي الصفات الخلقية تبقى صفات الحق⁴.

¹ تركي إبراهيم محمد، المرجع السابق، ص179.

² يعرف الجرجاني الشطح على أنه عبارة عن كلام عليها رائحة رعونه ودعوى، وهو من زلات المحققين، فإنه دعوى حق يصفح بها العارف لكن من غير إذن إلهي بطريق يشعر بالنباهة. أنظر الجرجاني علي، التعريفات، تح نصر الدين التونسي، ط1، شركة القدس، القاهرة-2007م، ص210.

³ القشيري عبد الكريم، المصدر السابق، ص67.

⁴ نفسه، ص68.

المستوى الثالث: وهي أن يسيطر سلطان الحقيقة على السالك حتى لا يشهد من الأغيار لا عينا ولا أثرا ولا رسما ولا طملا، فيقال إنه فني عن الخلق وبقي بالحق¹. وينسب هذا النوع من الكلام عن معنى الفناء إلى البسطامي.

4-تطور معنى الحلول:

الحلول السرياني حسب الجرجاني هو: "عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى الآخر (كحلول ماء الورد في الورد) فسمي الساري حالاً، والمسري فيه مَحَلًّا. أما الحلول الجواري: عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر (كحلول الماء في الكوز)².

أما مفهومه كما جاء به الحلاج وهو أن الحق سبحانه وتعالى تجلى لنفسه في الأزل قبل أن يخلق الخلق وجرى له في حضرة أحاديثه مع نفسه حديثاً لا كلام فيه ولا حروفاً. وحيث كان الحق في الأزل، نظر إلى ذاته فأحبها وأثنى على نفسه، فكان هذا تجلياً لذاته في شكل المحبة الخالصة المنزهة كل وصف وحدّ، فصارت هذه المحبة سبباً في الوجود وفي كثرة الوجودية، ومثل عز وجل حبه الذاتي في صورة خارجية يشاهدها وخاطبها، فأخرج صور من نفسه من العدم لها كل صفاته وأسمائه وهي آدم الذي جعله صورته أبد الدهر، فكان آدم صورته هو وظهوره فيه وبه.³

¹ القشيري عبد الكريم، المصدر السابق، ص 68.

² الجرجاني على، المصدر السابق، ص 82.

³ تركي إبراهيم محمد، المرجع السابق، ص 189.

يبدو أن الحلاج قد استند في تعريفه إلى الحديث النبوي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ...»¹. وبالتالي فإن شخصية الحلاج مثيرة للجدل قديماً وحديثاً، فقد يراه البعض والياً صالحاً ذو كرامات ويرى بن كثير أنه تحول إلى الاعوجاج والبدع والضلال².

وحدة الوجود عند بن عربي³ (558-638هـ/1164-1240م):

وحدة الوجود عند بن عربي تعني: "أنه ليس هناك سوى الله في الوجود، أما العام بما فيه من كثرة، وبما يموج فيه من ظواهر متغيرة ومتابعة، فإنما يشير إلى الوهم، أو قل إنه مجرد ظل للحقيقة، أو صورة المرآة بالنسبة لصاحب المرآة، فالخلق إذن شبح"⁴.

تبنى بن عربي في فلسفته وجهة نظر الفلاسفة في مسألة الوجود خاصة تأثير الفلاسفة الإغريق وأفلوطين بصفة خاصة وبما جاء في العقائد الهندية القديمة، ونراه يمزج بين الدين والفلسفة.

5- طور التأليف وإرساء قواعد علم التصوف:

¹ صحيح البخاري (6227) ومسلم (2841).

² ابن كثير إسماعيل، البداية والنهاية، ج14، ط1، تح عبد الله بن عبد المحسن تركي، دار الهجر، الجيزة-1998م، ص826.

³ هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي، ولد يوم الاثنين 17 رمضان 560هـ الموافق لـ 28 جويليا 1160م في مدينة مرسية بالأندلس. أنظر: الفيومي محمد إبراهيم، ابن عربي صاحب الفتحات المكية، دار المصرية اللبنانية، مصر-ت، ص13.

⁴ ابن عربي، الفتحات المكية، ج2، تح أحمد شمس الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت-2006م، ص216.

بلغ التصوف درجة من النضج أوصلته إلى طور التأليف مما لتضح سبيله وقد تم من خلال هذه المؤلفات إرساء قواعد علم التصوف من أبرز هؤلاء المؤلفين الذين اشتهروا بمؤلفاتهم التي راجت في العلم الاسلامي وبالأخص في بلاد المغرب نجد ما يلي:

- أبو نصر السراج الطوسي صاحب كتاب "اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي" وقد أشار فيه إلى أولئك الذين ادعوا التصوف وهم ليسو من أهله، كما كانت محاولة لضبط أحكامه وإرساء قواعده وفقا لما جاء به المتقدمون من أهل التصوف¹.

- أبو بكر الكلاباذي مؤلف كتاب "التعريف لمذهب أهل التصوف" حث المؤلف في مصنفه على ضرورة الأخذ بالكتاب والسنة، والافتداء بالسلف ومنهجهم الصحيح، حتى أن بن تيمية أشاد بكتابه وذكر أنه أقرب إلى السلف وكبار الأئمة والمشايخ².

- أبو عبد الرحمن السلمي وكتابه "طبقات الصوفية" وقد جمع فيه المتأخرين من الأولياء وقد جعله في خمس طبقات خصها للأئمة والمشايخ والعلماء وقد جاء في كل طبقة عشرين شيئا محاولا جمع أئمة نفس العصر تقريبا، وقد عرف بوضع منهج سليم مستنبط أحكامه من سير الرجال الذين عرفوا بالتقوى والورع... الخ³.

¹ الطوسي ، المصدر السابق، ص8.

² ابن تيمية أبو العباس، الاستقامة، ج1، ط1، تح محمد رشاد سالم، جامعة الامام محمد بن سعود، المدينة المنورة- 1983م، ص83.

³ السلمي أبو عبد الرحمن، طبقات الصوفية، تح أحمد شرياصي، ط2، دار الشعب، القاهرة-1998م، ص9.

-القشيري عبد الكريم ومؤلفه "الرسالة القشيرية" قدمها القشيري على أساس أنها رسالة موجهة إلى جماعة المتصوفة يضبط فيها القواعد الأساسية في التصوف وكذى نراه من خلالها يسعى لكبح جماح خيالهم المفرط وفقا لأحكام الشريعة الاسلامية. كما أعطانا وصفا للحال المتردي لمتصوفة زمانه¹.

-أبو حامد الغزالي صاحب كتاب "إحياء علوم الدين" وهو عبارة عن موسوعة شاملة اشتملت على كل ما يحتاجه المسلم في حياته اليومية من عبادات ومعاملات وأخلاق...الخ. وقد ذكر في كتابه هذا عن دواعي تأليفه لهذه الموسوعة أن عصره قد خلى من العلماء الربانيين وقد اشتمل على فقهاء أغلقوا باب الاجتهاد مقتصرين على فتوى لا تتفع ولا تحل مشاكل الناس². وقد خالف أبو حامد الغزالي المتصوفة في القول بالحلول وإنكار أحكام الشريعة³.

6-تطور الطرق الصوفية:

انتشر التصوف في العالم الاسلامي وتميز في بادئ الأمر بالفردانية ثم تطورت تلك النزعة حتى صارت طرقا ولكل طريقة شيخ وتسمى باسمه وحوله مریدوه يأخذ بيدهم

¹القشيري، المصدر السابق، ص11.

² أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص3.

³ أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تعليق وشرح علي بوملحم، ط1، مكتبة الهلال، بيروت-1993م، ص47.

ويرشدهم الطريق المؤدية إلى الله ولزوم الشيخ شيء ضروري فليس من السهل للمريد التعلم من دون شيخ وهو المربي وتوجب طاعته.

انتشرت في العالم الاسلام طرق صوفية كثيرة منها القديمة والحديثة اقترنت كلها بالزاوية أو الرباطات وغيرها ومن أشهرها الطريقة الشاذلية والقادرية...¹

تطور الخطاب الصوفي بمرور الوقت وتعاقب الأزمنة ليصبح من أهم التيارات التي تشجعه السلطة المركزية وبالخصوص الرباطات من أجل حماية نفسها من الأخطار الخارجية وحتى من الفتن الداخلية لتخفيف التوترات وإحداث التوازنات وسرعان ما تتأثر هذا التيار ليصبح ذا ميول سياسي.

خامسا: البيان والعرفان والبرهان ديناميكية تفاعلية

تعددت النظم المعرفية والبنوية في قراءة الاسلام والتي أحدثت ديناميكية تفاعلية بين من يكرس جملة من الخطابات أنتجت تراث ثقافيا إسلاميا متعدد المنابع فنجد أن الفقهاء تبينوا الخطاب البياني² والفلاسفة الخطاب البرهاني³ أما الخطاب العرفاني⁴ فقد انفردت به

¹ للمزيد من المعلومات حول الموضوع أنظر الفصل الأول من القسم الأول.

² وهو أسلوب يعنى فيه الفقهاء ببيان بلاغة القرآن وهو لون من ألوان تبليغ معاني القرآن ومن هؤلاء نجد الزمخشري.

³ هو خاطب يهدف إلى التأثير في موقف وسلوك مخاطبين أو جمهور وهذا يجعله يتقبل ملفوظا معينا بالتركيز على ملفوظ أو ملفوظات الاخرى (معطاة،سبب،برهان) معالمة:الافتناع الشرطي، السلم الحجاجي،الاحتجاج بالواقع ينظر:محمود يوسف السماسيري.

⁴العرفان في اللغة معناه المعرفة أي معرفة الله، والعرفان ما يصبوا إليه المتصوفة وهو معرفة قلبية بالله تحصل نتيجة السلوك القلبي، أصبح الخطاب العرفاني منهجا للمتصوفة.

الصوفية ولحظة ميلاد هذا التيار الفكري احتدم الصراع بين التيارات الفكرية الأخرى المتمثلة في الفقهاء والفلاسفة والمتكلمون بلغ هذا الصراع ذروته لما أثيرت مشكلة خلق القرآن¹ في عهد الخليفة المأمون (170-218هـ/786-833م) وكذلك باتساع رقعة الاسلام واعتناقه العديد من الأجناس، فنجد الحضور الفارسي والهندي واليوناني قد أدى ذلك إلى انفتاح الاسلام على ثقافاتهم بالتأثير والتأثر بتلك الحضارات العريقة فامتزج المجتمع المسلم بهم وطبع بطابعها الفكري وكانت الحتمية التاريخية تتطلب ذلك لاتساع رقعة الاسلام.

جاء ميلاد التيار الصوفي في ظل هذه الظروف المتناقضة والمتباينة وأسس لنفسه تيارا فكانت بداياته تأملية فردية لمتقنين كبار والذين عملوا من مواقعهم على تأسيسه على ركائز اجتماعية وثقافية فأصبحت ما تعرف بالطرق الصوفية أو الطرقية وقد استندت هذه الطرق على مؤسسة الزاوية التي اتخذت منها صرحا ثقافيا وفكريا.

إذا تأملنا في مصطلحي الفلسفة والعرفان نجدهما متداخلين فيما بينهما فكلاهما يعتمد على العقل كوسيلة للوصول إلى المعرفة وفي نفس الوقت نجد تماثل واضح بين العرفان والتصوف كون كلاهما يعتمدان على الذوق الحسي الوجداني. وإذا نظرنا إلى التعاريف الخاصة بالفلسفة تجدها تصب في كونها نظام معرفي يحاول التعرف على ماهية الوجود وما يحيط به من جانب ميتافيزيقي والأداة المستعملة فيه هي العقل الذي يعتمد على البرهان

¹ آثار المعتزلة مسألة خلق القرآن وانتشرت هذه الفتنة في عهد المأمون حيث أنهم أقرروا بأن القرآن الكريم مخلوق وليس كلام الله واقتنع الخليفة به، أما الامام أحمد بن حنبل فقد عارض ذلك بشدة وقد تلقى أذى كبير من أجل ذلك. أنظر: أبي عبد الرحمان بن حنبل، السنة، ج1، تح القحطاني محمد، ط1، دار بن القيم، المملكة العربية السعودية-1986م، ص32.

والاستدلال¹. أما العرفان فهي كلمة مأخوذة من المعرفة، أي الوصول إلى معرفة الله والفناء فيه، والبحث عن حقائق هذا الوجود وهو غاية المتصوف، فالتصوف حسب تعاريف الباحثين هو علم اعتمد على الجانب الروحي في الاسلام باعتباره بعدا أساسيا، أما العبادات فهي جاءت لتنمي هذا الجانب².

خاتمة:

من خلال ما قدمناه من تعاريف مختلفة حول الخطاب والخطاب الديني وخصوصا

الصوفي منه تجلت لنا بعض الاستنتاجات تمثلت في النقاط التالية:

- اختارت طائفة من المسلمين ترك الدنيا بملاذاتها ولبس لباس الزهد اقتداء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.

- عرف الخطاب الصوفي تطورا لافتا للنظر، فمن الزهد إلى التصوف ثم إلى فلسفة التصوف وقد أدى ذلك إلى انزلاقات خطيرة مما أثار الفقهاء وبعثهم بالمروق.

- مر الخطاب الصوفي بعدة أطوار فنجد طور الزهد الذي التزم أصحابه بإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته في حياتهم الدينية والدنيوية دون غلو ولا تفريط.

¹ تعريف الفلسفة هي كلمة مشتقة من اللفظ اليوناني فيلوسوفيا، دخلت اللغة العربية في عصر الترجمة، ومعناها محبة الحكمة أو طلب المعرفة أو البحث عن الحقيقة. وعلى الرغم من هذا المعنى الأصلي

² مفهوم التصوف أنظر: أحمد عيسى عبده غالب، مفهوم التصوف، ط1، دار الجيل، بيروت-1992م، ص9.

- أما طور العشق الالهي فتطور نتيجة لعوامل اجتماعية ونفيسة بالتحديد حيث سادت عدم الثقة بين الناس لانغماس أكثرهم في ملذات الحياة وعزوف البعض الآخر عن مجاراتهم وكذى تفسخ القيم الأخلاقية فنجد رابعة العدوية تعزف عن الزواج والتشبت بالله وافراغ جانبها العاطفي فيه وحده لأنه أهل له وحده.

- ثم طور السكر والفناء وفيه اتسعت الهوة بين الواقع المادي والواقع اللامادي للمتصوفة فتصور لهم أنهم باتصال مباشر بالله فطاب لهم ذلك واستأنسوا به ونجد في ذلك البسطامي الذي عبر عن فنائه.

-أما الحلول الذي اشتهر به الحلاج والشبلي الذي قال في هذا المقام: "أنا والحلاج شيء واحد فخلصني جنوني وأهلكه عقله".

-ظهر بعد ذلك مرحلة التأليف وتم من خلالها كتابة مجلدات تعبر عن الخطاب الصوفي ونجد منهم سراج الدين الطوسي وكتابه الذي هو بين أيدينا: "اللمع في تاريخ التصوف"، وكذى الكلباذي الذي ألف كتاب سماه: "التعرف لمذهب أهل التصوف" والكتاب المشهور إحياء علوم الدين " لأبي حامد الغزالي والذي يعد من أهم الموسوعات لتاريخ التصوف وفقهه وقد عرف أيضا انتقادات كبيرة.

ثم ظهرت الطرق الصوفية كحتمية تاريخية يفرضها الواقع الخطاب الصوفي بعد أن وصل مراحل متقدمة من النضج وبالتالي فعلى المرید وهو في طريقه للوصول إلى الله يتنزم عليه أن يؤخذ بيده والشيخ هو الأجدر لفعل ذلك لماله من علم لا دوني.

المقسم الأول

الخطاب الصوفي للطرق الصوفية في

الجزائر وبلاد المغرب

المفصل الأول

حركية الخطاب السياسي وانعكاساته على

أوضاع بلاد المغرب أثناء الوجود

العثماني

أولاً: الأحداث الخارجية وانعكاساتها على بلاد المغرب.

ثانياً: الأوضاع الداخلية في بلاد المغرب قبيل وأثناء الوجود العثماني.

ثالثاً: الخطاب السياسي التواصلي بين دول بلاد المغرب.

توطئة:

وقبل الخوض في الخطاب الصوفي أثناء العهد العثماني كان لزاما علينا القيام بمسح موجز على الوضع السائد في تلك الفترة خصوصا الخطاب السياسي وأثره في بلورت الخطاب الصوفي على مستوى الأقطار الاسلامية وبالتحديد على مستوى بلاد المغرب (تونس، الجزائر، المغرب). وقد صب جل اهتمامنا على هذه الأقطار لعدة أسباب منها كونها تقع في الشمال الافريقي وأنها متجاوزة وحتى الخطر الصليبي بات يهددها لأنها تعد بوابة إفريقيا.

أولاً: الأحداث الخارجية وانعكاساتها على بلاد المغرب

لم تكن بلاد المغرب بمعزل عن التطورات الخارجية والتغيرات التي حدثت سواء على الأقاليم العربية الاسلامي خاصة الفكرية منها أو التغيرات الحاصلة في الدول الغربية والتي تشهد نهضة علمية كالتى شهدها العالم الإسلامى من قبل.

1- الوهابية وانتقالها إلى بلاد المغرب:

أ- الدعوة الوهابية في المشرق:

أطلقت هذه التسمية نسبة لمؤسسها¹ الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي(1115-1206هـ/1703-1791م)²، ولد الشيخ في بلدة العيينة ببلاد نجد، في بادئ الأمر تتلمذ على يد والده عبد الوهاب الذي كان من رجال العلم له رسائل في الفقه والتفسير. انشغل بن عبد الوهاب بمطالعة الكتب التوحيد حتى أصبح ينكر على الناس ممارساتهم الدينية الممزوجة بالبدع والخرافات والشرك.

لم تكن لدعوته أذان صاغية فلم تجري الأمور على النحو الذي يرغب فانتقل إلى مكة لأداء فريضة الحج، وأقام في المدينة المنورة بعض الوقت فأخذ العلم على يد الشيخ عبد الله بن إبراهيم ثم الشيخ العلامة محمد حياة السندي المدني، وهو في المدينة المنورة لاحظ الناس يستغيثون عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأنكر عليهم ذلك. ثم رحل بعدها إلى البصرة وفيها نزل عند أحد العلماء فدرس على يده اللغة والحديث والفقه، لاحظ بعض السلوكيات صدرت من طرف أهل البصرة أنكروا عليهم لزعمة أنها من البدع والشركيات استحسّن شيخه ذلك الانكار، لكن أهل البصرة لم يعجبهم ذلك فقاموا بأذية بن عبد الوهاب وشيخه.

لم يكف بن عبد الوهاب عن طريقته في الدعوة إلى التوحيد وإنكار البدع بل بالغ في ذلك. وقد انتقل إلى الأحساء بدل الشام بعد نفاذ زاده ثم إلى حريملا، وقد سبقه أبوه إليها

¹ أتباع المذهب الوهابي لا يفضلون هذه التسمية على دعوتهم رغم أن العادة قد جرت على أن تتسب أي دعوة إلى الأب المؤسس.

² هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف التميمي، أنظر: ابن غنام حسين، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، المعروف بتاريخ نجد، ت ناصر الدين الأسد، ط4، دار الشروق، بيروت-1994م، ص56.

سنة (1139هـ/ 1726م) حيث بدأ دعوته هناك بلهجة متشددة حتى وقع كلام بينه وبين أبيه¹.

ذاع صيته في المنطق المجاورة كالعينية والدرعية والرياض ومنفوحة... حيث جمع حوله أتباع لازموه وسلكوا منهجه فقد ألف "كتاب التوحيد". وهو في حريصا قام الشيخ بن عبد الوهاب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عبيد كثر فسقمهم وتعديهم فكادوا أن يفتكوا به لولا انكشاف مكيدتهم فقاموا هاربين، وعلى إثر ذلك الحادث قام الشيخ بانتقال إلى العينية فقام أيضا بالتحريض على تحطيمها واستمرت هذه المشاهد وإقامة الحدود حتى في زانية التي رجمت حتى الموت². كان الوقع كبيرا على نفوس الناس خاصة على رئيس إقليم الأحساء فكتب يأمر بقتل الشيخ أو اخراجه من البلاد فستجاب عثمان بن وعود وأمر الشيخ بالخروج من عينية.

ب- تعاليم الوهابية:

ترتكز تعاليم الوهابية على ثلاث ركائز التوحيد وكذى محاربة البدع والجهاد والاجتهاد وهي كما يلي:

- التوحيد:

¹ عن ذلك الخلاف يذكر مفتي الشافعية بمكة "أحمد بن زباني" أن أباه كان من العلماء الصالحين، فكان يرى فيه الإلحاد ويذمه كثيرا ويحذر الناس منه، وكذا أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب أنكروا عليه ما أحدثه وألف كتابا يراد عليه: أنظر دحلان أحمد بن زباني، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ط1، المطبعة الخيرية، مصر-1888م، ص299.

² ابن بشر عثمان بن عبد الله، في تاريخ نجد، ج1، ط4، ت. عبد الرحمان بن عبد اللطيف، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، رياض-1982م، ص56.

يذهب بن عبد الوهاب إلى أن التوحيد هو نفي أي شريك لله تعالى في الألوهية والربوبية، وبالتالي فعبادة غير الله يعد شركا وإن لم يعتقد الفاعل ذلك¹. وأن سلوكات المسلمين المنحرفة أثناء الممارسات تعد من نواقض التوحيد وهي بمثابة الارتداد عن الدين وعليه تجديد التوبة².

-محاربة البدع:

استنكرت الوهابية بعض السلوكات التي كانت شائعة في الحجاز، وأقرت على أنها بدع من الواجب محاربتها ومثال ذلك الزيارات الآذان ومشى النساء وراء الجنائز، والاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم... الخ.

-الاجتهاد:

أعاد بن عبد الوهاب بعث وإحياء أفكار بعض العلماء كابن تيمية وكتابه "إعلام الموقعين"³ وغيره مصرحا بذلك في بعض رسائله الداعية إلى الرد على أهل العناد، منتهجا طريقة الإمام أحمد بن حنبل، حائما حول أفكار الشيخ بن تيمية وتلميذه بن قيم الجوزي.

¹ يرى جمهور علماء السنة أن هذا التقسيم للتوحيد غير مسلم به وحتى العلماء المغاربة لهم نفس الرأي.

² هم في ذلك يحملون الطرق الصوفية المسؤولية كاملة. أنظر ابن غنام حسين، روضة الأفكار الأفهام لمرتاد حال الإمام (تاريخ نجد)، ط4، تح ناصر الدين الأسد، دار الشروق، بيروت-1994م، ص83.

³ كتاب "اعلام الموقعين عن رب العالمين" لشيخ الإسلام بن تيمية(691م-751هـ) من أهم الكتب يعد موسوعة فقهية وأحسن طبعة هي التي حققها مشهور بن الحسن آل سلمان.

وقد قام الوهابيون بتحريم بتنفيذ أحكام الشريعة بالقوة والجزر فالرجل يمنع من لبس الحرير والذهب...

-الجهاد:

ما هو متفق عليه عند جمهور العلماء أن إعلان الجهاد يكون من طرف الإمام أو الخليفة وذلك للدفاع عن الدين أو الأرض من المعتدين وحفاظا على الأرواح والممتلكات وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في حجة الوداع عن جابر: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»¹

يعتبر الوهابيون أن كل من يخالفهم في توجهاتهم سواء داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها هم خارجون عن التوحيد الصحيح ويتالي فإن دمائهم مستباحة، فقد سفكوا دماء الكثيرين باسم الدين، وبهذا الموقف فقد فتحوا جبهة ضد النظام العثماني.

ج-من الدعوة إلى السياسة:

لا نستطيع الفصل بين الحركة الوهابية وتأسيس الدولة السعودية حتى أن الوجود السعودي وهيمنته على المنطقة كان ينقصه تصور فكري وخطاب يستند إليه لإعطاء مشروعية حتى تلتف القبائل المعادية للوجود العثماني في المنطقة أي الجزيرة العربية.

¹ أخرجه مسلم في صحيحه، ص1218.

تأسست الدولة السعودية الأولى (1157-1233هـ/1744-1818م) بعد أن قام بن عبد الوهاب بالتحالف مع محمد بن سعود حاكم درعية، وقاما بنشر الدعوة وبالتالي توسع الدولة في نجد والأحساء ثم الحجاز، وأنداك شعرت الدولة العثمانية بالخطر الذي يدهماها من الدولة السعودية، قام والي بغداد بمحاولة القضاء عليها لكنها باءت بالفشل، مما زاد في ثقة الأمير السعودي سعود بن عبد العزيز فقام بالهجوم على العراق سنة 1801م أدى إلى تحطيم ضريح الامام الحسين بن على رضي الله عنهما، فأتار انتقام الشيعة والذين تمكنوا من اغتيال الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود¹.

د-الارهاصات الأولى لانتقالها إلى بلاد المغرب:

يعتبر الحجاز موطن نشأة الوهابية، وبما أن المشرق والمغرب يتفاعلا بينهما عن طريق رحلات الحج والتجارة ومما لاشك فيه أن إمكانية تسرب أفكار الوهابية إلى بلاد المغرب غير مستبعد.بدأت أخبار الوهابية تصل عن طريق ما سجله الرحالة والمؤرخون وقد أشار الزباني إلى أنه هناك مواجهات محتدمة بين العثمانيين والوهابيين مما سيؤثر على حركة الحج.

استطاعت الوهابية بث أفكارها عن طريق الحج منذ سنة 1797م إلى الأقطار الاسلامية ومنها بلاد المغرب، انعكست حالة الانفراج تلك على علماء الوهابية عند

¹ ابن بشر، المصدر السابق، ص 447.

مناظرتهم للعلماء المغاربة وغيرهم وهذا ما سجله الشيخ أبو راس الناصري المعسكري¹ الذي ناظر علماءها يقول في كتابه "فتح الإله ومنته في الحديث بفضل ربي ونعمته" ما يلي: «ولما ذهبت للحج سنة ست وعشرين لقيت علماء الوهابية (وهم تسعة علماء أكابر جماهير، وأفضلهم) الشيخ على تاسعهم (فوقع لي معهم مناظرة ومباحثة واعتراضات وسؤالات، وأجوبة وفائقات، ودلائل، وقاطعات، وأحاديث مروية عن أكابر الأئمة من الأمهات) ثم تناظرنا (بعد صلاة العصر قبالة "الحجر" في "صلاة العصر"، قراءة "دليل الخيرات"، والتسبيح بـ "السبحة" ومشاهد السادات، وهدم (مباني الأولياء ذوي الكرامات)»².

هـ-رسالة محمد بن عبد الوهاب إلى أهل تونس:

قام محمد بن عبد الوهاب بإرسال رسالة دعوية³ يحث بها أهل تونس لإتباع دعوته والولاء له، وجاء فيها تهديد لمن يخالفه بالشرك واستباح قتله، أحدثت هذه الرسالة ضجة كبيرة في الأقطار التونسية مما اضطر حمودة باشا أن يطلب من علماء عصره أن يقوموا بالرد على هذه الرسالة، وقد قام عمر محجوب الإمام الثالث لجامع الزيتونة(1724-

¹ العلامة أبو راس الناصري هو محمد بن أحمد بن الناصر الجليلي، ولد(1165هـ-1752م/1238هـ-1823م) بضواحي معسكر ترعرع في كنف عائلة فقيرة جدا نبغ في العلم منذ صغره فأصبح مؤرخا وقيها ومحدثا، ألم بمختلف العلوم عرف بذاكرة قوية سريعة الحفظ شهد أحداثا هامة الحملة الفرنسية على مصر وحركة محمد عي باشا، كما كانت له كمناسرات مع علمائها.

²أبي راس الناصري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ت. محمد بن عبد الكريم، م.و.ك، الجزائر-1990م، صص(118،119).

³ نص الرسالة كاملا أنظر الملحق رقم:01

1807م) وهو كذلك قاضي الجماعة وفتيها بالرد على الرسالة¹ وكما كتب أبو الفداء إسماعيل التميمي كتابا بعنوان "المنح الالهية في طمس الضلالة الوهابية" يعد هذا الكتاب من كتب الرد على ادعاءات الوهابية وهو كتاب مطول².

لم يستطع محمد بن عبد الوهاب أن يضع ردا رسميا على رسالة عمر المحجوب التي أرسلها له حمودة باشا لأن جواب الرسالة كان معلل بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقد وصفه في الرسالة بأنه أباح دماء المسلمين وقد أثار الفتنة.

2- حملة نابليون على مصر:

لقد أحدثت الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بنا بارت أثرا كبيرا على أوروبا والعالم الإسلامي لاسيما الجزائر بالتحديد ويتضح ذلك من خلال مؤلفات العلماء أمثال أبي راس الناصري، وكذا على مواقف شيوخ الطرق الصوفية كابن الأحرش الذي شارك هذا الأخير بنفسه في مقاومة الفرنسيين وإخراجهم من مصر، وعلى إثر عودته من رحلة الحج إلى الجزائر ثار على العثمانيين³.

وقد كان من نتائج هذه الحملة على مستوى العالم الإسلامي بداية القيام بإصلاحات كمثل التي قام بها محمد علي باشا وقد مست مجالات عدة الاقتصادية والإدارية وتحديث

¹ نص الرد على الرسالة أنظر الملحق رقم: 02

² أحمد بن أبي ضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج3، تح لجنة من وزارة الثقافة، دار العرب للكتاب، تونس-1999م، صص (60-75).

³ عن ثورة بن الأحرش وما خلفته انظر: يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار الغرب الجزائر-2010، ص 124.

الجيش وكذلك الإصلاحات العثمانية في عهد السلطان محمود الثاني¹ وقد استعان في ذلك بخبراء أوروبيين. لكن ذلك زادت من ضعف الدولة العثمانية، ومن أحد الأسباب نجد الاستعانة بالأجانب الذين لا يفقهون لنمط عيش الإسلامية والأحكام الفقهية في مسائل تسيير الدولة والذين اعتبروها عائق نحو التقدم²، ومن هذا المنطلق أصبح التفكير في فصل الإسلام عن الدولة حتى تتجح الإصلاحات على النمط الأوربي وبالتالي بدأت مرحلة تغريب العالم الإسلامي.

3- الدولة العثمانية:

مثلت الخلافة العثمانية القوة التي تحمي العالم الإسلامي من الأطماع الصليبية المتحالفة ضدها، و بظهور الثورة الصناعية في أوربا، بدأت الخلافة العثمانية بالضعف في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وقد ازداد ضعفها بتحطم أسطولها البحري، رفقة الأسطول الجزائري في معركة نافارين جنوب اليونان عام 1827م أمام التحالف: الإنجليزي، الفرنسي، الروسي.

¹ هو محمود خان الثاني ولد سنة 1785م قام بإصلاحات واسعة استأنفها بالإصلاح الحربي فأجبر الانكشارية على اتباع التنظيمات القديمة التي وضعها السلطان سليمان القانوني التي أهملت شيء فشيء، لقي هذا الأمر معارضة شديدة كاد العاصمة أن تحرق على آخرها لم يستطع السلطان السيطرة على الانكشارية ففضل مجاراتهم حتى تخلص منهم نهائيا سنة 1826م، شكل السلطان محمود الثاني فرقا عسكرية بالطراز الحديث مستعينا بضباط أوروبيين لم ينفذ كل ذلك في رجوع من الدولة العثمانية إلى مكانتها السابقة في خضم التصاعد وتيرة نهضة الدول الأوروبية.

² أصبح الإسلام في نظر الإصلاحيين عقبة أمام التطور فنظريات الخبراء الأوربيين تدعو إلى الإصلاح الجذري حتى في النظام القضائي والتعاملات المصرفية كالقوائد وغيرها مما تتنافى والتشريع الإسلامي.

أما انعكاساتها على بلاد المغرب فقد استغل الفرنسيون ضعف الدولة العثمانية، ولا سيما في الجانب البحري بعد تدمير جزء كبير من أسطولها الذي يعتبر العمود الفقري للقوة العسكرية العثمانية، فقاموا باحتلال ولاية الجزائر التابعة اسمياً للدولة العثمانية وقد حدث ذلك في عام 1830 م¹.

ثانياً: الأوضاع الداخلية في بلاد المغرب قبيل وأثناء الوجود العثماني

1- تونس:

أصبحت تونس تحت الحكم الحفصي سنة 1230م، حيث أنهم اعتمدوا على العنصر الأجنبي لفرض سيطرتهم على البلاد مما أدى ذلك إلى ضعف كيان الدولة وضمحلل حكمهم وظهور أزمات طال أمدها فنتج عن ذلك الاضطرابات الداخلية، فأخذت الدولة في التلاشي شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في مدينة تونس وما جاورها، كما أن سواحلها لم تسلم من السيطرة الإسبانية بالإضافة إلى الوجود العثمانيين في البحر المتوسط الذين كانوا ينشطون في الجهة الغربية التي أصبحت مسرحاً للصراع الإسباني التركي وذلك بقيادة الراجيس درغوث². تمكن سنان باشا من ضم تونس إلى الامبراطورية العثمانية وبالتالي زوال الدولة الحفصية سنة 1574م.

¹ حمدان خوجة، المرأة، ت.ت. العربي زبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر-1975م، ص 149.

² هو درغوث باشا من أصل يوناني ولد عام 1485 وتوفي في 23 جانفي 1565 م كان أيضاً باي الجزائر، وبإيليرباي البحر الأبيض المتوسط، وباي ثم باشا طرابلس اشتهر بانتصاراته العديدة على المسيحيين.

صارت تونس ولاية من الولايات العثمانية يحكمها باشا يرسل من إسطنبول كما كانت تسمى وجاقا أو سنجاقا وقد طبع الحكم الطابع العسكري حيث كان عدد الانكشارية الأتراك يتراوح بين ثلاث آلاف والأربع آلاف جندي¹، مهمتهم الرئيسية تمثلت في حماية البلاد من الضربات المسيحية أما على الصعيد الداخلي فالنظام التركي كان في معظمه غير مرغوب فيه من طرف قبائل المنطقة.

أ- عهد الدايات:

وصل الدايات إلى سدة الحكم بعد ثورة 1591م، حيث اغتتم جنود الانكشارية فرصة الأزمة السياسية التي حصلت في إسطنبول وعينوا "ابراهيم ود علي" حاكما وما كان على السلطة المركزية بالأستانة سوى الاعتراف بهذا الوضع وقد تولى على حكم تونس عدد كبير من الدايات.

ومن أشهر هؤلاء الدايات نجد الداوي عثمان (1589-1610م)، وقد عرف بجهوده في تعمير البلاد، وسنه للقوانين التي تنظم شؤون الرعية، كما أنه استقبل المهاجرين الأندلسيين ومنحهم أراضي وأموال فكان ذلك عامل من عوامل ازدهار البلاد وإنشاء مدن جديدة.

¹ محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، مع محمد شاوش - محمد عجينة، ط3 ، دار السراس للنشر، تونس-1993م، ص 68.

أما "يوسف داي" (1610-1631م)، في عهده اشتد الخلاف بينه وبين الجزائر كما استرجعت تونس جزيرة "جربة" من ولاية طرابلس العثمانية¹.

ب- عهد البايات المراديون:

نجح مراد باي في الوصول إلى سدة الحكم والسيطرة على شؤون تونس، كما تحصل على تأييد من الباب العالي وأصبح يحمل لقب "باشا" فانتقل الحكم من الدايات إلى البايات، حتى أنه استطاع أن يورثه لأبنائه من بعده فتأسست أسرة حاكمة سمية الأسرة المرادية والتي حكمت البلاد إلى غاية 1702م. قام بايات هذه الأسرة بعدة إنجازات عمرانية كبناء المساجد ومدارس العلم وغير ذلك من الأعمال، لكن حالة النزاعات بين أفراد الأسرة على السلطة والاستتجاد بالجزائر حال دون ذلك بل حدث تخريب في المدن التونسية².

ج- عهد أسرة الحسينيون (1705-1814م):

في ربيع الأول من سنة 1705م انتقل الحكم في تونس من الأسرة المرادية إلى الأسرة الحسينية فأسس "حسين باي"³ ملكا لأسرته الذي استمر إلى غاية إعلان الجمهورية التونسية سنة 1957م.

¹ شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة-1988م، ص109.

² شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص110.

³ هو حسين باي الأكبر يرجع أصله لجزيرة تكريت وقد جاء أبوه إلى تونس أيام الدولة المرادية، وانخرط في الجند الانكشاري، فنشأ ابنه في أحضان بايات بني مراد، فتقلد عدة مناصب في الولاية حتى انتخب واليا، ومن أهم أعماله ترميم

استطاع حسين باي أن يجعل الولاية وراثية يتوارثها الأكبر من ذريته حتى يضع حدا للطامعين في السلطة، كما عمل على تقليص نفوذ جنود الانكشارية ومزجهم بالعناصر الكرغلية¹ فانحصر دوره في الحفاظ على النظام العام، أما ممثلوه في الديوان فقد تقلص دورهم وأصبحوا يقومون بمهام شرفية وأصبحوا يشغلون وظائف من الدرجة الثانية.

كما أنه استعان في حكمه برجال لم يتقلبوا في مناصب عليا وبالتالي ليس لهم اطماع في السلطة كما استعان برجال الدين والعلماء والأولياء والصالحين وكذى الأعيان والأغنياء وسهل عليهم عملية الاستثمار في موارد البلاد وبذلك تكونت عائلات توارثت المناصب وإدارة أملاك الدولة.

ورغم ذلك خرج عليه ابن أخيه "علي بن محمد" بعد خلع منه الولاية ومنحها لابنه وانتهى الأمر إلى مقتل "حسين باي" جنوب القيروان سنة 1740 م وأدى هذا إلى صراعات دموية بين أفراد الأسرة وإلى تدخل الجزائر في شؤون تونس. تدهورت أوضاع البلاد في عهده جراء سوء التسيير زادت في تأزم الأوضاع والقيام بالعديد من الثورات أغرقت البلاد في سيل من الدماء.

د-الدولة الحسينية في عهد حمودة باشا(1756-1814م):

سور مدينة فاس وتحصين قلاعها ثم عمل على اقرار الأمن وتشر العدل فازدهرت في عهده الزراعة والصناعة والتجارة ومن أهم منشآته العلمية مدرستي الحسينية والنخلة كما بنى مسجدا ومقرا لحكومة الأيالة في "باردو".¹ من آباء أتراك وأمهات من السكان المحليين وقد شاع هذا العنصر في المدن التي تواجد فيها الجنود الانكشارية.

بعد اعدت تنصيب ابني حسين بن علي عاد الهدوء إلى البلاد، سرعان ما انتقل الحكم إلى علي باي الابن الثاني لحسين بن علي وفي عهده انتهت الحروب الأهلية، امتازت سياسته الخارجية بالتهدئة خاصة مع الجزائر، أما مع الدول الأوربية فتميزت بتبني النظام الرأسمالي ومحاولة تكييفه مع مصالح البلاد وإبرام صفقات مع التجار الأوربيين.

أما داخليا فقد تميزت سياسته بالمرونة فقد تنازل على جزء من مهامه خصوصا في الجانب الاقتصادي وترك المهمة لاجتهادات الأعيان بالنسبة للتصدير والاستيراد مع الدول الأوربية، وقد انعكست هذه السياسة بالإيجاب على الصعيد الاجتماعي ومؤازرة مختلف الفئات الاجتماعية من علماء ورجال دين وعامة الطبقات الاجتماعية وقد عمل نظام الحكم على كسب ثقة القبائل وذلك بشتى الطرق كالإعفاء من الضرائب ومنح الألقاب الشرفية لشيوخها وتقريبهم من الباي والوزراء¹.

2-المغرب الأقصى والدور الصوفي:

أ-عشية ظهور الأسرة السعدية:

أدت الاضطرابات الداخلية التي شهدها المغرب إلى ظهور أسرة ثانية ذات أصول بربرية،هي الأسرة الوطاسية التي تمكنت من القضاء على المرينيين سنة 1465 م وأنشأت مملكة في المغرب الأقصى،لكنها لم تتمكن من بسط سلطانها على جميع أنحاء البلاد، كما لم تتمكن من التصدي للمستعمرين.

¹ شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص120.

وما يلفت انتباهنا إن سياسة التي انتهجها الحكام الوطاسيين اضعفت نفوذهم وزعزعت ثقة الشعب بهم، وذلك لانشغالهم بخلافاتهم الداخلية، فانقض عنهم المغاربة وصارت البلاد غارقة في الفوضى، فزوال مملكتهم كان مسألة وقت في تلك الظروف الحرجة التي كانت تمر بها المغرب، ولم يبدي سلاطينها أية جدارة للخروج من أزمات لتلك المرحلة¹.

أصبح المغرب في مطلع القرن السادس عشر مجزأ إلى وحدات سياسية صغيرة تحت زعامات قبلية، أو دينية، أو مجالس محلية مستقلة تماما عن الحكم الوطاسي ولا تتبعهم إلا اسمياً، فنجد منها : إمارة آل المنظري في تطوان وإمارات بني راشد في شفشاون وآل عبد الحميد في القصر الكبير، وآل رحو في دبدو... الخ ولافت للانتباه أن هذه الإمارات لم تكن على وفاق بينها خاصة المتجاورة منها، إذ كانت تقوم بينها نزاعات لأسباب مختلفة، لذا أصبحت مسألة استمرار الوطاسيين في الحكم مسألة وقت فقط، وكان لابد من قوة جديدة لإنقاذ المغرب حلول محل الدولة الوطاسية التي باتت ممزقة فنخرت الفتن اوصالها وتشرذم مدنها، وتكالب المستعمرون الأوربيين عليها.

تلزم الأمر القضاء على سلطة الوطاسيين وإحلال اسرة اخرى مكانهم بعد فشلهم الذريع في التصدي للخطر الاستعماري للبرتغال والأسبان ونتيجة منطقية لتسلسل الأحداث التي عايشها المغرب الاقصى في اواسط القرن السادس عشر والذي أدخل البلاد في مخاطر

¹ عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط-2006م، ص65.

كبرى، تجلت بصورة واضحة في سقوط غلب المدن الساحلية، وكان القوة المؤهلة لإحداث ذلك التغييرهم مرافئ المغرب بيد المستعمرين¹.

أثبت المتصوفة خلال المراحل السابقة انهم الاكثر تأثيراً في تعبئة قوى المغاربة، استطاعوا استغلال نفوذهم الديني، ومواقفهم المناهضة للاستعمار، واستنكارهم للوضع المتردي الذي سببته الأسر الحاكمة للمغرب لجعلها نقاط قوة لسحب بساط الحكم من تحت أقدام الوطاسيين لصالح السعديين².

ولم تظهر أطماع السعديين السياسية إلا في مراحل لاحقة، وذلك بعد تمكنهم من استقطاب تأييد المغاربة الذين أدركوا أن السعديين هم رجال هذه المرحلة العصبية.

-الصراع السعدي الوطاسي:

يرجع أصل السعديين إلى مدينة ينبع من جزيرة العرب الذين استقروا في وادي درعة في أوائل العهد المريني، أكسبهم نسبهم العائد إلى قبيلة بني سعد مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم³ احتراماً وسط المغاربة.

لم تزعج تحركات الأولى للسعديين الوطاسيين لعدم شعورهم بالخطر، كما أن السعديين كانوا حريصين كل الحرص على العمل دون اثاره شكوكهم أو مخاوفهم مع إظهار الولاء

¹ الوفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، ت هوداس ، المطبعة المشرقية أندري بوردين، باريس-1888م، ص9.

² نفسه، ص10.

³ مما لا شك فيه أن السعديين عرب لكن يشير الوفراني أن مولاي محمد الشريف العلوي طعن في نسب السعديين ونسبتهم إلى قبيلة بني سعد. أنظر: الوفراني، المصدر السابق، ص6.

لحكامهم إلى أن استلم أحمد الأعرج مقاليد حكم أبيه إذ أحس الوطاسيون بشكوك تزايدت بعد دخول السعديين مراكش رغم حرصه الشديد في عدم مواجهتهم حتى تكون الظروف سانحة، قام السلطان الوطاسي بمحاصرة مراكش وسرعان ما فك الحصار نتيجة اندلاع ثورة قام بها أولاد عمه في فاس. أحس أحمد الأعرج أن الوقت قد حان للتحرك تجاه فاس وقد أسفر عن ذلك حدوث معركة بواد العبيد أسفر عن ذلك هزيمة كبيرة في صفوف الوطاسيين وكان ذلك سنة 1537م¹.

شعر عدد كبير من العلماء بخطورة الوضع وتأثيره على الجهاد ضد الخطر الصليبي والزامية المفاوضات بين السعديين والوطاسيين رغم المعارضة الشديدة للسعديين نجحت المفاوضات التي أسفرت على تقسيم المغرب فالمناطق الواقعة من تادلا إلى السوس تحت السيطرة السعدية وباقي المناطق التابعة للوطاسيين تبقى على حالها.

ب-المغرب في العهد السعدي:

-المغرب في عهد محمد الشيخ(1540-1557)م:

¹ محمود علي، تاريخ المغرب العربي الحديث "المغرب الأقصى -ليبيا"، منشورات جامعة دمشق، دمشق-2000م، ص36.

عمل السعديون على استرداد أغادير من السيطرة البرتغالية وكان ذلك سنة 1541م مما اضطر البرتغاليون لإخلاء آسفي وزمور وتصفية الجنوب من الاحتلال، لقد كان وقع هذا النجاح كبيرا لدى المغاربة، وأصبح بإمكان السعديين توجيه الأنظار نحو الشمال¹.

أدى الخلاف الذي حصل بين الأخوين محمد الشيخ وأحمد الأعرج إلى انسحاب هذا الأخير. واصل السعديون الزحف نحو الشمال فحاصروا فشتالة واستولوا عليها، أحرز محمد الشيخ انتصارا باهرا على الوطاسيين أسر على إثره السلطان الوطاسي أحمد. أخذ عم السلطان أحمد المدعوا أبو حسون -حاكم إقليم باديس- زمام أمور الحكم وأعلن ولاءه للعثمانيين أما محمد الشيخ فقد رفض ذلك بشدة مما فتح صفحة عداة مع العثمانيين كانت نتائجه وخيمة على المغرب.

عمد محمد الشيخ إلى محاصرة فاس حتى يتجنب سفك دماء الفاسيين وبعد محاولات عديدة تحقق له ذلك، استخدم محمد الشيخ مع الفاسيين اللين والمعاملة الحسنة وكسبهم فقد عمل على عدم حدوث أي عمل تخريب أو نهب للممتلكات.

والمفقت للانتباه أن محمد الشيخ اخل بقاعدتين قام على أساسها ملك السعديين أولها قاعدة الجهاد أما القاعدة الثانية وهي السند المرابطي فقد فرض الضرائب على العام والخاص وقد أدت هذه السياسة إلى ثورات القبائل في الجنوب والجبال مما نجم عنها تصدع العلاقة بينه وبين القوى المرابطية التي كانت تشكل قوة داعمة للسعديين.

¹ عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 97.

-المولى عبد الله الغالب بالله(1557-1574):

استطاع الأتراك اغتيال محمد الشيخ فتولى المولى عبد الله مقاليد الحكم دون أي معارضة وكان قبل ذلك حاكما على فاس، لقب "الغالب بالله" وانتقل إلى مراكش لكثرة أنصار الأتراك، كما أنه كان قاسيا مع أسرته قتل بعضهم وهرب ثلاثة من إخوته إلى الجزائر¹، ومنح ولاية العهد لابنه محمد.

لم يحد المولى عبد الله عن سياسة والده الرامية إلى صد الزحف العثماني على المغرب وبالتالي لم يدخر جهدا في الاستعانة بأعدائهم من الاسبانيين والبرتغاليين وذلك بإبرام معاهدة هدنة والاستجابة لبعض مطالبهم وقد اتفق مع الفرنسيين على أن تنازل لهم على مرسى القصر الصغير مقابل مده بالأسلحة والعتاد الحربي وإرسال فرقة عسكرية تكون بمثابة الحرس الخاص له².

عرفت التجارة انتعاشا كبيرا مع فرنسا وانجلترا وكانت تدر عليهم أموالا طائلة، قد أقام السعديون هذه التجارة حتى يتم كسر احتكار البرتغاليين وما زاد في توسعها انسحابهم من آسفي وآزمور. استطاع السعديون التأسيس لتجارة مع الانجليز رغبة في الحصول على الأسلحة والذخيرة والأقمشة الإنجليزية التي كانت مطلوبة في المغرب وبالمقابل اهتم الإنجليز

¹ ما يلفت انتباهنا أن الجزائر أصبحت الملاذ الآمن للمضطهدين من جور الحكام المجاورين لها من الجانبين وهذا دليل على الاستقرار والأمن الذي بلغته بعد دخول الأتراك.

² يرجع ذلك لعدم ثقته بالحرس التركي الذي اغتال والده.

بالسكر ونيترات البوتاسيوم ذي جودة رفيعة والذي تزايد الطلب عليه في القرن السادس عشر¹.

-محمد المتوكل(1574-1576):

لم يدم حكمه طويلا حيث استغل الأتراك الفرصة بإلحاح من عما المتوكل بالله اللاجئين بالجزائر على استعادة حقهما من العرش المغربي وقد تزامن ذلك انتصار العثمانيين بتونس مما زاد تطلع الباب العالي إلى ضم ما تبقى من شمال إفريقيا². كانت رغبة العلي علي كبيرة والفرصة سانحة لوجود عدد كبير من القوات العثمانية للعمل في المغرب وعلى أن يعمل المغاربة والأتراك سويا لطرد المستعمر الإسباني من شمال إفريقيا.

استطاع عبد الملك وبمساعدة من الأتراك هزيمة بن أخيه الذي تخلى عنه معظم جيشه الذي انظم إلى عمه، وقد أبدى المتوكل مقاومة شديدة في الجنوب المغربي التي لم تفلح فلتجأ إلى البرتغاليين في طنجة.

-المولى عبد الملك(1576-1578):

استفاد عبد الملك من العثمانيين في الفترة التي قضاها في الجزائر كلاجئ فقد تعلم اللغة التركية والإسبانية والإيطالية وتعرف على نمط عيش العثمانيين واكتسب خبرة في الميدان السياسي والمسائل الدولية والتجارية.

¹ محمود علي، المرجع السابق، ص 49.

² عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 95.

عمل عبد الملك على ارضاء الأتراك وقد اعتمد في جيشه على العثمانيين والأعلاج
لخبرتهم في مسائل المدفعية والأسلحة النارية، والعنصر العربي في مسائل الخيل والفروسية،
وعلى الأندلسيين الحاقدين على عبد الله الأغلب وابنه لخيانته للثورة الأندلسية¹.

أعاد عبد الملك العلاقة التجارية مع الإنجليز كما كانت في سابق عهده وأبدى رغبته
في نقل التجارة نحو المشرق عن طريق المغرب بدل ألمانيا وإيطاليا وفي المقابل عقد
صفقات ببيع الذخيرة الخاصة بالمدافع مقابل كمية من نيترات البوتاسيوم وذلك لصراعه مع
المتوكل. أحس عبد الملك بتحالف الاسبان والبرتغال عليه لدى سارع في إبرام علاقات مع
الانجليز وإعطائهم امتيازات عديدة في المغرب².

من أهم المعارك التي خاضها المغاربة ضد البرتغال هي معركة وادي المخزن سنة
1578م في عهد جان الثالث اثر لجوء المتوكل له مع إبداء له الاستعداد لمنحه امتيازات
مغرية فجهز جان حملة صليبية حقيقية انضم إليها إسبانيون وإيطاليون وألمان وباركها البابا.
ارتكب سيباستيان قائد الحملة أخطاء فادحة كلفته الكثير فقد فقد ملك البرتغال والمتوكل بالله
حياتيهما. كان الحماس الديني غالب على المغاربة فقد رجحت الكفة لصالح المغاربة بالرغم
من وفاة سلطانهم عبد الملك أثناء المعركة³.

¹ وعد الغالب بالله بالمساعدة إذا ثاروا على الإسبان فلما أعلنوا ثورتهم سنة 1568م تخلى عنهم وانفق مع الإسبان يخرجوا
الأندلسيين إلى المغرب قاصداً بذلك تكوين جيش ينتفع به في مصالح ملكه. أنظر: عبد الكريم كريم، مر س، ص 48.

² نفسه، ص 100.

³ محمود علي، المرجع السابق، ص 58.

نتائج المعركة:

-مبايعة أحمد المنصور بعد انتهاء المعركة والتي جعلت منه أشهر سلاطين

المغرب¹.

-استغلال الفرصة من طرف ملك اسبانيا فليب الثاني لبسط سيطرته على البرتغال

بعد سنتين أي سنة 1580م.

-تهنئة العثمانيين للمغاربة بمناسبة انتصارهم العظيم الذي حققوه ضد الحملة

الصليبية.

-أحمد المنصور(1578-1603):

لقب بالمنصور غداة المعركة، وكانت هذه المعركة مكسبا عظيما على جميع الأصعدة

الداخلية والخارجية، وقد عرف المغرب نوعا من الاستقرار رغم قيام بعض الاضطرابات التي

أثارها أفراد أسرته. تمتع أحمد المنصور بسعة الثقافة والجمع بين ما هو تقليدي والمسائل

العصرية في الجانب الإداري والدبلوماسي فكان ممتازا في التسيير الإداري²، كما قرب منه

العلماء والفقهاء واستعان بالأتراك والأعلاج خاصة في المخزن والجيش، كما كان يتابع أمور

الدولة عن كثب بفضل عيونه في كامل أنحاء المغرب.

¹ عبد الكريم كريم، المرجع السابق ، ص72.

² وجه المولى منصور بعثة من علمائه إلى المشرق لاستمالة عدد كبير من عرب المشرق كما وجه رسالة إلى علماء المشرق لإمالة أهل المشرق إليه حتى أصبحوا يفتخرون به.

قام بتحديث الجيش حيث كان يتألف من عناصر أساسية تركز على الأتراك والعلوج والأندلسيين وقام بإنتاج الأسلحة الحديثة كما استعان بأسلحة أوربية الصنع، وقد أوكل أمر الأسطول إلى أبرز رجاله الرئيس إبراهيم وجعله في ثغر العرائش.

قام المنصور بمجموعة من الاجراءات مفادها جلب الموارد المالية فاحتكر سوق السكر والملح ونشط التجارة مع الأجانب وقام بالاستيلاء على مناجم الذهب بالسودان¹ ولم يكفه ذلك فأرهب الشعب بالضرائب وبطريقة تعسفية.

أحدث الطاعون أضرارا جسيمة في الأرواح وكذا تردي المستوى المعيشي للسكان مما اضطر بهم إلى اللجوء إلى الجبال فتعطلت التجارة والزراعة كما رافق الطاعون جفاف وقحط استمر لمدة ثلاث سنوات مما سبب في مجاعة. وما زاد المنصور حزنا وبأسا عصيان ابنه وولي عهده المأمون، توفي أحمد المنصور 1603م تاركا البلاد في مصير مجهول².

-انحطاط السعديين ونهايتهم:

¹ قام المنصور بفتح بلاد السودان التي وفرت له الذهب لذا سمي بالمنصور الذهبي، أنظر: الوفراني، المصدر السابق، ص88.

² نفسه، ص ص(188-189).

بعد النكبة التي عرفتها البلاد ووفاة المنصور بدأ عهد جديد من الاضطرابات والتنازع بين أولاد المنصور وأحفاده، انقسم المغرب إلى سلطتين إحداهما في فاس والأخرى في مراكش إضافة إلى إمارات المرابطين التي كانت تنافس السعديين في النفوذ¹.

وما هي إلا مسألة وقت لانتهاه الحكم السعدي ، لاسيما بعد انهيار مملكة فاس سنة 1626م على يد كروم الحاج أحد زعماء الطرق الصوفية²، فيما انهارت مملكة مراكش على يد عرب الشبانات سنة 1659م بعد أن تخلى الصوفية عنها³.

ج-المغرب في عهد الأشراف العلويين:

بدأت تحركات العلويين كبداية السعديين غير أن هذا الأخير اعتمد على القوى الصوفية أما العلويين برزوا كقوة إقليمية مناهضة للقوى الصوفية إضافة إلى ذلك زوال الخطر الأجنبي على السواحل المغربية وزوال الخطر الجزائري بسبب ضعف الأتراك والفوضى السياسية التي شهدتها في تلك المرحلة.

إذا كان نسب السعديين أصبح مشكوك فيه فإن نسب العلويين لا يشوبه أية شكوك فهم من ينبع من أرض الحجاز وهم أول من دخل المغرب وقد ساهموا في الجهاد بالأندلس عهد المرينيين.

¹ عبد اللطيف الشاذلي، الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن السابع عشر، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط- 1982، ص45.

² محمود علي، المرجع السابق، ص 71.

³ عبد اللطيف الشاذلي، نفس الصفحة.

بدأت حركة الأشراف العلويين من واحة تافالت عاصمة سجلماسة في عهد الفوضى التي تلت وفاة المنصور، تحالف المولى شريف مع أبي حسون لكن هذا الأخير غدره وألقى القبض عليه، فالتف الناس حول ابنه محمد الشريف ونجح في طرد أبي حسون من سجلماسة وعقد هدنة مع الدلائيين.

-المولى الرشيد(1669-1672م):

توفي المولى الشريف سنة 1659م ثم حدث خلاف بين المولى محمد وأخيه الرشيد، غادر هذا الأخير سجلماسة خوفا من بطش أخيه مستغلا الفرصة لدراسة أوضاع المغرب خلال تنقله في أنحاءها ليستقر لدى الشيخ أبي عبد الله اللواني، الذي ساعده على قتل اليهودي ابن مشعل وتمكن من الاستيلاء على ثروته الكبيرة التي ساعدته في كسب الأنصار من عرب الشرقي، واجه أخوه محمد الشريف في سهل الأنجاد حيث قتل هذا الأخير وانضم جيشه إلى الرشيد ثم ضم المغرب كله وانصرف إلى توطيد أركان دولته فاهتم بالجيش¹ وإنعاش الاقتصاد فضرب السكة وأقرض تجار فاس مبلغا ضخما لم يقض وقتا طويلا حتى يتمتع بإنجازاته لتفاجئه المنية في سنة 1672م².

¹ ألف الرشيد جيشا "الشرافة" من عرب الشرق وبربرهم وجعل منهم قبيلة واحدة، ويقال أن لفظ الشرافة في الأصل لقب لعرب بادية تلمسان فأهل تلمسان يسمون أهل المغرب الأقصى بالمغاربة والمغاربة يسمون أهل تلمسان بالمشاركة والعامية يقولون شرافة. أنظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج 7، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956م، ص 41.

² محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075-1311/1664-1894)، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء-1977م.

-المولى إسماعيل(1672-1727):

يعتبر مولى رشيد مؤسس الدولة المغربية أما مولى اسماعيل فهو مدعم أساس الدولة وبالتالي استطاع أن يبسط نفوذه على السواحل وعلى الجبال والصحاري المغربية حتى أن بلاد السبئية اختفت في عهده، وعمّ الأمان وصار الناس يتنقلون بكل طمأنينة بين أرجاء القطر المغربي¹.

تحلى مولى إسماعيل بسمات القائد الفذ الذي يملك الإرادة الفولاذية فلا تقف أمامه عقبة ولا تهزه هزيمة استطاع كسب احترام العدو والصديق. لكنه ارتكب خطأ جسيماً إثر توزيعه العملات على بعض أولاده دون الآخرين مما أثار الغيرة والطمع أشعلت نار الثورات التي قمعها بقسوة فلم تأخذه رأفة حتى بأولاده .

وعلى الصعيد الخارجي كان مولاي إسماعيل يسعى إلى استغلال الصراع الأوربي للحصول على مساعدة الانجليز له لتحرير سبتة فلم يتلقى الدعم الكافي لكنه استطاع أن ينشأ تجارة معهم إلا غاية الوصاية الفرنسية على المغرب.

-عهد الاضطرابات(1727-1757):

¹ محمود علي، المرجع السابق، ص 98.

عقب وفاة مولاي إسماعيل سنة 1727م عمت الفوضى البلاد، حيث استولى الجنود العبيد¹ والودايا² على مكناسة وفاس فصاروا يعينون الخليفة من أولاد إسماعيل ويملون عليه أوامرهم. والملاحظ أنه رغم ضعف السلاطين ظلت البلاد مخصصة للعلويين وهذا راجع إلى ما قام به مولاي إسماعيل³.

عاد الهدوء والطمأنينة بين سنتي (1750-1757)م بسبب ضعف الصراعات وملل المغاربة من الفوضى وأصبح الحكم في يدي مولاي محمد بم عبد الله.

-المولى محمد بن عبد الله(1757-1790):

انزوى مولى عبد الله بعد ضعفه وبقي في فاس تاركا البلاد في فوضى، أما ابنه مولى محمد فكان يدير حكم مراكش وقد اضطر مغادرتها ليلجأ إلى آسفي بسبب المقاومة العنيفة التي تلقاها من قبيلة الرحامنة. عمل جاهدا على تنشيط التجارة وتشجيع الأجانب على المجيء إلى آسفي ونجح في ذلك، كما استعمل الحزم في حكمه خاصة مع القبائل التي حاولت العودة إلى أرض السبية كما أنه لم يتساهل مع المرابطين المنحرفين والمشعوذين. وقد اهتم بإصلاح الجيش والقضاء وإنشاء أسطول مغربي كما قام بطرد البرتغاليين من

¹ في أواخر عهد مولاي إسماعيل أصبح زاد عدد العبيد في المخزن والجيش مما اكسبهم قوة ونفوذاً كانوا متمركزين بكثافة في مكناسة ومشروع الرملة والقلاع، وكان همهم الوحيد العثور على سلطان يدفع لهم أكثر وإرضاء طلباتهم.
² هم من البربر يعتبرون القوة الثانية بعد العبيد يقطنون في ضواحي فاس وقد ساهموا في تغيير السلاطين.
³ الناصري، المصدر السابق، ج7، ص ص 114-115.

مازاغان وأعاد بناء المدينة وقام بتحسين الثغور وتعزيزها بحاميات، لكنه لم يستطع تحرير سبتة ومليلة من قبضة الإسبان¹.

كان مولى يزيد ابنا عاقا لوالده إلى أن أعلن تبرأه من ولده وأرسل بها إلى الحكام المسلمين، مكث مولاي إسماعيل مدة في المشرق ثم عاد إلى المغرب ليلجأ إلى ضريح عبد السلام بن مشيش ومكث هناك حتى توفي أبوه.

-المولى يزيد(1790-1792):

قام المولى يزيد بإفساد كل ما بناه أبوه مولى محمد في مدة وجيزة حيث تلزم الحال ثلاثة وثلاثين سنة لإحلال الأمن وتحسين العلاقة مع الدول. اضطر أهل الجنوب مبايعة أخوه هشام، وقد أصيب مولى يزيد أثناء القتال مع أخيه وتوفي سنة 1792م².

-المولى سليمان(1792-1822م):

انقسمت البلاد بعد مقتل يزيد حيث بويع ثلاث سلاطين من أبناء المولى محمد، فبايع أهل الحوز ومراكش مولاي هشام، وبايعت منطقة الهبط والجبال في الشمال المولى مسلمة، وبايع أهل فاس ومكناسة وقبائل الغرب وسلا والرباط المولى سليمان. احتدم الصراع بين الإخوة لمدة أربع سنوات واستطاع المولى سليمان الكفة له سنة 1796م.

¹ الناصري، المصدر السابق، ج7، ص ص 193-194.

² محمود علي، المرجع السابق، ص 120.

كان المولى سليمان منشغلا بالعلم والعكوف لم يكن كإخوته الذين أمضوا أوقاتهم في اللهو¹. وبذلك استطاع أن يتغلب على خصومه وتوطيد السلطة في كل القطر المغربي كما استطاع تحرير وجدة من قبضة الأتراك دون إراقة قطرة دم وقد عرفت السنوات 1805-1810م أوج ازدهار حكمه².

كان المولى سليمان شديد الاحترام لرجال الدين وزعماء الطرائق الذين توسم فيهم الصلاح³، كما ألغى المكوس⁴ على أبواب الأسواق واعتماده على الضرائب الشرعية. نشبت في أيامه ثورات عدة قادها أبو بكر مهاوش الذي تظاهر بالتصوف فاستطاع أن يجمع حواليه القبائل البربرية القاطنة في المغرب الأوسط وعجز السلطان أن يوقفهم فعاثوا في الأرض فسادا. توالى النكسات على المغرب وسئم المولى سليمان هذا الوضع فترك الحكم لابن أخيه الولي عبد الرحمن ليختلي للعبادة فقط، وبعد مدة مرض ثم توفي سنة 1822م.

3- الجزائر:

¹ محمد الأخضر، المرجع السابق، ص ص 360-361.

² تزامنت هذه الفترة التحولات الكبيرة في العالم ككل والعالم الإسلامي على الخصوص فقد قوي أمر الوهابيين في الجزيرة العربية وكما سنتعرض لهذا الأمر المهم فالتأثير الفكري الوهابي طال كل أنحاء العالم الإسلامي وقد وجه عبد الله بن مسعود كتابا يدعوه إلى تبني فكره الوهابي فأرسل المولى سليمان ابنه إبراهيم على رأس وفد من علماء المغرب برسالة، فعادوا وهم متأثرين بهذا الفكر فهو لا يخالف الشرع ويبدوا أن المولى سليمان تأثر بهذا الفكر وجعله وسيلة للقضاء على البدع والخرافات التي طالة الدين الحنيف.

³ من هؤلاء نجد أحمد التيجاني الذي قدر علمه فقره إليه بعد أن اختبره أنظر الفصل الثالث.

⁴ يقصد بها الضريبة على المبيعات.

شهدت الأوضاع السياسية بالجزائر أربعة أنماط من الحكم منذ القرن 16 م حيث توالى عدة أنظمة من بايلربايات ثم باشوات ثم آغوات وأخيرا الدايات ، ويرجع ذلك إلى طبيعة النظام التركي في الجزائر ، والذي يطبعه الطابع العسكري، كما تميزت معظم فترات الحكم بعدم الاستقرار، نتيجة الصراع الدائم بين الإنكشارية والطائفة رياس البحر على السلطة والتي كثر خلالها التطاحن و سفك الدماء بينهما، فانتشرت الفوضى السياسية طيلة ثلاث قرون، وقد عرفت كل فترة بمواصفات ومميزات الخاصة .

أ-عهد البيلربايات:

يعد العهد الأول من أزهى عهود الحكم العثماني في الجزائر، إذ تميز بكثرة الأعمال العمرانية والإدارة السليمة وتنظيم البحرية وذلك أيام حكم السلاطين العثمانيين الأقوياء، وكانت السلطة في البلاد بيد رياس البحر وفئة الإنكشارية، ومن ابرز آثاره توحيد الجزائر سياسياً¹.

ب-الباشوات:

أما عهد الباشوات فقد كان على رأس الدولة وإل تعينه الحكومة العثمانية لمدة ثلاث سنوات يمنح لقب الباشا، وتميز بازدهار القوة البحرية الجزائرية، وسمحت الحكومة العثمانية بدخول الامتيازات الأجنبية إلى الأراضي الجزائرية².

ج-عهد الآغوات:

¹ حمدان خوجة، المصدر السابق، ص102.

² عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار الهومو للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر- 2005م، ص107.

وبرز في عهد الأغوات أن استأثر الإنكشارية فيه بالحكم، وكانوا ينتخبون من بينهم آغا لمدة شهرين ثم يستبدل بغيره، وتميز ذلك العهد بالمحاولات المستمرة لفصل الجزائر عن الحكم العثماني¹.

د- عهد الدايات:

ظهر عهد الدايات في القرن 17م، ليحدد إحدى ملامح التطورات السياسية التي مرت عليها الجزائر خلال العهد العثماني، وسنستعرض أهم تطورات هذا النظام وخصائصه ومميزاته والطرق التي اعتمدها الدايات لبسط نفوذهم.

قررت طائفة رياس البحر التخلص من نظام الأغوات لشعورها بالخطر الذي يهدد البلاد بعد الفوضى التي سببها الإنكشارية سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، تم استبدال هذا الأخير بنظام الدايات الذي امتد من 1671م إلى غاية 1830م، إلا أن حكم طائفة رياس البحر لم يدم طويلا حتى صار الداوي يختار من جنود الإنكشارية، وهذا ابتداء من سنة 1695 م، وممن تولوا مقاليد الحكم من رجال الطائفة كل من الداوي محمد باشا (1671 - 1682)م الداوي حسن (1682 - 1683)م الداوي حسين (1683-1688)م الداوي شعبان (1688-1695)م².

كان حكم الباشا المرسل من إسطنبول صوريا، حيث أن السلطة كانت بين يدي الداوي وحده، وقد استمر هذا الحال إلى غاية سنة 1711م أما في عهد الداوي علي باشا فقد قام

¹ عباد صالح ، المرجع السابق، ص128.

² KADDACHE(M.) ,L'Algérie durant la période Ottomane, O.P.U ,Alger, 1991, p94.

برفض نزول الباشا المبعوث من طرف السلطان العثماني، وهو الباشا إبراهيم شركان، باعثاً برسالة إلى السلطان باسطنبول شرحاً له فيها مخاطر ازدواجية السلطة، حيث رأى أن وجوده غير ضروري فقد يصبح وسيلة لإثارة المشاكل لا غير، وقد هددته بالقتل إن أصر على النزول بالجزائر¹.

خضعت الأيالة إلى تقسيم إداري يتمثل في بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة وبايلك التيطري وعاصمته المدية وبايلك الغرب وكانت عاصمته مازونة ثم معسكر عام 1710 م ثم وهران عام 1792 م، وكان يشرف على هذه البايلاكات البايات المعينون من طرف الداوي، كما كانوا يحرصون على جمع جباية الضرائب لتدعيم الخزينة، ففي ظرف ثلاث سنوات يقدمون للخزينة الدنوش، ولكل باي خليفة من أعوان وأغوات كأغا العرب وأغا الصباحية وهم من الأتراك².

قسم البايك في هذا العهد إلى أوطان يديرها في الغالب قياد ترك وعرب، بمساعد بعض الجنود، وبالخصوص في عملية جباية الضرائب، لقياد السلطة المدنية والعسكرية والقضائية على مستوى دائرة حكمه، وذلك بمساعدة رؤساء القبائل والمشايخ، وكما أن للقياد أدوار أخرى تمثلت في توزيع الأراضي، وجمع محاصيلها. يضم الوطن الواحد مجموعة من قبائل وكل قبيلة يشرف عليها الشيخ، أما الباي فله كل الصلاحيات في تعيين القياد وذلك باقتراح من الأغا أو كبار الموظفين، تمارس سلطته عن طريقهم ، لقد عرف بايلك الشرق

¹ De GRAMMONT HENRI, *histoire d'Algérie sous la domination Turque (1515-1830)*, E. Leroux, Paris, 1887, P207.

² جيليان أندري ، تاريخ افريقيا الشمالية، ت. بن سلامة ومزالي ، الدار التونسية للنشر، تونس-1978م، ص378.

24 قائد و11 شيخا خلال فترة التواجد العثماني، أما بايلك الغرب فقد قسم إداريا بين الباي والأشراف والقياد، وهذا يصلح في المناطق القريبة من مراكز السلطة¹.

لم يهتم العثمانيون بمد نفوذهم على أوسع نطاق بالمناطق الريف لأنها صعبة السيطرة، ولهذا السبب لم تكن حاضرة بصورة مباشرة بل اعتمدوا في فرض هيمنتهم عليه على وسطاء فعمدوا إلى القوة عسكرية ومساعدة شيوخ الزوايا حتى يتم بسط نفوذهم دون اللجوء إلى الحكم المباشر².

هـ-ظاهرة اغتيال الحكام:

يتم اختيار الداوي عن طريق الانتخابات إذا ما توفي على سريره أما إذا قتل فإن المنافسة هي التي تفرض المترشح الجديد، يعتبر الداوي المسؤول العسكري والسياسي الأول في البلاد، والقاضي الأعلى في أمور السلم والحرب والمسؤول على الضرائب وعلى التوظيف فهو غالبا ما يغير كل الموظفين والبايات بعد توليه المسؤولية، وبالتالي نجد أن صلاحياته غير محدودة فالقتل كانت هي الوسيلة الوحيدة لعزله³، لكنه يخضع لقواعد صارمة حيث يعزل عن عائلته التي لا يراها إلا مرة في الأسبوع لأنه في نظرهم "أب للجميع"، ورغم الصلاحيات المخولة له إلا أنه كان يتصرف وفق رغبة الديوان، المتكون من ثلاثين من ضباط الإنكشارية والرؤساء الدينيين الثلاثة المفتي والقاضي وكبير المرابطين.

¹ جيليان أندري، المرجع السابق، ص378.

² DE GRAMMONT, Op.cit ,p240

³ ابن الميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر، ت.تق. محمد عبد الكريم، ش.و.ن.ت، الجزائر-1975م، ص25.

نفوذ الداي محدد ضمناً من قبل الديوان ، وإذا وقع اغتياله تعاد ثروته إلى الخزينة، فيقال عنه "أنه رجل غني ولكنه ليس سيد ثروته وأب بدون أطفال، زوج بدون زوجة، طاغية بدون حرية، ملك لعبيد عبد لأتباعه"¹ ، ويقال عنه أيضاً أنه "مستبد وليس له حرية، أرستقراطي لكنه محروم من أرباح القرصنة"². لهذا وبالرغم من امتيازاته فإن نهايته غالباً ما تكون مأساوية إذا ما تعرض لغضب الجند حيث تصادر أمواله، وتتعرض عائلته وأقاربه للانتقام³.

ظهرت النزعة التمردية لدى الإنكشارية نتيجة لضعف الحكام وزادت حدتها بعد استيلائهم على الحكم. أما بعض الحكام لمطالبهم التي لا تنتهي، فكان كل من يتأخر في دفع مستحقاتهم يكون مصيره الموت أو الخنق أو النفي، وهو ما حدث للداي مصطفى عام 1705م من طرف الحامية التركية بمدينة القل، إثر عودته من حملته على تونس، وقد تم حجز أمواله وأملاكه بالكامل، كذلك حدث نفس الشيء للداي محمد بكداش عام 1710م حيث قُتل لأنه لم يدفع أجور الجند، وذلك بعدما فر باي قسنطينة بالأموال التي كان من المفروض تقديمهم، وعوضه قاتله بإبراهيم باشا الذي قُتل بعد خمسة أشهر فقط من حكمه، وقد آل الأمر إلى الفوضى السياسية عارمة خاصة أواخر القرن 18م وأثناء الفترة التي تلت محمد عثمان باشا(1766-1791م)، حيث تولى الحكم تسع دايات قتل جلهم، منهم

¹خير محمد فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني-الاحتلال الفرنسي، ط2، مكتبة الشرق، بيروت-1979م، ص73

²Emerit (M), le voyage la condamine à Alger en 1731, R.A, N°98, 1954, p292.

³Venture de Paradis, Alger au 18^{eme} siècle, Fagnan, Alger-1898, p48.

مصطفى باشا الذي اغتيل عام 1805 م ،وعلي باشا بورسالي الذي شنق عام 1809 م ،
ومحمد باشا الذي قتل سنة 1814م، وعمر آغا قتل هو الآخر سنة 1817م، كما اغتيل
صالح باي عام 1792م، وبالتالي فإن الصعوبات المالية هي الدافع الرئيسي للتمرد الذي كان
يقوم به الجند ضد الحكام. و بما أن معظم الحكام استولوا على السلطة بالجور والقوة وجمع
المال والتظاهر بالدين، فقد أسقطوا بنفس الطريقة، ليصبح الاغتيال الوسيلة الوحيدة لتصفية
الحسابات والوصول إلى سدة الحكم، فسلسلة الاغتيالات طالت الحكام والوزراء والموظفين
وأنهكت النظام القائم وقضت على ثقة الرعية به¹.

و-طبيعة الحكام وثقافتهم:

لم تكن للعثمانيين أي رابطة تربطهم بالبلد غير رابطة الدين،فكان هدفهم جمع المال
هو الاستبداد بالسلطة فمعظمهم كان غير مؤهل لأن يكون حاكما، وقد جاء عن الداوي
الحاج علي على أنه الرجل الأبله والعنيف وقد عرف بالإدمان على المخدرات²، إضافة لذلك
كان أغلبهم بعيدا كل البعد عن الثقافة والعلم ،استطاعوا صعود هرم السلطة بعدما كانوا
يمارسون وظائف بسيطة، ، حارس ،حمال ،كإسكافي... إلخ،وعلى سبيل المثل فإن الداوي
أحمد باشا(1695م-1698) كان طاعنا في السن ومريضا ، امتهن حرفة ترقيع الأحذية
فمهمته اقتصرت على الإمضاء فقط ،أما الحكم فكان بيد كبار الضباط الإنكشارية ، أما

¹ سعيدوني نصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني ،دار المغرب الإسلام، بيروت-

1999م، ص215.

MERCIER (E.) , L' Afrique septentrionale ,T3, Leroux,Paris , 1891,p477

²

الداي علي باشا الغسال (1808-1809) م الشيء نفسه كان يقال عن فهو كذلك كان

طاعنا في السن كما عمل مدة طويلة في تغسيل الموتى لذا لقب "بالغسال"¹.

أصبحت المناصب تباع وتشتري علنيا ويفوز بها كل من يدفع أكثر، كما أنها صارت

متعلقة بالرسوم وجباية الضرائب مؤجرة لأشخاص بأسعار محددة ويكون الدفع دفعة أو

بالتقسيط. فنجد أن شيخ القبيلة لم يكن يوظف إلا بعد دفعه نصيبا من المال ، أما الموظفين

فكانوا يدفعون سنويا للخرينة حوالي 200 ريال، كما أنهم كانوا يستعينون بالأعلاج في كل

المهن حتى في المناصب العليا، بينما يتحفزون من الاستعانة بالأهالي والكراغلة، ولهذا

فإن أغلبية الدايات تجاهلوا حقيقة السلطة وأهدافها بخدمة المصلحة العامة، فاهتموا

بالتنظيمات الإدارية والعسكرية والمالية التي تضمن لهم مداخيل مالية، مهملين بذلك الجانب

الثقافي والحضاري، فانعكست هذه الظاهرة سلبا على مستوى التعليم مقارنة بدول المشرق، وقد

أثر ذلك حتى على علاقتهم بالرعية².

لم تكن ظاهرة الفساد السياسي محيطة بكل الدايات بل اقتصرت على البعض فقط

إذا ما استثنينا نظام البايليريايات، فمن غير الانصاف أن نعمم هذه الظاهرة على كل الحكام

بل هنالك من كان يهيمه مصلحة البلاد، لم يدخل العثمانيون الجزائر بالقوة ولم يخضعوا

شعبها بحد السيف ولم يحكموها بالقوة بل أصبحوا سادة بالعدل والإحسان إلى أهلها، حيث

أنهم لم يجدوا هذه المكانة في بلادهم، وإنما حصلوا عليها في هذا المكان لذا هو وطنهم

Ibid ,p 336 .

DE GRAMMONT, Op.cit,p305

1

2

والواجب يحتم عليهم الاجتهاد والسعي لإسعاد الساكنة¹، حتى أن بعضهم يرفض الزواج لكي تبقى ممتلكاته لبيت المال.

لكن الصراع الدائر بين الإنكشارية ورياس البحر من أجل السلطة أحدث تناقضات سلبية في الحكم وفوضى عارمة في النظام، كان له الأثر السلبي على العلاقة السائدة بين الدايات والرعية، وهذه السلبية ظهرت على كل الأصعدة، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ز- بوادر الصراع بين الإنكشارية ورياس البحر:

لقد بدأت تظهر ملامح هذا الصراع منذ عهد البايلربايات حيث كان الصراع محتدم فكل منهما يكن حقدًا للآخر حتى وصل بهم الحال إلى نعت الإنكشارية بثيران الأناضول وقد يذهب البعض إلى سبب هذا الحقد الدفين إلى ثراء طائفة رياس البحر نتيجة عائدات الجهاد البحري، تطور هذا الصراع بشكل خطير حتى خرج الأمر على السيطرة لتصبح مواجهات دموية التي تدهور بنظام الأيالة الجزائرية وكان ذلك منذ عهد الباشوات، وقد استفحل أمرها عهد الأغوات والدايات حيث قتل 14 داي من بين 26 داي تولوا الحكم ما بين 1671-1830م. وغالبا ما كان السبب ماديا خاصة منذ سنة 1750 م حيث بدأت خزينة الجزائر تعرف أزمة مالية دامت إلى بداية القرن 19 م².

¹ حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 135.

² هذا ما نشهده اليوم بسبب انخفاض سعر البترول من أزمات اقتصادية وتردي للأوضاع الاجتماعية نتيجة الاعتماد على الربيع وعدم انتهاج سياسة اقتصادية واجتماعية ناجعة والاعتماد على خبراء أثبتوا كفاءتهم في جميع الأصعدة ما علينا إلى الاخلاص والثقة في قدراتنا والاعتبار من الماضي.

وما نلاحظه هو أن كلا منهما له دوره في الجيش العثماني، فمهما بلغت طائفة الرياس من ثراء، فمن غير الممكن استغنائها عن خدمات الإنكشارية التي تؤمن الحراسة والدفاع عن حدود البلاد أثناء قيام رياس البحر بالجهاد البحري، وكذلك رغم قوة الإنكشارية وكثرة عددهم لا يمكنهم فرض رأيهم على طائفة الرياس، لأنه بفضل الغنائم كانت تدفع لهم رواتبهم.

وقد تحدث حمدان خوجة عن المقاييس المعتمدة في اختيار أفراد الإنكشارية على أنها غير ثابتة، ويقول في هذا السياق: "...حتى المجرمون والمحكوم عليهم بأحكام العقاب قيدهم أيضا..."، أما أحد الباحثين الغربيين فيقول أن: "...معظم الذين يقبلون الانخراط في الإنكشارية هم من الأشرار، خريجي السجون والمنتون إلى أخط الطبقات الاجتماعية..."¹، وحسب عبد الرحمان الجيلالي: "...فإن الهدف من هذه التركيبة العسكرية ليس الحفاظ على نظام البلاد وإنما التسلق إلى سدة الحكم والترقي في المناصب وإشباع للذات..."².

ونتيجة لثوراتهم المتعددة ضد الدايات بسبب الأجور، فإن الداوي علي خوجة سنة 1817م أراد التخلص منهم، فنقل الخزينة إلى القصبة بمساعدة القبائل والكراغلة بعدما قام بقتل الإنكشارية المتمردين³. لكن ورغم السلبات التي أثرت على استقرار النظام الذي انعكس بالطبع سلبا على التطور الاقتصادي والاجتماعي وخاصة الثقافي، فالإنكشارية كان لها دور

¹ شارل وليم، مذكرات قنصل أمريكا (1816-1824)، ت.ت. العربي إسماعيل، ش.و.ن.ت، الجزائر-1982م، ص51.

² الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج6، دار الثقافة، بيروت-1972م، ص453.

³ GHALEM M, L'histoire de l'Algérie des origines à 1830, Casbah Editions, Alger,

هام في الدفاع عن البلاد وحماية حدودها، كما كانت الطائفة تتشط في البحر وتدافع عن المجال البحري للجزائر، حيث كانت الممول الرئيسي وعاملا هاما في إثراء الخزينة.

4- العلاقات السائدة بين دول بلاد المغرب:

تعتبر العلاقة الترابطية التي كانت سائدة بين دول المغرب مفادها أن الدين الاسلامي هو أساس تلك الرابطة إضافة إلى عوامل أخرى كالطرق الصوفية التي تجاوزت الأقاليم والحدود الجغرافية وهذا على الصعيد الاجتماعي. أما على الصعيد الجيوسياسي فالأمر يختلف فمساعي الخلافة العثمانية في الحوض الغربي للبحر المتوسط تنامت بعد ضم الجزائر وأصبح طموحها السيطرة على المنطقة خاصة بعد توالي التهديدات المسيحية على سواحلها.

أ- العلاقات الجزائرية التونسية:

بعد دخول تونس في الحاضنة العثمانية سنة 1574م، وبعد استقرار السلطة على شاكلة حكم عائلي الذي تمخض عنه خلافات عائلية فكان يطلب من الجزائر التدخل في العديد من المرات لفك النزاع وتغليب طرف عن الآخر. كان أعنفها الذي حدث في لقرن الثامن عشر الميلادي فقد قام الداوي حاصي مصطفى الذي حكم بعد اغتيال مراد باي علي، وقد نظم حسين بن علي مقاومة تونسية للغزو الجزائري على إثرها أسس للحكم الحسن¹.

¹ وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر تع عبد القادر زيادية، دار القصة للنشر، الجزائر - 2006م، ص163.

وكذلك عادت الجزائر للتدخل في شؤون تونس بعد وفاة حسين بن علي سنة 1740م بعد اغتصاب الحكم من طرف بن أخيه فاستجد ابنه بالجزائر لاسترجاع تاج الحكم وقد راود باي قسنطينة في ذلك الوقت فكرة ضم تونس بعد العملية التي قادها لاحتلالها لكن الداوي آنذاك والمدعو بابا علي داوي (1754-1766)م¹.

رغم كف دايات الجزائر عن جمع الضرائب من الأسرة الحسينية بقوا يتحكمون في بيت الضيافة البايليكية الرسمية لتونس وكذا حق بيع الأغنام بتونس حسب السعر يسبق سعر الأغنام التونسية والمحدد سالفًا، وتجهيزات من زيت الزيتون. قام حمودة باي(1777-1813) بالغاء هذه التزامات وقام بغزو الجزائر لكنه أجبر على التقهقر فرد الجزائريون لكن هزموا في ثلاث مناسبات منها محاولة عن طريق البحر. وبعدها عاد السلم الحذر بين الجارتين، ليظهر العداء عند احتلال الفرنسي للجزائر وعدم تمكن المبعوث العثماني من نزول الأراضي التونسية.

ب-العلاقات الجزائرية المغربية:

بعد تأسيس الدولة السعدية على يد محمد الشيخ وانفراده بحكم المغرب كما أنه واجه تحدي جديد جاءه هذه المرة من دولة اسلامية لها ثقلها ووزنها العالمي ألا وهي الدولة العثمانية، التي نجحت في ضم الجزائر وتونس إلى امبراطوريتها الواسعة، بصورة متزايدة

¹ وليم سبنسر، نفسه، ص78.

عرف تاريخها بالجهاد ضد الأوربيين ونصرته للأندلسيين المضطهدين¹، كما أنها دولة مبنية على أسس صوفية نظامها عرف ذروته وتطوره في تلك الفترة، مما أكسبها تعاطفاً كبيراً من قبل صوفيه المغرب الذين وجدوا إلى جانب الفكر الديني فيها القوة المناسبة لإضفاء العمق الاستراتيجي لبلادهم.

منذ أن وطأت أقدام العثمانيين الأراضي الجزائرية وأصبحت الجزائر أمانة عثمانية كان الخلاف على أشده مع الدولة المغربية، فقام محمد الشيخ بتغيير جذري في استراتيجيته فقد بادر بالتقرب مع الاسبان وعقد الصلح معهم، انتقاماً من الدولة العثمانية التي أظهرت عداً شديداً له، مستخدماً أصله على أنه من آل البيت في ادعائه للزعامة الروحية على العالم الإسلامي، ومع التقليل من شأن السلاطين العثمانيين، وقد نعتهم بالحواتة للتقليل من شأنهم، كما انه عمل على اضعاف الطرق الصوفية من خلال حرمانها من مواردها التي كانت تستحصلها كالأوقاف الاسلامية والحقوق الشرعية بدأ في أواخر حكمه باضطهاد رجالات الطرق الصوفية وتهميش دورهم بشتى السبل بسبب موقفهم المؤيد لحكام العثمانيين، وقد كلفه ذلك دعم المتصوفة الذين كانوا القوة الرئيسية في توليه سدة الحكم.

إن مسألة الخلافة قد نظر لها السلاطين السعديون من خلال نسبهم الشريف وأن الخلافة في قريش وغيرهم متغلب، ومن هذا المنطلق اعتبروا بأن سلاطين بني عثمان أعاجم

¹ ولعل ما تقدم يعطينا تفسيراً عن سبب عدائه للموريسكيين، الذين كانت صلاتهم وثيقة بالعثمانيين، وبالتالي كانت رغبتهم تتمحور حول وضع المغرب الاقصى تحت نفوذهم اسوة بتونس والجزائر.

لا تصح الخلافة فيهم وبالتالي لا يجب الاعتراف بنفوذهم، حتى ولو أدى ذلك إلى خوض حرب ضدهم. فما هو الزياني المتأخر عن عهد الدولة السعدية يقول: "ومن الفرض في علم النسب أن يعلم المرأ أن الخلافة لا تجوز ولا تصح إلا في ولد فهر بن مالك بن النصر بن كنانة، ولو وسع جهل هذا لأمكن إدعاء الخلافة لمن لا تحل له، وهذا لا يصح أصلاً.

ثالثاً: الخطاب السياسي التواصلي بين دول بلاد المغرب

1- الوطنية والمواطنة في الخطاب المغربي:

حصل تداخل بين مفهوم الخلافة¹ و مفهوم الوطنية² وتكامل في فكر والمواقف لدى أغلبية ممثلي النخبة المغربية. فلم تتناقض مع فكرة القومية التي دافعوا عنها سادة الخلافة العثمانية في ولايات بلاد المغرب المنضمة تحت لوائها، ولم تبلغ فكرة الخلافة والانتماء إلى العالم العثماني فكرة الوطنية بالمنظور الغربي. فالوطن الصغير كتونس والجزائر وحتى طربلس جزء لا يتجزأ من الوطن الأم الامبراطورية العثمانية.

وهناك من وقفوا موقفا معارضا أو تحفظوا من لهذه الفكرة والاتجاه العام الذي سارت عليه المنطقة، إنما كان ذلك بسبب مناصرتهم للاستعمار كمثل دعاة الادمج مع فرنسا في الحقبة الاستعمارية للجزائر³، وقد يكون هذا الموقف نتيجة رد فعل تجاه حاكم معين غير مرغوب فيه

¹ في المفهوم الديني هي التمثيل الشرعي.

² بالمفهوم السياسي تعني الانتماء القطري.

³ ما كان يدعو إليه الحزب الشيوعي الجزائري وأنصار بن جلول.

أو فكرة سياسية كفرض الضرائب أو التقاعس في استرجاع المناطق المحتلة. وبالتالي لم يرفضوا الخلافة ليطرحوا فكرة الوطنية بديلاً عنها، فمن رفض الانتماء للواء العثماني لم تتبلور لديه فكرة الوطنية التي تتطلب أن يكون ذى سيادة سياسية على أرضه ويمتلك مشروعاً اجتماعياً وإدراكاً بالقدرات الذاتية كالنماذج الأوربية.

تعد بعض محاولات الاستقلال النهائي عن الدولة العثمانية التي أظهرها حكام بلاد المغرب الولايات كالأسرة الحسينية في تونس، وفي الجزائر (الدايات والباشوات)، لم تكن تحمل في طياتها معنى الفكر الوطني الذي يرمي إلى تحويل المملكة إلى وطن بالمفهوم الحديث، وتحويل الرعايا إلى مواطنين ينعمون بكامل حقوق المواطنة، وذلك بإقامة الشراكة السياسية وإثبات الحقوق الفردية والحريات الجماعية ورعايتها وصونها، ولم تكن النية تتجاوز المحاولات الأنانية حدود الرغبة في الانفراد بالسلطة في كيانات سياسية محلية ممزقة الكيان الإسلامي قصداً أو بدون قصد، لكنها لم ترق إلى المستوى الذي بلغته مثيلاتها في أوروبا النهضة.

تعرض حمدان خوجة في كتابه "المرآة" إلى سلطات الداوي في النظام الحكومي للأتراك بالجزائر، وقد طبعها بطابع صفة الجمهورية وقد عبر عنها بقوله: «... لأن الحكم في الجزائر، ليس وراثياً...وبعبارة أوضح نستطيع القول أن الجزائريين اختاروا مبادئ الحكم الجمهوري، ورئيس الجمهورية هو الداوي»¹. وسبب هذه المقاربة يؤكد لنا حمدان مدى اطلاعه على النظم

¹ حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 89.

السياسية في أوربا هو بذات الوقت يطلعنا على صفات أساسية للحكم العثماني في الجزائر، فالحكم في هذا العهد اختياري وليس وراثي.

فإن كان المغرب الأقصى قد تمتع باستقلاله عن الامبراطورية العثمانية، وقدم هو من جهته نموذج الوطن والخلافة المتحددين في قطر واحد، رغم ذلك فإن العلماء فيه لم يمتنعوا عن الاعتراف بالخلافة العثمانية وتبعية الأوطان المغاربية الأخرى لها، رغم حالات الاصطدام والمناوشات التي كانت تحصل على الحدود الجزائرية. وتعتبر فتوى علماء فاس في هذا الموضوع هي أحسن مثال عندما طلب منهم ذلك.

ولما سارت الوطنية والخلافة في منهج واحد تبدلت الذهنية المغاربية وذلك خلال القرن التاسع عشر فشكلت اندماجا مقبولا، حيث أخذت الوطنية شكل الواجب في معانيها التي فرضتها الأوضاع المحلية التي استوجبت الدفاع عن الأرض من الحملات الصليبية، أما الخلافة فأخذت معنى آخر حيث تمثل في الجهة الشرعية والمخولة للقيام بهذا الواجب الوطني. وتعتبر القضية الجزائرية والتونسية من القضايا التي غيرت الخطاب النخبوي المغاربي في الصور التي اندمجت فيها الوطنية بالخلافة.

2- مبدأ التواصل أو القطيعة مع الغرب:

فيما أعلنت بعض النخب المغاربية عن الحذر والقطيعة مع الطرف الغربي الأوربي، سواء كان جزئياً أو كلياً، أو مصرحاً به أو عكس ذلك، قام البعض الآخر بإطلاق نداء رفع هذه

القطيعة والأخذ بأسباب التقدم، وعن أهمية وضرورة الاقتراب من هذا الطرف ومد جسور التعاون معه من أجل الصالح العام.

إن الخطاب الداعي إلى القطيعة وأخذ الحذر كان يتجدد كل مرة مع تجدد الحملات الصليبية على العالم الإسلامي. فيستدعي هذا الخطاب الألفاظ اللازمة للتنبيه والتهويل، وتعبئة الجماهير بالخطر المحدق، مدعماً عباراته بشواهد من الواقع، حيث كان الاحتلال الفرنسي لمصر عام 1798 م هو أكثر الشواهد حضوراً في الذهنية المغاربية خلال القرن التاسع عشر الميلادي¹. وجاء الدليل الثاني بعد احتلال الثغور الساحلية على كامل الشريط الساحلي لبلاد المغرب وأصبح بمثابة دليل قاطع على صدق هذا الخطاب، والبرهان الفاضح لحقيقة الحضارة الأوربية.

بدت واضحة الدعوة إلى القطيعة في أواخر العهد العثماني ولم تعد في حاجة إلى دليل على خطورة التهديد الأوربي على بلاد المغرب. وهذا بعد زيادة الضغوط الأجنبية والتدخلات الأوربية ببلاد المغرب وما حادثة المروحة إلا ذريعة للتدخل الفرنسي في الجزائر ووسيلة لبداية السيطرة على المنطقة كون الجزائر بوابة إفريقيا. وكذى تراجع الجيوش المغربية وأمام الحملات الإسبانية على سواحلها.

¹ ودان بوغوفالة، الثورة الفرنسية في الإسطوغرافيا المغاربية، دراسة تاريخية تحليلية في نماذج من كتابات القرن 13 هـ / 19 م، مطبعة الرشاد، سيدي بلعباس، ط. 1، 2004م، ص ص (123،86).

لقد تحول الخطاب المغاربي من مرحلة التحذير إلى مرحلة التصعيد باستعمال الفاظ المواجهة والتصدي للأوربيين، وكان من مطالب أنصار هذا الاتجاه الاعتناء بالجيش وترقيتها، لأنها ليست في مستوى المواجهة¹.

إن احتلال ثغور بلاد المغرب حرك مشاعر المسلمين خاصة العلماء منهم في كل مكان، وبدأت تعلق صيحات أصحاب الضمائر للتحسيس بالخطر الداهم خاصة في المنطقة الساحلية. حتى أصبح هذا الأمر ضرورة يحتمها الدين حتى أن المتصوفة قاموا بإنشاء رباطات لحماية السواحل، حيث جعلت من ضمن أهدافها الصد الهجومات البحرية الأوربية وكسر شوكتها، ووضع حد للتحرشات الصليبية على المناطق الحساسة، انطلاقاً من المغرب والجزائر وتونس.

وبرز من المغرب الأقصى ما يماثل هذا الخطاب ويشبهه عند غالبية رموز المتصوفة. فظهرت الدعوة إلى الجهاد، على أوضاع المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي التي كان قد تدهورت تدهوراً خطيراً على مستوى أخلاق الحكام المتصارعين على السلطة. وترادفت معاني التحذير من الحملات الصليبية في السواحل المغاربية.

وتكرر نفس النداء في مناطق عديدة من بلاد المغرب مما أفرز خطاباً شاملاً يفرض القطيعة التامة مع العالم الأوربي وحضارته المادية، فأهل المغرب لا يختلطون بالأوربيين ولا

¹ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 9، ص ص 27-28.

يتأثرون بثقافتهم عكس أهل المشرق العربي من مصريين وشاميين وغيرهم، فهم يتشبهون بهم في الملبس والعادات، وذلك لأن أهل المغرب أكثر تديناً¹.

اندهش حمدان بن عثمان خوجة من المثقفين المسلمين المنتورين الذين تعرفوا على حضارة أوربا وعلى الفلسفة الغربية، فأعجبوا وتأثروا بها، وحاولوا إسقاط ما جاءت فيها من نظم وأفكار وحرّيات على مضمون التراث الإسلامي. لقد درس مبادئ الحرية الأوربية ووجدها أن هذه المبادئ كانت تشبه المبادئ الأساسية لشريعتنا إلا إذا استثنينا فارقاً بسيطاً في التطبيق، فإن كل من يدقق في شريعتنا يجدهما متماثلان فيما بينهما. غير أن هذا الموقف لم يمنع حمدان خوجة من مطالبة فرنسا بالتراجع عن فكرة البقاء في الجزائر، ولم يمنعه أيضاً من فضح الاستعمار ومواجهته وكشف تجاوزاته، وإزاحة القناع المخادع للإيديولوجية الممهدة للاستعمار بالاعتماد على الفكر الليبرالي تحديداً².

إن القطيعة في مفهوم الناصري يجب أن تتم أولاً بتقليص وتحجيم عدد الأوربيين الوافدين كتجار وسواح إلى العالم الإسلامي، وللحفاظ على أسباب الحياة وعلى مظاهرها المقبولة فيه. وهو يلاحظ التغييرات التي طرأت على أحوال الناس، قدم الناصري نموذج المغرب في الفترة السابقة كأحسن مثال على نجاعة سياسة العزلة. وقدم بعد ذلك نموذج مصر والشام وغيرهما كأقرب مثال على تفكك بنية المجتمع من جراء عدم التحفظ في الاندماج مع الآخر.

¹ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص208.

² حمدان خوجة، المصدر السابق، ص129.

آمن دعاة هذا الخطاب، خاصة المعتدلين منهم -كابن العنابي¹- إلى رفع القطيعة ولو اقتضت الضرورة، كالحرص على المصالح الدينية وجلب ما ينفع الأمة من خلال إقامة علاقة مع الغربيين. كتحديث الجيش وبناء المستشفيات، فجاز الاستفادة من خبرتهم في هذا الإطار كلما أتاحت لنا الفرصة.²

أخذ خطاب التقارب يستلهم بعض علماء بلاد المغرب فأخذوا على عاتقهم المهمة بحذر، شريطة التقيد بشروط وآليات لا بد من التمسك بها والتوفيق بينها، وعيا منهم لمدى خطورة الأمر والانزلاق، لكن بعض النخب من العلماء المغاربة اندفعوا متحمسون لهذه القضية متجاهلون عواقبها. فأصبحوا متورطين فقد قامت الدعاية الاستعمارية الفرنسية باستغلال الموقف ووفروا لها دعاية مجانية. وقد تم ذلك من خلال مواقف سياسية مساندة للإدارة الاستعمارية وإجراءاتها، وفي جميع الأشكال وحيث كان يقصد ذلك أو لا يقصد.

3-العقل والأخلاق بين الدين والعلمانية:

خلال القرن التاسع عشر الميلادي اختلفت نظرة النخب من علماء بلاد المغرب وتباين موقفهم من العقل فانقسمت إلى قسمين نخبة تدعو إلى التشبث بما هو تقليدي وأخرى تدعو إلى

¹ محمد بن محمود بن محمد بن الحسن الملقب بن العنابي (1189هـ-1775م) نفي إلى مصر بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، هو من دعاة التجديد الإسلامي سبق في ذلك جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده... عاصره عبد المجيد بيك الذي وضع له ترجمة، تقلد منصب مفتي الاسكندرية في عهد محمد علي والي مصر، عزل من منصبه في عهد الخديوي عباس بعد اتهامه بالزندقة من طرف منافسيه توفي (1267هـ-1850م)، أنظر كتاب: سعد الله أبو القاسم، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفى 1850 م، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-2000 م.

² محمد بن محمود ابن العنابي، السعي المحمود في نظام الجنود، ت محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر-1983م، ص 63.

العصرنة والأخذ بأسباب التطور. فهناك من لم يعترف إلا بالعقل الديني الإسلامي، وهناك من اعترف بالعقل الإنساني العلماني الأوربي.

لقد أغلق بعض العلماء باب الاجتهاد وأصبحوا خصومه رافضين بذلك الاعتراف بالعقل الديني الإسلامي كونه مصدراً للمعرفة ووسيلة من وسائل للتنمية. لكننا نجد من تصدى لهؤلاء وهم بعض النخب المغاربية الداعين إلى التجديد أمثال ابن العنابي الجزائري¹.

أما العقل المسيحي "العلماني" فيعتبره بن العنابي غير ناضج، ولا يمكن أن يكون صائبا مادام يفصل بين العقل والدين وتحرير العقل من كل القيود. فبن العنابي لم ينادي سوى باعتراف تحكيم العقل إي الرأي السديد التي أقره ديننا نفسه في (الكتاب والسنة)، كما يراها حقيقة متكاملة². فهو يرفض قطعا وبلغة بالغة صراحة التفكير الغربي في نعته لهم بالفلاسفة الكفار وكل النظم السياسية والدستورية التي وضعها الأوربيون، وإن كان بعض ما أظهره هؤلاء الغربيين لا يتعارض مع ديننا الحنيف.

شرف الله الإنسان وكرمه بالعقل، وميزه به عن الحيوان، لذا يجب على هذا الإنسان الإيمان بالله والالتزام بتنفيذ أوامره، والإنسان مكلف لأنه عاقل فلم يخرج الناصري كذلك عن هذا المنطلق الديني للعقل ووظيفته الأخلاقية. واعتبر الناصري أن كل ما ينبع من ذات الإنسان من

¹ سعد الله أبو القاسم، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفى 1850 م، ص 82.

² محمد بن محمود ابن العنابي، المصدر السابق، ص 202.

الأفكار والنظريات التي يصنعها العقل حيث أنها لا تتبعث من منابع إسلامية هي في محكوم عليها بالهترقة.

أصبح بعض المصلحين المنبهرين بما جاد به العقل الغربي المسيحي العلماني نتيجة الاحتكاك المتزايد للمغاربة بالأوروبيين وإتاحة الفرص للتعرف على حضارتهم المادية واللامادية، لم يعد من اللازم التقيد بالدين والأخلاق.

خاتمة الفصل:

نستنتج مما سبق ما يلي:

- لم يكن الموقف علماء واضح معالم من الفكر الوهابي في بلاد المغرب خلال بداياته الأولى لقلّة النصوص المغاربة لأنه لم يكن حسب تصورنا حدثا بارزا في تلك الفترة حتى يسيل الحبر.

- مثلت الدولة الجزائرية القوة الضاربة في وجه الصليبيين الأوروبيين، كما فرضت احترامها بين دول البحر المتوسط.

- ضعف الدولة العثمانية أثر بالسلب على مكانة الجزائر بين الدول مما زاد أطماع الأوروبيين عليها.

-تدخل الطرق الصوفية في شؤون حكم المغرب الأقصى نتيجة للتهديدات الأجنبية والتناحرات الداخلية على السلطة.

-لم تتبلور روح الوطنية في ذلك الوقت بين أحضان أبناء الوطن الواحد بل يعتبر الأقطار الإسلامية حق لكل مسلم بدون اعتبارات عرقية أو اثنية...الخ

الفصل الثاني

مظاهر الخطاب الصوفي في بلاد

المغرب

أولاً: الخطاب الطريقي بين الدين والعبادة والطريقة.

1- التصوف غداة الوجود العثماني ببلاد المغرب.

2- التأثيرات المختلفة التي عرفها التصوف أثناء انتشاره.

ثانياً: الطرق الصوفية ببلاد المغرب في العهد العثماني.

1- تعريف الطريقة.

2- انتشار الطرق الصوفية.

3- العوامل المساعدة على انتشار الطرق الصوفية في العهد العثماني.

4- عناصر الطريق

5- الطرق الصوفية

توطئة:

لمعرفة الأسباب والعوامل التي أدت إلى انتشار التصوف في بلاد المغرب وكما سبق ذكره في الفصل السابق أن أهم الظروف التي ميزت بلاد المغرب قبيل الوجود العثماني من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية... نجد أن المنطقة باتت مهددة من طرف الغزو الصليبي والتناحر الداخلي على السلطة مما أدى إلى فوضى عارمة فاختلف الحابل بالنابل فلا نميز بين أصحاب الحق النقاة وعصابات اللصوص، وبالتالي أصبحت بلاد المغرب ممزقة تعاني من لا استقرار من الناحية السياسية والأمنية والاجتماعية... وقد صاحب هذا الوضع حالة من التقلبات المناخية الغير مستقرة أدت إلى انتشار الجفاف والأمراض وتناقص في الموارد الغذائية وقد أثر هذا الوضع على سيكولوجية عامة الناس بما فيهم المتصوفة أنفسهم مما غذى الذهنيات بالبدع والخرافات والجدال الكلامي بين الفقهاء والمتصوفة حول مسائل فقهية أثارت الفرقة والشقاق الديني وقد طال ذلك حتى بين أفراد الشعب والسلطة الحاكمة¹.

إن تردي أوضاع المسلمين وحالة التمزق سهل على الإسبان السيطرة على الأندلس وبعض المدن الساحلية التي كانت تمثل أهم حواضر بلاد المغرب كمنطلق لحماتهم تجاه المناطق الداخلية فأسسوا بها حصونا وقلاعاً.

¹ Broudel(F),Méditerranée et monde méditerranéen ,T.I , Paris, Armend Colin,

1966,P251.

وفي خضم هذا الوضع العام انتج لنا خطابا صوفيا حاول إحداث توازنات بين الوضع الاجتماعي المتردي وبين ما يمكن جمعه من شتات للشعب.

أولاً: الخطاب الطريقي بين الدين والعبادة والطريقة

1- التصوف غداة الوجود العثماني ببلاد المغرب

عرف المغرب الإسلامي التصوف منذ بدايات ظهوره واكتسحها وأصبح ظاهرة منتشرة في كامل ربوعه وبات تأثيره جليا في جميع مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية.

عجلت هذه الأوضاع المتردية بأن تتوجه أنظار الطامعين الأجانب في احتلال البلاد وخاصة المغرب الأوسط كما -يسمى في ذلك الوقت- كما عرف السكان أنه لا خلاص لهم إلا عن طريق التبرك بالأولياء وطلب حمايتهم معتقدين في قدرتهم على صد أي عدوان خارجي.

يعتبر المشرق الإسلامي النواة الأولى التي انبعث منها الإشعاع الثقافي والفكري الإسلامي وباعتباره مركز الحضارة الإسلامية العربية، ظلت هيمنته سائدة - في المجال الثقافي والفكري- طيلة عقود طويلة¹. وباعتبار المغرب الإسلامي لا يزال إسلامه فتي وأرضه خصبة وتفتقر إلى ري ظمئها من الأفكار السياسية والدينية - المذهبية- لاسيما

¹ بوداود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13-15م) دراسة في التاريخ السوسيو-ثقافي، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران-2003م، ص60.

الفكر الصوفي الذي بات مرتبطاً بالمشرق، فنجد السكان المغاربة ظلوا يترددون على بلاد المشرق الإسلامي وعلى مدنه الكبرى لأغراض عدة منها الحج وطلب العلم وكذا التجارة، فمن غير المستبعد أنهم اكتشفوا ظاهرة التصوف وتأثروا بأفكارها وأقطابها ونهلوا من مشايخها وأخذوا عنهم الإجازة. وانتقلوا إلى بيئتهم المحلية ثم بدؤوا في نشر تعاليم الصوفية. وقد أغفلت كتب التراجم، الحديث عن المتصوفة الأوائل، نظراً لحالاتهم الانفرادية والمبكرة وذلك أن أقدم التراجم تعود إلى القرنين الرابع والخامس الهجريين.

مر التصوف في شمال إفريقيا بمرحلتين المرحلة الأولى عرفت بالتصوف النخبوي برز خلالها جملة من الأقطاب أمثال أبو مدين شعيب¹ ومحي الدين بن عربي² وأبو الحسن الشاذلي³ وذلك خلال القرن السادس الهجري.

أما المرحلة الثانية عرفت فيها بلاد المغرب وضعا مأساويا شجع على التفاف الناس حول الطرق الصوفية طالبين الأمن والعون حتى تحولت بعض المدن كتلمسان وبجاية قبلة للزائرين يحج إليها العام والخاص للتبرك بأوليائها الصالحين وبالتالي فقد حقق التصوف

¹ أبو مدين شعيب : أصله من اشبيلية ، ولد سنة 1146م غادرها إلى طنجة ثم إلى سبتة ثم مراكش ثم فاس. أخذ التصوف عن عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية ببغداد وعند رجوعه استقر ببجاية ، توفي سنة 1197 م وهو قطب التصوف في المغرب.

² محي الدين بن العربي : ولد سنة 561هـ-1165م بمرسية بالأندلس في عصر الموحدين و قد اشتهر بفلسفة وحدة الوجود أي انعدام الفصل بين الإله والعالم.

³ أبو الحسن الشاذلي: هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار المغربي، الزاهد، شيخ الطائفة الشاذلية، ولد 571هـ بقبيلة الأحماس الغمارية ، تفقه وتصوف في تونس ، وسكن مدينة (شاذلة) ونسب إليها ، وتوفي الشاذلي بصحراء عيذاب متوجهاً إلى بيت الله الحرام في أوائل ذي القعدة 656هـ. تتلمذ على يد الشيخه عبد السلام بن مشيش بالمغرب، وكان له كل الأثر في حياته العلمية والصوفية.

خطوة إلى الأمام مستغلا الوضع الأمني المزري خلال القرن التاسع الهجري. فانتقل التصوف من شكله الفكري إلى تصوف شعبي طرقي في ضرفية خاصة كما سبق الذكر.

عملت نخبة المتصوفين على تكوين أساتذة مميزين في علوم التصوف نشروا تعاليم الصوفية في المدن أولا ثم بدأ الانتقال إلى الأرياف شيئا فشيئا نظرا لانتقال تلاميذهم إليها وأنشأوا زوايا لتعليم التصوف وبالتالي كان التمهيد لنشر التصوف الشعبي وتعميمه على كل فئات المجتمع من الغرب إلى الشرق¹.

لقد قام أقطاب التصوف بدور فعال في نشر الفكر الصوفي الإسلامي ، وكان ذلك الانتشار في المدن قبل الأرياف فكان لكل مدينة وليها الصوفي مثل أبو مدين شعيب بتلمسان ، ومحمد الهواري² بوهران وعبد الرحمان الثعالبي³ بالجزائر. وأبو الحسن الشاذلي عاش في تونس ثم في القاهرة والتي أصبحت أضرحتهم قبلة للزائرين من كل الأماكن⁴.

لتعاليم أبي الحسن الشاذلي أثر كبير في المغرب الأوسط. فمعظم الطرق الصوفية التي ظهرت بعد القرن (14/هـ) لها صلة وثيقة بالشاذلية. ونجد أن أبو الحسن الشاذلي

¹ ألفريد بيل، المرجع السابق، ص393.

² محمد الهواري: هو أبو عبد الله سيدي محمد بن عمر الهواري من ذرية سيدي بوزيد دفين منطقة آفلو ولاية الأغواط، ولد شرق مستغانم سنة 1350م استقر به الحال في بمدينة وهران وهو دفينها.

³ عبد الرحمن الثعالبي: هو من تلاميذ النقاوسي عرف بالزهد والورع والتصوف والعلم الغزير

بدوره قد تأثر بتعاليم عبد السلام بن مشيش¹ الذي تتلمذ على يد أبي مدين، ورغم ذهاب أبو الحسن الشاذلي إلى مصر ووفاته بها نجد أن تعاليمه قد غمرت بلاد المغرب²، ونجد سيدي الهواري قد التف حوله الطلبة آتين من كل مناطق بلاد المغرب خاصة من مازونة وتلمسان لتدريس علوم القانون والأحكام الشرعية وهم بدورهم قاموا بنشر تصوف شيخهم في مناطق أخرى، وهذا نتيجة التواصل الصوفي الحاصل بين المشرق والمغرب الإسلاميين وكان هذا الحراك الفكري دائم فقد شهد القرن 16م انتشار الطرق الصوفية المشرقية، فالقرنين (17-18م) عرف ظهور طرق صوفية محلية عرفت انتشارا واسعا في بلاد المشرق. وكأنه دلو يسكب في الآخر وحين يبلغ الذروة يعاود الكرة ليسكب هذا الأخير في الدلو الأول.

اكتسب الشيخ عبد القادر بن محمد الذي يعتبر مؤسس الطريقة الشيعية تقديرا كبيرا من طرف سكان الجنوب الغربي للجزائر وذلك لنسبه الشريف الذي يعود إلى سيدنا أبو بكر الصديق، يعتبر محمد بن سليمان العلي الجد الأول لأولاد سيدي الشيخ وضريحه يعد مزارا للناس وهو متواجد في نواحي مدينة معسكر اكتسب احترام سكان المنطقة بعد أن وفد من تونس فستقر ببشار حيث أسس نطاقا لأولاد بوبكر أو المسماة البوبكرية، وبذلك استقر نهائيا في جنوب وهران في القرن الخامس عشر³.

¹ عبد السلام بن مشيش الحسني (559-626 هـ/ 1163 - 1228 م) المنتسب إلى قبيلة بني عروس وهو متصوف عاش في زمن الخلافة الموحدية وانتقل بعدها للعيش بجبل العلم قرب العرائش وهناك توفي حيث يوجد ضريحه، يعد أحد أعلام الصوفية وأستاذ المتصوف أبي الحسن الشاذلي صاحب الطريقة الشاذلية.

² سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م))، ج1، ش و ن ت، الجزائر-1981م، ص461.

³ Berque(J), Ulémas fondateur insurgés, Paris, Sind Bad, 1981,p57.

2-التأثيرات المختلفة التي عرفها التصوف أثناء انتشاره

أ-تأثيرات الطقوس البربرية على التصوف:

عرف التصوف انتشارا واسعا في أوساط البربر مما أكسبه ميزة خاصة اذا ما قورنت بقية مناطق العالم الاسلامي. وإذا ما تمعنا جيدا في المجتمع الريفي الذي انتشر بصفة واسعة بين أفراده لدرجة الخروج على السيطرة من طرف المتصوفة المتعلمين أهمل جانبه الفلسفي ليصبح شعبي محصور في مجموعة من المحدثات المادية الملموسة، يمثل الولي محورها والزاوية فضاءها والطقوس وسيلتها ومعانيها الدينية¹.

ومن المعروف أن الولي في شمال افريقية ذو مكانة عالية بلغة درجة التأليه فالحلف به يعد أعظم وأشد رهبة من الحلف بالله وهذا الأمر لم يأتي عبثا بل له خلفياته الموروثة من تراث البربر موازات بالطقوس الاسلامية المتوارثة. وهناك من يرى أن عبادة الأولياء ببلاد المغرب ما هي إلى موروث عقائدي بربري قديم².

ب- مكانة المرأة وأثرها على التصوف:

من يضمن أن التصوف مقصور على الرجال وحدهم وهم من ساهموا في نشره ببلاد المغرب ومن أقصى المرأة من هذا الحراك فهو مخطئ إنها بممارستها للتصوف قد ساهمت

¹ الأخضر لطيفة، الإسلام الطرقي، دار سراس للنشر، تونس-1002م، ص19.

² Doute(E), Notes sur l'islam maghrébin ,les marabuots –Extraits de la revue de l'histoire des religion– Paris 1900 PP 10–11.

بقسط وافر في نشره في الأوساط النسوية بوجه الخصوص وبين أفراد الأسرة عموماً لكن تأثيرهن يصبح واضحاً وجلياً في ممارساتها الدينية المتمثلة في زيارة الأولياء وتقديسه فنجدها تتردد على الأضرحة أكثر من ترددها على المساجد، فعلاقة المرأة بالدين نجدها في مراتب متدنية إذا ما قورنت بالرجل...¹

لكن للمرأة دوراً كبيراً في نشر الإسلام لاسيما في المناطق البعيدة مثل الصحاري والمناطق الجبلية... وكذلك نجد أن الصوفية تمتلك من مرونة ما تمكنها من استقطاب العنصر النسوي ببعض الممارسات والطقوس المحلية التي بدورها هذه الأخيرة تساعد على بعث الفكر الصوفي . وتقوم الكثير من الطرق الصوفية بتشكيل أسس للتنظيمات الاجتماعية في الكثير من الدول الإسلامية مستندة على العامل النسوي لما لها هذه الأخيرة من دور فعال في تربية الناشئة على السلوك الصوفي وخاصة الفتيات منهم، وهي إن قل نفوذها لكن تأثيرها الغير مباشر كان كبيراً، وبالرغم من ذلك فقد برزت نسوة عابدات صالحات فاق نفوذهن رقعة جغرافية ضيقة وقد داع صيتهن بين العام والخاص.

وإذا ما تحدثنا عن الجانب الجهادي نجد أن هن أبلين بلاء حسناً جنباً إلى جنب الرجال حتى في قيادة الجيوش حينما تكالبت الحملات الصليبية الأوربية سواء على السواحل الجزائرية أو بلدان المغرب أخرى و هذا لما تميزن به من ذكاء ناذراً قد لا نجده عند الرجال حتى.

¹ الأخضر لطيفة، المرجع السابق، صص(21-23).

ج- تأثيرات الطقوس الزنجية على التصوف:

قد نجد ومن خلال تأملنا في سلوكيات المتصوفة والطقوسهم واعتقاداتهم التي يؤدونها لها امتدادات سودانية في المجتمع المغربي فخلال قرون لم تنقطع قوافل عن جلب العبيد السود¹ إلى المناطق الشمالية وخصوصا السواحل الجزائرية والمغربية والتونسية ، وبذلك حملوا معهم عاداتهم وتقاليدهم الوثنية وامتزاجها بالثقافات الشعبية في بلدان المغرب. وقد رفع أحمد التنبكتي برسالة إلى محمود باشا الأول اثر عودته من أداء مناسك الحج مارا بمصر ثم تونس وجد ظاهرة اجتماعية خطيرة تسبب فيها جلبوا إلى تونس في عهد علي باشا الأول ت (1169هـ - 1756م). واتخذهم حراسا شخصيين لنفسه وبعد وفاته كونوا مجتمعا مصغرا منفردا عن البقية، قد عنون هذه الرسالة بـ"هتك السر عما عليه سودان تونس من كفر" ليفضح بها هؤلاء السودانيين الذين خرجوا عن تعاليم الدين الإسلامي، فإسلامهم لم يخلوا من طقوس عبادة الأشخاص من المسلمين ومن الصعوبة بما كان التخلي على ما طبع عليهم منذ وقت بعيد من عادات وطقوس دينية كانوا يمارسونها في بلدهم².

ويرى أحد الباحثين أن مختلف التأثيرات لا يمكن لوحدتها تفسير ظاهرة الاعتقاد في الأولياء فإننا تجدها منتشرة في العديد من الديانات السماوية وحتى مختلف الحضارات الانسانية التي مرت عبر التاريخ كما أن الزعامة الروحية لا تخلوا منها الشعوب البدائية، كما

¹ اصدر أمر من باي تونس في 23 جانفي 1846 بالغاء تجارة العبيد غير أن هذا القرار لم يطبق بحزم إلى في 1890م وقد تسلط عقوبات على كل من يتورط في التجارة بالعبيد أو حيازته. أنظر : Le culte des saints ,E. Dermenghem . dans l'islam magrébin .Gallimard-Paris 4^e Edition ,1945 p255 .

² الأخضر لطيفة، المرجع السابق، ص 24.

نجد اشتراكا بين اليهود والمسلمين في زيارة نفس الولي كسيدي محرز¹ بتونس أو سيدي يعقوب بتلمسان.

ثانيا: الطرق الصوفية ببلاد المغرب في العهد العثماني

من يغوص في أعماق الطرق الصوفية التي كانت متواجدة في بلاد المغرب خلال القرن (10هـ / 16م) وما يليها من حيث تنظيماتها، والأدوارها المختلفة المنوطة بها، ومدى أهمية تلك الأدوار التي كانت تلعبها، والمكانتها التي تتمتع بها في أوساط المجتمع، يجدها في كثير من الأحيان تتشابه وفي أحيان أخرى تختلف. لهذا فالحديث عن الطرق الصوفية أمر في غاية التعقيد والتشعب وتفرعاته كثيرة ومواضيعه يصعب حصرها والإلمام بها، لأنه حديث عن الفكر والحضارة والركود والانحطاط في وقت واحد، وسنحاول ذكر ما يهم الموضوعنا المتمثل في دور هذه الطرق في الحياة العامة والخاص خلال فترة الدراسة وأثر هذه الطرق على الأحداث السياسية وقبل ذلك من المستحسن التطرق إلى توضيح مصطلح الطريقة وهيكلتها.

1- تعريف الطريقة:

الطريقة: في اللغة تطلق على السيرة، والمذهب، والحال².

¹ إن سبب زيارة اليهود لضريح سيدي محرز بن خلف لأنه قام بحمايتهم لما قامت الانتفاضات الشعبية ضد الحكم الفاطمي، نظرا لما تتعرض له الأقليات في مثل هذه الأوضاع.

² ابن منظور، المصدر السابق، ج10، ص221.

الطريق هو السلوك القاصد إلى الله وحبه، وطريق التصوف هو طريق أولياء الله وأهل حبه، وهو السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى¹. أما عمليا فالطريق هو ما يضعه شيخ من مشايخ الصوفية لمجموعة من المريدين من أوضاع وأذكار وأوراد، يلتزمون بها، ويختصون بها دون غيرهم، أما الجرجاني فعرفها قائلا: "الطريق عبارة عن مراسم الحق تعالى المشروعة التي لا رخصة فيها" والطريقة تنسب لشيخ مرشد روعي (يقول بتلقي نفسه في ميادين التصوف والوصول إلى رتبة الشيخ، ولا بد أن يكون من أهل الكرامات والمكاشفات وله ذكر خاص يقول أنه تلقاه من الغيب).

ويعرفها الصوفية بأنها: « لسيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات²، وفي هذا التعريف نظر بالنظر إلى تطور الطرق، وكذلك بالنسبة لوصف الطرق ذاتها، فهي أقرب ما تكون جملة مراسيم وتنظيمات لجماعات صوفية³.

2- انتشار الطرق الصوفية :

عرف التصوف انتشارا واسعا وانتقل من صورته الفردانية إلى صورته الجماعية لاختلاف المذاهب الصوفية وبالتالي ظهور الطريقة، يقدر بعض الباحثين أن ظهور الطرق الصوفية يرجع إلى منتصف القرن الرابع الهجري وسرعان ما انتشرت في مختلف

¹ جرجاني، المصدر السابق، ص 141.

² نفسه.

³ دائرة المعارف الإسلامية (البريطانية) تأليف مجموعة من المستشرقين ترجمها للعربية أحمد الشنتناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد ج15، الناشر دار المعرفة، بيروت-د.ت، ص172.

البلدان الإسلامية ، ويرى صاحب كتاب " الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة " أن بدايات الطريقة كانت على يد الصوفي الإيراني محمد أحمد الميهي المتوفي سنة 430هـ المكنى بـ"أبي السعيد " وقد أقام في بلدته نظاما لل دراويش وبنى خانا قرب منزله للصوفية¹.

إلا أن هذا المعنى للطريقة اختلف عبر القرون لتطور تطبيق الصوفية له، فقد أصبحت الطريقة بعد القرن السادس أو ما بعده لها بيعة معينة وأوراد ، وزبي خاص، ومولد معينة ، وأضرحة ، وزوايا يجتمعون فيها ، وكل شيخ طريقة وله خلفاء، وغالباً ما تكون مشيخة الطريقة وراثية.

أقدم الطرق الموجودة اليوم الطريقة القادرية ومؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني² وهو في العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة³. وقد حدد آداباً للمريد، وآداباً للشيخ، وآداباً للصحة، وآداباً للسمع، وصلوات الأيام والليالي والأذكار⁴... ثم جاء بعده السهرودي⁵ مؤسس الطريقة السهروردية، وصاحب "عوارف المعارف"، وزاد تحديد لون معين للخرقة، والربط، وتأصلت في القرن السابع وما بعده ، فأصبح من شروط السالك في أي طريقة صوفية كالطريقة القادرية والرفاعية والشاذلية والنقشبندية وغيرها التزام البيعة لشيخ الطريقة أو أحد خلفائه⁶، ولم يكن هذا الشرط موجوداً في بداياتها، ثم أصبح شرطاً إلزامياً للسالك في

¹ خالق عبد الرحمن، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، دار الحرمين، القاهرة -1993م، ص532.

² نفسه، ص 13.

³ الغنية لطالبي، طريق الحق للشيخ عبد القادر الجيلاني، ج2، المكتبة الثقافية، بيروت د.ت، ص563.

⁴ نفسه، ص ص(188-192) .

⁵ السهر وردي يلقب بشهاب الدين ت(632هـ-1234م).

⁶ عبدالله زروق، أصول التصوف، ط1 الناشر مكتبة الزهراء، القاهرة-1418هـ، ص16.

الطرق المتأخرة كالختمية¹، والتجانية² وغيرها، والبيعة لها عبارات معينة، وأسلوب خاص في أخذ البيعة، لكنه متشابهة عند غالب الطرق، وكذلك الالتزام بزبي معين فمثلا القادرية زيهم أبيض، والرفاعية أسود أو حالك الزرقة أو قاتم الخضرة، والبدوية (الأحمدية) أحمر³، وأصبح لكل طريقة أورد معين من وضع شيخها، ولكل طريقة أضرحة يحج إليها.

اهتمت الطرق الصوفية اهتماما كبيرا بجوانب عديدة عامة وبالجانب التربوي خاصة. وقد حث شيوخ الطرق الصوفية أتباعهم على الاعتناء بهذا الجانب وبالتالي أصبحت الزوايا مركز إشعاع تربوي وثقافي. وما ساعدها على ذلك النشاط التربوي كون معظم شيوخها ومقدميها من المتقنين الذين ساهموا بقسط وافر في مجال التربية والتوجيه والإرشاد والتعليم، وقد برعوا في مختلف العلوم. فكانوا يدرسون الفقه والتفسير والحديث...إلى غير ذلك من العلوم الدينية والدينيوية.

3-العوامل المساعدة على انتشار الطرق الصوفية في العهد العثماني:

أ- العامل السياسي:

إن الحملات الصليبية التي باتت تهدد السواحل الجزائرية دفعت رجال التصوف إلى تأسيس رباطات في الثغور وذلك لصد هجماتهم، وبعد استتباب الأمن تحولت إلى زوايا ذات شهرة كبيرة لما قامت به من دفاع عن المناطق الحساسة ضد الغارات الصليبية الإسبانية

¹ أحمد جلي، وطائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها، ص132.

² محمد التجاني، السر الأبهري في أورد القطب الأكبر، ط1، المكتبة الثقافية ببيروت، ص127، أنظر أيضا الفتح الرباني.

³ زكريا بيومي، الطرق الصوفية في مصر، ط1، الناشر دار الهجرة للنشر، القاهرة-1412هـ، ص143.

فأصبح هذه المؤسسات تمارس أدورا آخر في أيام السلم المتمثلة في تدريس المريدين والسهرة على إعانة المحتاجين...

إن انتشار الظلم والفساد أدى بالبعض إلى العزلة والبحث عن راحة النفسية والطمأنينة والابتعاد عن الناس وزخم العيش.

كان انشغال السلطة العثمانية بالجهاد وترك أصبحت للزوايا دور في إحداث التوازن وسد ثغرات في الميدان الاجتماعي لدى كان الناس يلجئون إلى زواياها بحثا عن الأمان والتعليم وأغراض أخرى¹.

ب-العامل الاجتماعي:

عملت الطرق الصوفية على إحداث التوازن الاجتماعي، بعدما عجزت السلطة الحاكمة على بعث الحركة الاجتماعية وتمثل ذلك في احتواء الأزمات الاجتماعية من فقر وتدهور معيشي وفكري. فقد ساهمت الطرق الصوفية في الإيواء المتشردين ومساعدة المحتاجين ومحاربة الجهل والدفاع عن الحدود من الصليبيين الغزاة²... مما أدى إلى التفاف الناس حولها وسرعة انتشارها. كما أدى الابتعاد عن البذخ والترف بالجزائريين إلى الميل نحو الزهد في الحياة الدنيا والتمسك بالعقيدة الإسلامية³.

ج-العامل الاقتصادي:

¹ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 458.
² المهدي بوعبدلي، الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، مجلة الأصالة، عدد 13، ص24.
³ أحمد بن الشين، الطريقة التيجانية بين الماضي والحاضر، مذكرة ماجستير، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر 2001م، 18.

إرهاق الرعية بالضرائب بعد تقلص مداخيل الجهاد البحري، واستبداد البعض بالبايات، أدى ذلك إلى احتماء الناس بالطرق الصوفية عن طريق اللجوء إلى طريقة الحبوس كون معظم الزوايا لا تجب عليها الضرائب مما أدى إلى زيادة نفوذ الطرق وغنى زواياها.

4- عناصر الطريق:

أ-العهد:

-اللغة:

للعهد عدة معان منها: الوصية، والضمان، والأمر، والرؤية، والمنزل. فكل ما عُوهد الله عليه، وكل ما بين العباد وربهم من المواثيق هو عهد، وكذلك كل ما أمر الله به ونهى عنه. وفي حديث الدعاء: "...وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ..."¹.

-العهد اصطلاحاً:

يتكون الطريق ويتشكل من شيخ ومريد والشيء الذي يربط بينهما يدعى العهد والبيعة، والعهد هو أوثق رباط قد يحصل بين رجلين تحابا في الله وتعاهدا على طاعته، فالبيعة تكون لله وفي الله وبالله. أما العهد والمبايعة للشيخ فتتمثل في الأخذ والمصافحة. وقد شاع بين الصوفية مصطلحات تدل على عمق العلاقة بين الشيخ والمريد، ففي بداية سمي هذا الرباط ب: العهد، والبيعة، والتحكيم، والباس الخرقه، والطريق، وهي مصطلحات لها دلالات تربوية

¹ رواه البخاري في صحيحه رقم 6306.

سلوكية عميقة، فهي تعني نقطة ابتداء الرابطة بين المرید السالك والشيخ الكامل، وبحسب الحقيقة والباطن ربط المرید بالمراد سبحانه.

عرفه الجرجاني على أنه : "حَفِظُ الشَّيْءِ وَمِرَاعَاتُهُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ"¹ وهذا المعنى نجده في معنى العهد عند الصوفية، والمقصود من ذلك أخذ العهد على المرید على أن يحافظ على الواجبات والآداب الشرعية، ويراعي ما يلقيه له شيخه من الأذكار والأوراد والمجاهدات بالتدریج، فلا يهملها ولا يغفل عنها، ويقصد بالعهد عند الصوفية هو ذلك الميثاق الذي على السالك والمرید الالتزام به للانتقال من حياة الغفلة وغلبة الشهوات إلى حياة التوبة والمراجعة للنفس والتفتيش عن عيوبها والإقبال على الله، وبهذا يتحقق العهد وذلك بالانتقال من حال إلى أخرى.

يقول الشيخ السهروردي في كتابه "عوارف المعارف" وفيها معنى العهد والمبايعة: "ارتباط بين الشيخ وبين المرید، وتحكيمٍ من المرید للشيخ في نفسه، والتحكيم سائغ في الشرع لمصالح دنيوية، فماذا ينكر المنكر للبس الخرقة على طالب صادق في طلبه، يقصد شيخاً بحسن ظن وعقيدة، يحكمه في نفسه لمصالح دينه، يُرَشِّدُهُ ويهذبه، ويعرفه طريق المواجد، وَيُبَصِّرُهُ بآفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو"².

¹ الجرجاني، المصدر السابق، ص134.

² السهروردي، عوارف المعارف، تح سميع شمس، دار صادر، بيروت- د ت، ص105.

الصوفية عندهم لا يكفي عند مضيهم في الطريق إلى الله سبحانه وتعالى بالعلم فقط، وقراءة كتب التصوف بلا أخذ العهد من الشيخ ، فتكون طريقا إلى الضلالة والبيعة عقد إلزامي يلزم المتعاقدين بكل ما في بنود البيعة.

ب- الشيخ:

الشيخ¹ هو الوسيلة الصحيحة للتقرب إلى الله، فهو المربي الذي تدرج في المقامات وقهر النفس وانتصر على الشهوات، وهو المربي الذي يأخذ بيد المريد، وليوصله إلى سبيل الرشاد، ويعينه عند العوائق والعثرات، حتى يستقيم حاله فتتوضح له طريق الحق متوجها إلى الله تعالى، فالمريد يرى في الشيخ ذلك الأخ الناصح والمرشد الصادق، فبدونه يقع في المتناقضات وينقاد إلى المهلكات دون علم ودراية، لأنه لا يفرق بين الحق والباطل، كما أن الانصياع نحو هوى النفس والشيطان تعد من الأمور السهلة البسيطة، أما العمل في مرضاة الله عز وجل يعد من الأمور الصعبة العسيرة، ومن هنا تتضح لنا ضرورة وجود الشيخ المربي في الطريق الصوفي، فالشيخ أشبه بمحرك الطاقة، وهو واجب شرعي باعتباره وسيلة إلى الله تعالى، وقد جاء في محكم التنزيل حيث قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾²

ج- المريد:

¹ أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-2000م، ص74.

² سورة المائدة الآية 5.

مريد وجمعها المريدون هو المتعلم على شيخ طريقة¹، والمريد رتبة من رتب الصوفية. وله درجات كما يتوجب عليه قراءة أوراد في اليوم واللييلة يكلفها بها شيخه ليسير على طريقته في التصوف وذلك ضمن تربيته له. ويختلف المنهج الذي يتبعه الشيخ باختلاف الطريقة المتبعة في تربية مريديها. فقد يتعامل بعضهم طريق بالشدة مع المريدين فيجبرهم شيوخها على كثرة الصيام والسهر وكثرة الخلوة والاعتزال عن الناس وكثرة الذكر والتفكير ويسمى ذلك بالمجاهدات. والبعض الآخر من شيوخ الطرق الصوفية يتعامل مع مريديه بطرق لينة في التربية فيأمرونهم بممارسة شيء من الصيام والقيام بشيء من الليل مع كثرة الذكر، ولكن لا يلزمونهم بالخلوة واعتزال الناس إلا الشيء القليل.

د- علاقة الشيخ بالمريد:

تقوم العلاقة بين الشيخ والمريد داخل الطريقة على التبجيل إلى حد التقديس، فالمنظم للطريقة " بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغساله" لأن المريد ينفذ أمر الشيخ ولا يسأله ولو كان أمرا معقولا أو غير معقول فعليك أن تخدم الشيخ وتتم الاعتقاد معهم وسر الله في صدق النية لقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿نية المؤمن خير من عمله...²﴾ فالشيخ الملقن يتعهد المريدين بتربيتهم من الناحية الفكرية والخلقية والوجدانية، ويكون بمثابة معلم وأب روعي لأنه يصنع من المريد شيئا جديدا، وكرامته سترفع المريد إلى القمة. وفي هذا الصدد يصبح كل شيء آخر ثانويا، فبلا شيخ لا يتمكن المريد من فعل أي شيء لا قدراته، ولا

¹ أيمن حمدي، المرجع السابق، ص 87.

² رواه البيهقي .

أهليته، ولا استقامته، ولا صلواته، ولا أدعيته وتهجده توصله إلى أعلى المراتب، لهذا عمد الشيوخ الواصلون على انتقاء مرديهم بعناية فائقة¹.

5- الطرق الصوفية:

أ-أوضاع الطرق الصوفية:

لعل من ينتبع لتطور الحركة الصوفية الطرقية ببلاد المغرب يؤكد على ضرورة الحديث على أمهات الطرق الصوفية الفاعلة في المجتمع المغربي الصانعة للخطابات السياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية وبالخصوص العقائدية والفكرية على حد سواء، والتي على باحث التاريخ إثارتها لتقصي حقائق وإشكالات تاريخية صرفة ومعالجتها معالجة موضوعية. وفي محاولتنا الموالية سنسلط الضوء على أهم الطرق الصوفية وأوضاعها العامة خلال فترة الدراسة

• الطريقة القادرية:

تعتبر القادرية أول طريقة صوفية ظهرت في الإسلام وأكثر انتشارا في بلاد المغرب² في عصر أحمد التيجاني وسمية كذلك نسبة إلى مؤسسها الشيخ محي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني³ بن أبي موسى ولد بايران (417هـ-1078م) وتوفي سنة (561هـ-1166م) ببغداد حيث قبره وزاويته إلى يومنا هذا ، كما أنه استكمل الامامة في العلوم الشرعية والتربية

Louis Rinn, op- cit, p136.

BEN ACHENHOU,Op.cit, p135.

Louis Rinn, op- cit,p137

التصوف وقد تخرج على يديه ما لا يحصى من التلامذة من كل أنحاء العالم الاسلامي، وحسب أحد الباحثين الأجانب فقد انتشرت تعاليمها في المغرب الأوسط بطريقتين أولها عبر مصر أما الثانية عن طريق الأندلس¹. حيث استقر بمصر أحد أبناء الشيخ الجيلاني وهو الشيخ عيسى فوصلت إلى المغرب العربي عن طريق الحج وطلب العلم والتجارة². أما طريق الأندلس فقد قام أحفاد ولديه إبراهيم وعبد العزيز بدور كبير في نشر تعاليم القادرية في المغرب العربي بعد هجرتهم إلى فاس، ولعل أشهر من نشر تعاليم الطريقة في بلاد المغرب هو الشيخ أبو مدين شعيب دفين تلمسان الذي اجتمع بالشيخ عبد القادر الجيلاني بمكة المكرمة، وأكمل سلوكه الصوفي على يديه بعد ما ابتدأه على يد شيخه أبي بعزي المغربي³.

وقد اعتاد حجاج المغرب الأوسط التوجه لزيارة ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني، بعد أداء فريضة الحج، للتبرك به، ولم تبنى زوايا إلا في عهد الشيخ عبد القادر الغريسي⁴ سنة (1200هـ/1786م) وكانت أولها الزاوية القادرية بالقيطنة الواقعة في واد الحمام قرب مدينة معسكر، قبل ذلك قام بزيارة ضريح الشيخ الجيلاني بعد أدائه فريضة الحج وإجازته من طرف شيخ القادرية بها، وقد قامت زاويته بأدوار تعليمية كتعليم القرآن وتعليم الطريقة، واعتبرت محطة للزوار وملجأ الغرباء والمسافرين والفقراء.

1 Louis Rinn, op- cit, p178.

2 سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص519.

3 DERMENGHEM(E), L'Algérie religieuse in Initiation à l'Algerie, Maison neuve, Paris -1957, P254.

4 الشيخ محي الدين هو جد الأمير عبد القادر الجزائري.

ظهرت الطريقة القادرية في الجزائر قبل مجيء العثمانيين، وحال مجيئهم شجعوها في أول الأمر لأنهم عرفوها من قبل في تركيا¹، ثم تغيرت العلاقة بينهما في أواخر العهد العثماني بالجزائر. بلغ عدد زواياها حسب إحصاء سنة 1882م 29 زاوية و268 مقما وحوالي 15000 من الأتباع والمريدين².

أورادها:

من أوراد الطريقة نجد: البسملة، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ما تسمى عندهم بالتصلية (اللهم صلي وسلم على طلعة ذات المطلسم،...) بالإضافة إلى الحوقلة أي قولك (لا حول ولا قوة إلا بالله)، والفاتحة، وتعاد مرات عديدة من قبل الفقير، أو تردد في جماعة. وللقادرية مؤلفات لشيخها بدءا بالشيخ الجيلاني (الغنية لطالب طريق الحق) - (الفتح الرباني) - (فتوح الغيب) - (الفيوضات الربانية)، أما عيسى بن عبد القادر الجيلاني فله (جواهر الأسرار، و لطائف الأنوار)، أما عبد المنعم القادري ألف (الدرر النورانية)، أما إبراهيم علي القادري فله مؤلف بعنوان (مدراج الحقيقة الرابط عن أهل الطريقة).

• الطريقة الدرقاوية الشاذلية:

الطريقة الدرقاوية طريقة صوفية ذات أصل مغربي وقد تفرعت من الطريقة الأم ألا وهي الشاذلية يعد شريف إدريس أول من دعا إلى الطريقة الدرقاوية. وما الدرقاوية إلى امتداد

¹ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 513.

² يحيى بوعزيز، الثورات الجزائرية في القرنين 19 و20، مجلة الثقافة، العدد 63-الجزائر، وزارة الثقافة والسياحة، ماي/جوان 1981م، صص (59-68).

للساذلية . وقد نسبة الطريقة الدرقاوية إلى "أبو عبد الله محمد بن يوسف الملقب بأبي درقة" و هو أحد أسلاف "العربي الدرقاوي"¹. وذلك رغم أنه كان مؤسس الطريقة و منظمها².

وأبو درقة هو من العلماء العارفين الزاهدين المشهورين سمي كذلك لأنه كان يحمل درقة كبيرة يحتمي بها في الحروب، ويقال أنه كان كثير القيام والصيام، يختم القرآن كل يوم، ونسبه يعود إلى ادريس ابن ادريس الأكبر³.

أسس الدرقاوي زاويته في بني زروال، وضع مولاي العربي الدرقاوي الأسس الصحيحة التي تركز عليها الطريقة، وقد اهتم بالتربية والإرشاد فازداد أتباعه ومريدوه كما ازداد عدد الطلاب فهو يعد المجدد الأكبر للتصوف عموماً وللطريقة الشاذلية خصوصاً⁴، عرف مولاي العربي بأخلاقه الفاضلة وتغلبه على النفس والهوى، استطاع أن يجمع بين الشريعة والحقيقة وبين العلم والتربية. دفع بالطريقة الشاذلية دفعة جديدة خلال القرن الثالث عشر، وقد اقتدى في سلوكه بسيدنا عيسى عليه السلام في المشي بالعصى وحياة الاعتزال ولبس

¹ هو مولاي العربي بن أحمد بن الحسين بن محمد بن يوسف بن أحمد الشريف الإدريسي، من بني زروال المراكشيين، ولد سنة (1150هـ/1737م) تلقى العلم الظاهر والباطن على يد شيخه "أبي الحسن سيدي علي الجمل" كان قليل الكلام متواضع حفظ القرآن بالقراءات العشر ودرس العلوم بفاس واشتغل بها كمدرس، أنظر محمد بن أحمد العسكري المعروف بأبي زيان، كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخير، الخزانة العامة الرباط رقم 2339. وأيضا كتاب النصر النبوية لأهل الطريقة الدرقاوية لمؤلفه اسماعيل حبش المدني، وكتاب رسائل مولاي العربي الدرقاوي.

² بونقاب مختار، تاريخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر، رسالة لنيل شهادة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2002، ص 37.

³ ابن عجيبة، الرسالة الدرقاوية، مخطوط غير مطبوع، المكتبة الوطنية.

⁴ بونقاب مختار، المرجع السابق، ص 39.

المرقع اقتداء بسيدنا أبا بكر الصديق وسيدنا عمر بن خطاب وحمل السبحة حول العنق
اقتداء بسيدنا هريرة رضي الله عنهم جميعاً¹

تتشكل تعاليم الطريقة الدرقاوية من مجموعة من الوصايا أوصى بها العربي الدرقاوي

أتباعه:

- ذكر الله عن طريق التمايل.
- الامتناع عن الكذب.
- تجنب أصحاب السلطان والحكم.
- الإكثار من التعبد ليلاً ونهاراً.
- كبح الشهوات والصبر على الجوع.
- الابتعاد عن الأمور الدنيوية.
- التشدد في التقشف.
- لبس الرث من الثياب.

عرفت الطريقة انتشاراً واسعاً خصوصاً في شمال المغرب الأقصى وغرب الجزائر

كانت مناهضة للحكم العثماني في الجزائر، فقد عمد الباي حسن إلى تضيق الخناق على

¹ Dépont et Capolani, Les Confréries Religieuses Musulmanes, Adolphe Jourdan, Alger

الشيخ محي الدين فمعة من الحج خوفا من نشاطه بعد أن زاد نفوذ الطريقة¹، عمل تلميذه عبد القادر بن الشريف إلى نبذ المشاركة في الثورات ومحاولة التصالح، وبقي في زاوبته داعيا إلى الله مهتما بتربية المريدين القادمين من كل صوب إلى أن وافته المنية سنة (1293هـ-1823م) ودفن بزاوبته ببويريح². وكان من خريجي هذه الزوايا الأمير عبد القادر³ الذي سلك الطريق الصوفي على يد شيخه محمد الفاسي⁴ بمكة المكرمة⁵.

أهم فروعها:

-الطريقة الهبرية

-الطريقة المدنية

• الطريقة الطيبية الشاذلية:

ومن فروع الطريقة الشاذلية أيضا الطريقة الطيبية نسبة إلى الشيخ الطيب الابن الثاني لمحمد بن عبد الله الشريف بن مؤسسها الشيخ عبد الله شريف المشرفي⁶ من سلالة الشيخ

¹ من أهم فروعها التي لا تزال تنشط إلى يومنا هذا نجد الطريقة العلاوية والتي بلغ انتشارها في تونس والشام وأوروبا وأمريكا، أسسها الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المتوفي بمستغانم سنة 1934م. وكذلك الطريقة الهبرية شيخها هو السيد الحاج محمد الهبري المتوفي في نواحي مغنية سنة 1899م، أما في المغرب الأقصى فروعها كثيرة .

² عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 16.

³ الأمير عبد القادر الجزائري هو مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة.

⁴ الشيخ محمد الفاسي شيخ الطريقة القادرية بمكة المكرمة أخذ على يد شيخه ظافر المدني الذي هو أحد خلفاء العربي الدرقاوي.

⁵ محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج2، المطبعة التجارية، الاسكندرية- 1903م، ص 137.

⁶ في عهد الشيخ الطيب ازدهرت الزاوية ازدهارا عظيما وأصبحت منذ ذلك الحين تنسب إلى الشيخ الطيب فأصبحت تعرف بالطيبية.

عبد السلام بن مشيش وقد توفي سنة 1089م¹، تستمد الطيبية أصولها من الطريقة الشاذلية وهي تعتبر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أساس الذكر، اهتمت الزاوية بالفقراء والغرباء واليتامى والأرامل وحسب بعض المصادر كانت الزاوية تطعم ما يزيد على أربعة ألف نفر وهذا دليل على القوة والمكانة التي حظيت بها². وقد أشار أحد الباحثين أن الطريقة الطيبية دخلت الجزائر من المغرب الأقصى فقد كان علماء الجزائر والمغرب دائمو التنقل بين القطرين ولاشك أن تعاليم الطريقة قد انتشرت بفضل هذا التواصل.

• الطريقة السنوسية:

نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد بن علي بن السنوسي³ ولد في (1202هـ-1788م) بقرية "مَيْثًا" التي تقع على ضفاف وادي شلف التابعة لمدينة مستغانم تربي يتيما في أحضان عمته التي كانت متبحرة في العلوم حتى أن الرجال كانوا يحضرون مجالسها العلمية، وبالتالي نشأ الشيخ نشأة علمية درس فيها على مشايخ مستغانم ثم انتقل إلى مازونة ليتم تعليمه ثم تلمسان، عرف بالنبوغ منذ صغره كما كان يميل إلى الانزواء والتفكير العميق لقد كان تفكيره في حال الأمة مبكرا.

¹ ولد الشيخ في قبيلة عروس في جبل علام بالمغرب الأقصى، قصد فاس بعد أن تتلمذ على علماء تطوان لينهل من علماء القرويين وانتهى به الأمر إلى أن أسس زاويته بعد أن ساح وتأمل وبحث وكانت من صفات الشيخ احتقار الدنيا فكان فقير ويقال أنه لم يجد ما يدفعه مهرا حين أراد الزواج إلى أن جاءه المهر عن طريق الكرامة.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص523.

³ هو الشيخ محمد بن علي بن السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد القادر شهيدة بن حم بن يوسف بن عبد الله بن خطاب بن علي بن يحيى بن راشد بن أحمد المرابط بن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه-. أنظر إلى المجموعة المختارة للإمام السنوسي، ص7.

رحلته إلى فاس: تتلمذ في فاس على يد خيرة علمائها وعلى الشيخ العربي الدرقاوي، كما تبحر في علوم التصوف والشريعة... الخ، فأصبح يدرس بها ونال المشيخة الكبرى ذاع صيته فشعر بمضايقه من طرف السلطان سليمان فارتحل.

درس بن السنوسي التصوف وتعمق فيه وخطافها خطوات جبارة فارتأ لنفسه طريقة خاصة سميت باسمه وله كتاب يتحدث فيه عن الطرق الصوفية ووضع وصفا للطريقة المثلى مقيدة بالكتاب والسنة وجعلها مبنية على أساس السنة النبوية الشريفة في الأقوال والأفعال والأحوال... الخ¹.

أما الدراسات الفقهية فقد تبحر فيها لما كان في فاس وقد أخذها على المذهب المالكي بطريقتي المغاربة والمشاركة، ونجد اهتمامه جليا بالفقه والتصوف حتى أنه أكسبها طابع السنة وأجمها بحدود الشرع واستمر هذا حتى آخر حياته، واصل تدريسه الفقه المالكي حتى أنه اجتهد فيه وقد خالف فقهاء المالكية في بعض المسائل. اهتمامه بالتصوف بدى جليا في منهجه التربوي الذي وضعه لمريديه، كما أنه وفق في وجه الحكام ضد انحرافاتهم ووقف مع الحكام العادلون لتحقيق العدالة وإصلاح النظام.

كانت رحلته إلى مكة لأداء فريضة الحج للاحتكاك بعلمائها والعلماء والمفكرين الوافدين إليها ومعرفة أحوال الناس وطبائعهم كما تتلمذ على علماء الوهابية ودرس مواقفها السياسية واجتهاداتها العلمية. من علماء مكة الذين تتلمذ عليهم نجد أبو سليمان عبد الحفيظ العجمي

¹ كتاب مطبوع حديثا على النحو التالي: الشيخ بن سنوسي، السلسيل المعين في الطرائق الأربعين، تح محمود محمد خلف، دار الكتاب العلمية، بيروت-2015م.

مفتي مكة وأبو حفص عمر بن عبد الرسول العطار وأحمد الدجاني وأحمد بن إدريس والذي يعد من أفضل شيوخ بن السنوسي وقد تأثر به كثيرا¹.

• الطريقة الرحمانية:

أسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجرجري الأزهري ولد سنة (1130هـ- 1720) بأيت سماعيل وهي منحدر من الطريقة الخلواتية المصرية، درس على يد ثلة من الشيوخ كالشيخ واعرب بأيت إيثن²، استقر الشيخ بمصر بعد عودته من رحلة الحج حيث درس بجامع الأزهر على يد مجموعة من الشيوخ ومنهم محمد بن سالم الحفناوي مؤسس الطريقة الحفناوية الخلواتية³، فاعتنق طريقته متعهدا بنشرها في الهند والسودان، وعند رجوعه إلى الجزائر، أسس زاويته ببلدته سنة (1183هـ-1770م) وتفرغ لنشر العام وتلقين مبادئ التصوف على الطريقة الخلواتية، حيث قصدته الناس من كل الأصقاع، وممن أخذ الطريقة الخلواتية الشيخ أحمد التيجاني عند عودته من الحج⁴، منح إجازته الأولى إلى سيدي بلقاسم بن محمد سنة (1190هـ-1777م) وكانت ممضاة بخط يده⁵.

¹ علي محمد محمد صلابي، الثمرة الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، ج1، ط1، مكتبة الصحابة ومكتبة التابعين، الشارقة- 2001م، صص 38-41.

² الفيلاي محمد طاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجوائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الفن القرافيكي، الجزائر-1976م، ص40.

³ بوعزيز يحيى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، الجزائر-1995م، ص299.

⁴ Louis Rinn, op- cit, p453.

⁵ Delpeche (A), Un diplôme de Mokadem de la confrerie religieuse Rahmaniya, R.A, N°18,1874,pp(418-429).

بعد وفاته سميت طريقته بالطريقة الرحمانية، أثار نشاط الشيخ استياء مرابطي مدينة الجزائر حين انتقاله إليها وقيامه بالقاء الدروس في مسجد الحامة والمسجد الكبير، قام الداوي محمد بن عثمان باشا بمنحه قطعة أرض واسعة تكريما له، اتهم الشيخ بالانحراف والخروج على الشرع، وبحضور الداوي ترأس الحاج محمد بن علي الأمين المجلس العلمي الذي عقد لمحاكمته مرغما غير أن الشيخ خرج منتصرا، وعاد إلى دياره لاستكمال مسيرته في نشر الطريقة، أصبحت الطريقة مصدر تهديد بالنسب للسلطة بسبب تزايد نفوذ منطقة القبائل وكثرة الأتباع، لم تسع الطريقة الرحمانية إلى التورط في القيام بعمل ضد السلطة العثمانية لان حرص شيوخها كان شديدا حتى لا يسقوط في مكائد الأتراك رغم ما وجدوه من معارضة ومضايقات¹. أصبحت هذه الطريقة متصدرة قائمة الطرق الصوفية الجزائرية من حيث الأتباع حيث بلغ 156214 منخرط و 873 مقدم 177 زاوية ونجدها ذات نفوذ كبير في منطقة القبائل، وبهذا تستطيع القول أنها أكثر الطرق الصوفية انتشارا².

ب-الخطاب الجهادي وإقرار الشرعية للشيوخ:

من الأمور التي أسهمت في تحقيق الشرعية للطرق الصوفية ببلاد المغرب هي تبني الجهاد كعامل رئيسي يحقق الوحدة السياسية والقاعدة التي يستند إليها الحكام في ظل عدم الاستقرار السياسي الذي ساد الفترة التي سبقت الوجود العثماني بالمنطقة، باعتباره رمزا للنقاء والطهارة الباطنية للفرد المسلم الحر، كما يعتبر الوسيلة الأنجع لصد الهجومات المتكررة

¹ MAHA (A), Histoire de la grande Kabyle XIX^{eme}-XX^{eme} siècle antrepologie historique du lien social dans les communauté villageoises, ED.Bouchene, Alger2001,P50.

² Louis Rinn, op- cit, p111.

على السواحل من أعداء الاسلام بالنسبة لعامة المسلمين، ان تحرك العلماء والفقهاء بالافتاء واتخاذ المواقف بعد انحصار دائرة سلطة الملوك السياسية لتحرير بلاد المغرب من الأخطار الصليبية التي باتت تهدد سواحل بلاد المغرب.

عرف بلاد المغرب غداة التواجد العثماني أزمات متعددة وذات أبعاد خطيرة، يعود ذلك إلى تمزق الوحدة والفرغ السياسي والصراع الحاصل حول الحكم، مما مهد الطريق للغزو المسيحي الصليبي خاصة الاسبان وذلك بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، وقد استطاعوا الاستيلاء على عدد من المدن الساحلية في كامل بلاد المغرب، وقد أثار هذا الوضع الحماسة لدى علماء الدين وإعلان ضرورة الجهاد¹.

خاتمة الفصل:

استنتجنا من هذا الفصل ما يلي:

- وجد التصوف الأرضية المناسبة لنمائه وتطوره ونشر أفكاره في بلاد المغرب وذلك للظروف السياسية الغير مستقرة ومظاهر اجتماعية واقتصادية صعبة.
- من أهم ما يحتاج إليه الانسان حتى يكون مستقرا هو الامن والأمان وقد وفرت الطرق الصوفية ذلك مقابل الاعتقاد الراسخ في الخلاص إلا باتباع إحدى الطرق الصوفية.
- انتشرت الطريقة من خلال مؤسساتها باثة خطابها الصوفي فتنوعت بشكل لافت للانتباه وبتشجيع من السلطة المركزية وذلك لجعلها حلقة وصل بين الحاكم والمحكوم.

¹ Berque(J),L'intérieur du Maghreb XV /XIX siècles ,Pari .Gallimard,1987 ,p 166 .

-سأهم المرابطون من صد الهجومات الصليبية على السواحل والثغور مما زاد في اعجاب العامة والافتداء بهم.

-أن تراجع نفوذ السلطة المركزية أتاحت الفرصة للطرق الصوفية وبسلطتها الروحية تشكيل تهديد حقيقي على قرارات الحكم وحتى زعزعة الاستقرار.

-شجع كثرة الطرق الصوفية وبشيوخها من تغلغل معتقدات خارجة عن الدين وانحرافات عقائدية خطيرة، كما كثر الشيوخ الذين يدعون الولاية مستغلين جهل الناس لسلبهم أموالهم وتشويه الفكر الصوفي.

الفصل الثالث

الطرق الصوفية وماهية الخطاب

الصوفي

أولاً: الخطاب الروحي والسلطة ببلاد المغرب.

ثانياً: الخطاب الصوفي للطرق الصوفية خلال الوجود العثماني

ثالثاً: الخطاب الديني الاصلاحى.

توطئة:

نستطيع القول أن الخطاب الصوفي ما هو إلا إفراز طبيعي لتلك الديناميكية المتغيرة لقراءات الإسلام على مر التاريخ تحددها آليات ونظم جاءت لتبدي معارضتها للقراءات الأخرى السابقة والتي ستأتي بعدها، كما أن يستند على إرث تاريخي زاخر بالأفعال والقيم وفقد عمل على سد ثغرة عجز السلطة المركزية وناصبا صوب أعينه مهمة الذود عن مصالح الأمة الإسلامية من غزات المتكالبين الصليبيين على ممتلكات المسلمين¹. يمثل هذا الخطاب تعبيرا صارخا عن شريحة واسعة من المجتمع الإسلامي من حيث الأفكار والطموحات والتطلعات، فهو يلبي حاجات روحية لقطاعات اجتماعية واسعة ومهمشة.

يقوم الخطاب الصوفي على أحداث توازنات في المجال الثقافي بين ثقافة المركز والثقافة الشعبية المحلية القائمة على التراث المتراكم والمتنوع فهو يحمي ويحافظ على الذاكرة الجماعية الثقافية مستعينا بمؤسساته الفاعلة وأدوات فعالة من زوايا ورباطات وغيرها. وقد نعتبرها خط دفاعي أخير أمام الهجمات الصليبية المغرضة ضد الشعوب الإسلامية الضعيفة المتخلفة في ظل غياب شبه تام للسلطة المركزية وبالتالي فإن حماية الذاكرة الجماعية والتراث الثقافي من المؤلفات الموروثة والمهملة من طرف السلطة الرسمية².

¹ تم إنشاء الرباطات للدفاع عن الثغور والتي هي بمثابة الخطوط التماس مع الأعداء الذين يتربصون بالأمة في كل حين
² إذا قصدنا في ذلك أيام الوجود العثماني فإن السلطة مغيبة أو شبه مغيبة وبالتالي فإن هذا الأمر كان موكلا لشيخ الزوايا وأئمة المساجد.

أولاً: الخطاب الروحي والسلطة ببلاد المغرب.

تميزت العلاقة بين المرابطين والعثمانيين بالحسنة في معظم فترات حكمهم ومن هذا المنطلق أوجد العثمانيون طريقة مثلى لإدارة حكمهم تمثلت في ترك الجزائريين يحكمون أنفسهم، خاصة بالأماكن الصعبة والبعيدة عن السلطة المركزية ليكون إشرافهم غير مباشر وهذا بإعطاء صلاحيات محدودة للمتعاملين مع الأهالي تخضع لتوجيهات الموظفين الأتراك¹.

في حين كان تدخلهم المباشر إن اقتضت الضرورة فقط في حال نشوب اضطرابات، فيخرجون لقمعها وإخمادها بأنفسهم أو عند امتناع الأهالي عن دفع الضرائب، فتوجه نحوهم الحملات العسكرية مثلما فعل الباي محمد الكبير ببايلك وهران. وكذلك صالح باي الذي توجه نحو جنوب بايلك قسنطينة لتأديب قبائل... وبهذا نستطيع القول أنهم قد عملوا بمبدأ ازدواجية السلطة وذلك من خلال بناء علاقة أساسها الاحترام والتودد للمرابطين وشيوخ الطرق الصوفية، وما يميز أواخر العهد العثماني هي أن الريف الجزائري كان خاضعا لسلطة شيوخ الزوايا. ليكون حكمهم للبلاد غير مباشر بل بواسطة أهلها أنفسهم-كما ذكرنا سابقا- خاصة في المناطق النائية والبعيدة، وهذا يعني أن العثمانيون حاولوا خلق إطار للتواصل مع الأهالي عن طريق زعماء القبائل والسلطة الروحية².

¹ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص469.

² هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1862)، دم.ج، الجزائر-1995م، ص 16.

اتفق معظم المؤرخين على أن سلطة العثمانيين لم تهيمن على كل البلاد بل سدسها فقط، اكنت هناك قبائل مستقلة عنها استقلالا تاما وقبائل أخرى تربطها بها روابط وهمية¹. فمدت تواجدها بالمنطقة لم تستطع الجيوش العثمانية بسط سيطرتها على المناطق التي تقطنها قبائل شديدة البأس، فقد قال الزهار فيها: "أن سكان تلك الجبال كلهم عصاه لا يتصرف فيهم إلا أباي"²، وبالتالي فإن العثمانيين فشلوا في إخضاعها واستطاعت هذه القبائل أن تشكل حكما مستقلا لها ونظاما سياسية واجتماعية واقتصادية خاص بها، مما اضطر العثمانيين إلى عقد الصلح مع هذه القبائل ضمن لها نفوذها واستقلالها، وقد ساعد هذا الوضع إلى تنامي الخطر الصليبي، خاصة بالمنطقة المستقلة ذاتيا حتى أواخر القرن 17م ولم تخضع للسلطة المركزية، بل كانت عبارة عن إمارات مستقلة كما مرتي كوكو وبني عباس، عوضت بتحالفات قبلية ذات النفوذ المرابطي لقد ساهمت هذه السلطة الروحية لاستتباب الأمن كما وجدت هذه القبائل ضالتها فيها لأنها تثق بالمرابطين الثقة العمياء بل يتصرف فيهم المرابط مثلما يشاء، لأن المرابط وحتى ترتكز سلطته على الاحترام والوقار والوازع الديني والأخلاقي، عكس ما نجده في سلطة الحكام التي تعتمد على القوة مثلها مثل السلطة المركزية بالمدن لهذا وجدت بعض المناطق الخاضعة للمرابطين كأولاد سيدي

¹ جيليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تع مزالي محمد بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس-1987م، ص378.

² أحمد شريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب الأشراف، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، ش و ن و ت، الجزائر- 1980م، ص48.

الشيخ¹ التي كان نفوذها جنوب بايلك وهران، تافيلالت، قورارة وحتى الجنوب المغربي فهي لم تمنح للعثمانيين السيطرة الفعلية على أراضيها كما أنها لم تكن تدفع للبايلك إلا ثمنا زهيدا من فرنكات لتكون بهذا سلطة المرابطين أهم السلطات التي اعتمد عليها الدايات لبسط نفوذهم وللتفاوض ومحاولة إخضاع القبائل الجامعة².

عمدت السلطة العثمانية إلى تعيين المرابطين الذين يحكمون بعض المناطق عن طريق مراسيم كمرسوم 1682م. ويشير حمدان خوجة على أنه كانت الحامية التركية التي تتجه كل سنة إلى حصن بجاية مجبرة على أن تكون مرفوقة برجل من المرابطين، إذا لم يكن تستعمل الطريق البحري³.

كان الريف الجزائري خاصة خلال هذه الفترة يخضع لإدارة الشيخ والجماعة، إضافة إلى سلطة المرابط التي اعتمد عليها الأتراك مقابل امتيازات تمنح للمرابطين، كانت بعض القبائل تعيين زعيمها اعتمادا على نفوذهم الديني، وكفاءتهم الحربية أو نسبهم الشريف، الشيوخ والزعماء المحليون يتوارثون حكمها، حيث كان الأهالي يخضعون لإدارة وطاعة الشيخ الذي ينحدر من أسرة غنية ذات مكانة اجتماعية مرموقة، وهناك من القبائل التي

¹ أولاد سيدي الشيخ: قبيلة أولاد سيدي الشيخ هي قبيلة عربية بالغرب الجزائري ، تتربع على مساحة كبيرة من ولاية البيض كما تتداخل أراضيها من ناحية الشمال والغرب مع حلفائهم التاريخيين من قبائل الحميان (الشراقة والغرابية)، أما عن نسبهم فهم أولاد سيد الشيخ البوكريون من نسل أبي بكر الصديق التيمون الأجداد نسبة لبنو تيم احدى بطون قريش . يعود تاريخ دخولهم للمغرب العربي إلى القرن الرابع عشر حيث دخل أسلافهم الجزائر بقيادة سيدي معمر بن سليمان العالية مع القبائل الهلالية في الهجرة العربية الشهيرة للمغرب (التغريبة الهلالية) واستقر أحفاد البوكريون في صحراء شلف (من حدود الشلف الى البيض وصولا لواحاحات فجيح بالمغرب الأقصى).

² ROBIN N.J , La grande kabylie sous le régime turc ,Ed , Bouchene, Alger, 1998,p19

³ حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 88.

كانت تخضع لسلطة الجماعة ، هي نظام ذو جذور قديمة خاصة بالريف الجزائري، فكان يعمل هذا النظام على حماية سكان الأرياف من تسلط حاكم المدينة أو ممن يمثلها بالريف، حيث كانوا يحتكمون لرأي أفرادها، وتتكون من كبار السن وتعمل على تطبيق الأحكام وفض النزاعات بين أفراد القبيلة...أما إذا شب خلاف بين القبيلتين فتتشكل مجموعة من كبار شيوخ هاتين القبيلتين¹. تعتبر هذه التجمعات القبلية الكبرى ذات تفوذ واسع فقد تمتد إلى ثلاث البايك مما اضطر البايات إلى الاعتراف بزعامة شيوخها، وغير بعيد فإن منطقة القبائل الكبرى خير دليل فقد سادت فيها تجمعات قبلية كبرى مرابطية، وقد حاولت السلطة كسبها والتودد لها بشتى طرق، كتقديم الهديا لشيوخها ومرابطيها، وإلغاء الضرائب عنها، ومنح فرمانات التولية وفي المقابل تأمين لها الطرق لجمع الضرائب من المناطق الخاضعة لها، وقد انتهج الحكام أسلوبا آخر وذلك بخلق التنافس والتناحر بين هذه القبائل، والهدف من وراء ذلك إفشالها والتحكم فيها وهي سياسة فرق تسد².

وبالتالي فإننا نستج أن الحكم العثماني كان في بعض المناطق بطريقة مباشرة، أما المناطق النائية والمناطق الغير خاضعة كلية، استعملت لكسب ولائها بعدة وسائل سواء كانت عسكرية أو روحية كما سبقت الإشارة إلى ذلك آنفا. إلا أن ما يهمننا من بين هذه السلطات هي سلطة المرابطين وشيوخ الزوايا.

¹ حمدان خوجة، المصدر السابق، ص56.

² ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، م.و.ك، الجزائر-1985م، ص108.

أما بالنسبة للمغرب الأقصى فقد عرف الحكم بالضعف نتيجة الاضطرابات الصليبية والتمزق الداخلي والصراع على السلطة الذي أنهكه وأجهد قوته والتي اشتهرت بصددها للزحف الصليبي على الأندلس فقد تميزت بخطاب جهادي¹. أدى إلى ازدهار رباطات المجاهدين في أغلب أنحاء المغرب، وبالتالي صارت للطرق الصوفية دور فعال في تلك الرباطات فقد امتزج الخطاب الديني بالخطاب السياسي قرب وجهة نظر بين الدولة والطرق الصوفية وبالتالي أصبحت مصالحهم مشتركة فازدادت هذه الأخيرة نفوذا عسكريا²، حيث أصبحت وسيلة من الوسائل الفعالة للتأثير الروحي وتحريك النزعة الجهادية في النفوس، حتى أن الزوايا ازدهرت إلى حد كبير الذي أصبحت فيه مصدر إشعاع علمي، يتلقى فيها الطلبة العلوم الشرعية والروحية، فباتت تخرج الأجيال حتى غدا المغرب الأقصى منارا فكريا ومنبرا صوفيا في بلاد المغرب خاصة وفي العالم الاسلامي عامة³.

أرهقت الصراعات الدولة وأدى ذلك إلى ضعف الأطراف المتناحرة مما فتح شهية وأطماع المستعمرين من البرتغاليين وغيرهم، إذ بدؤوا بشن غارات على الثغور المغربية فتمكنوا من الاستيلاء على سبتة سنة 1415م، كانت مقاومة من دون جدوى وذلك لانشغال الحكام بخلافاتهم الداخلية فلم يتمكنوا من احتواء الشعب، ما مهد الطريق إلى الطرق الصوفية للأخذ بزمام الأمور، فاستطاعت قيادة المجاهدين المغاربة لمقاومة المستعمرين،

¹ ابن عذاري المراكشي، البيان الأندلس والمغرب، تح محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ، بيروت 1985م، ص225.

² محمد حجي، المغرب في الدراسات الاستشراقية، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط-1993م، ص139.

³ محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الاسلامي والأندلس في العصر المريني (1213-1465)، الكويت-1987م،

وبدأت رباطاتها المحاذية للسواحل في الانتشار بصورة كبيرة لمحاولة التصدي للبرتغاليين والأسبان على حد سواء، وبالرغم من المجهودات الكبيرة والمقاومة الباسلة، لم تتمكن من التصدي للمستعمرين بل أدى ذلك إلى سقوط المزيد من المدن نظرا لتفاوت الإمكانيات المادية والتنظيمية بين الطرفين¹.

لم تستطع الدولة التصدي للحملات الصليبية، فتركت المهمة لرباطات المجاهدين وزعماء الطرق الصوفية، الذين بلغ نفوذهم في هذه المرحلة درجة لم يسبق لها مثيل، وذلك بفضل أقطاب التصوف، وفي مقدمتهم الامام الجزولي² الذي نشر طريقته في المغرب الأقصى والغرب الجزائري لتمتد إلى مناطق أخرى، وبذلك أصبح للصوفية أدوارا أساسية تلعبها في الميدانين السياسي والعسكري والثقافية... الخ، مستتدة على الخطاب الروحي مما أجبر الحكام على محاولة كسب احترامهم وجعلهم واسطة بينهم وبين الشعب، وكذا المحافظة على الأمن الداخلي وتهيأة الشعب لمحاربة الغزو البرتغالي والأسباني³.

علينا أن لا ننكر الدور الذي لعبه المتصوفة في مرحلة عديدة من تاريخ المنطقة متحملين عبء التصدي للزحف الصليبي الذي يأتي على الأخضر واليابس، في مقدمتها الشاذلية والسملالية والدلائية والتاغية والعياشية... الخ. شعر زعماء الطرق الصوفية ورباطات

¹ الناصري أبو العباس، المصدر السابق، ج2، ص96.

² الأمام الجزولي (807-870) هـ/ (1405-1466) م هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن سليمان السملالي السوسي الشهير بسيدي ابن سليمان، نسبة إلى جده الثاني سليمان. وهو من أعلام التصوف المغربي، وعنه تفرعت جملة من الطرق التي يكثر أتباعها في المغرب بصفة خاصة: كالطريقة التباعية والغزوانية والفلاحية والبكرية والعيساوية والشرقاوية والبوعمرية.

³ حركات ابراهيم، المغرب عبر التاريخ، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء-1978م، ص214.

المجاهدين بضرورة وجود زعامة سياسية توحد المقاومة تعطيها قوة ودعما، وقد رؤوا في السعديين أحسن سند، وقف الشيخ ابن المبارك بن اقة إلى جانب السعديين لتولي السلطة، حيث أتم البيعة لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن، ولقبه "القائم بأمر الله" وكان ذلك سنة 1511م وقد تميز السعديون بالأصل الشريف والتقوى والورع¹.

والملاحظ أن بيعة القائم بأمر الله جاءت لغرض واحد ألا وهو قيادة المجاهدين، فكان لهم ذلك حيث تمكن السعديون من تخلص العديد من الموانئ المغربية من سيطرة البرتغاليين. ادرك المتصوفة أن حركتهم الجهادية ضد الخطر الأوربي تحتاج قيادة أيادي أسرة جديدة لها من اطر وثوابت التي تؤهلها للعب ذلك الدور القيادي كي تكتمل مقومات تصدي للمستعمرين.

أخذ نفوذ الصوفية يبدأ في التقلص في عهد الحاكم مولاي محمد الشيخ الذي أدار ظهره لهم، وأعتمد على سياسة التهميش بهدف إضعاف سلطتهم، وقد ساعده في ذلك تمكين السعديين لنفوذهم مما تقلص نفوذ المتصوفة وخاصة في حكم المنصور الذهبي².

سرعان ما عادت مكانة المتصوفة في الساحة السياسية بعد وفاة المنصور وأخذوا زمام المبادرة بعد ما كانوا متذمرين من تهميشهم، حدث تنافس بين أبناء المنصور أرجع البلاد إلى سابق العهد، وتمخض عنها اضطرابات داخلية وتقسيم البلاد، فحصلت ازدواجية في السلطة، اقترنت بإساءة السكان لتصرفات السعديين فكانت الفرصة متاحة للطرق الصوفية

¹ محمود على عامر، تاريخ المغرب العربي الحديث، جامعة دمشق للنشر، دمشق-2000م، ص23.

² زروق محمد، دراسات في تاريخ المغرب، إفريقيا الشرق للطباعة، الدار البيضاء-1990م، ص130.

لممارسة دورها السابق وذلك بفك الخناق على الرعية الذين أرهقتهم التصرفات التعسفية الجائرة من طرف الحكام، ناهيك عن قيادة حركات الجهاد ضد الاسبان والبرتغاليين وهذين الأخيرين اغتتموا فرصة تمزق البلاد ليحتلوا العرائش سنة 1603م، والمعمورة سنة 1610م بمؤامرة من حكام فاس، حتى أن حاكم مراكش المولى زيدان كلف شيخ الطريقة العياشية بمحاربة الاسبان والبرتغال نيابة عنه، وبذلك عرفت الطرق الصوفية تقاسما للنفوذ في البلاد، فزعماء الطريقة الدلائية، السملالية، التاغية، العياشية، الشاذلية وغيرهم، هيمنوا بشكل كامل على جنوبي البلاد وشماليتها، وتنافسوا فيما بينهم على النفوذ، واتجه بعضهم إلى الأسرة العلوية التي عرفت باسم الاسرة الفيلاالية أو السجلماسية العلوية¹.

وانشغل المتصوفة بالسلطة والتنافس على النفوذ فيما بينهم، فقادوا البلاد إلى صراعات التهمت الأخضر واليابس كما أن زعماء الصوفية تناسوا الخطر الإسباني والبرتغالي الذي كان يهددهم باستمرار، وكذى تطور الاوضاع السياسية بالشكل الذي حدد دور المتصوفة فيه، حتى أضحى الوضع مهيناً لبروز دولة جديدة تخرج البلاد من هذا المأزق. باتت العلاقة بين الصوفية والعلويين متوترة إذا ما قورنت بالأسر التي حكمت من قبل، فالدولة العلوية قامت في ظل ظروف سيئة، وكذى عدم اعتراف المتصوفة بدولتهم منذ البداية، سرعان ما طرأت متغيرات انعكست أيجابا على تلك العلاقة².

¹ عبد اللطيف الشاذلي، الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن السابع عشر، الرباط-1982م، ص45.

² الناصري أبو العباس، المصدر السابق، ص68.

استغل محمد الشريف الفرصة فاستطاع استقطاب الاتباع من وادي درعة ومن السوس جنوبي المغرب، فكان عليه وضع حد لنفوذ الطرق الصوفية، فأزاح أولاً الطريقة السملالية¹، وليتمكن من القضاء على النفوذ السياسي الدلائية بعد معارك عديدة، أدرك أن التفاوض ومعالجة المشاكل الداخلية سلمياً أنجع وأحقن للدماء، فاتفق معهم على أن يتقاسموا النفوذ في جنوب البلاد، ثم استولى على مناطقهم تدريجياً، وبالتالي فإن الدولة العلوية قامت على انقراض نفوذ الصوفية ودولة السعديين على حد سواء، لذا فإن ظروف تأسيس الدولة العلوية أقتت بضلالها على العلاقة المتوترة بين المتصوفة الذين رأوا فيهم الأعداء المترصين فيها، وراعوا فيها القوة التي سلبت منهم، عمل المولى الرشيد منذ اعتلاءه العرش على وضع الحد للنفوذ السياسي للمتصوفة سعياً منه لتوحيد أجزاء المغرب ببلاد المخزن، دون أن يتعرضوا لنفوذهم الديني، مدركين بمكانتهم الكبيرة في المجتمع المغربي كما أن الجيل الثاني من السلاطين احتاج اليهم في أمور كان من أبرزها استقطاب جهود الشعب لطرد المستعمرين من بعض ثغور المغرب، كما فعل المولى محمد بن عبد الله، واضطر البعض الآخر من السلاطين الضعاف الذين تنازعوا السلطة مع اخوتهم للاستعانة بالصوفية في صراعهم الدموي، مما أعاد للصوفية جزءاً من نفوذهم السياسي حينها بدأ الصوفية يحاولون إسماع السلطة كلمتهم، فقد قاموا بشن حرب على المولى سليمان سنة 1711م والانتصار عليه، وحقيقة الأمر نجد أن كثيرين منهم أسهموا بشكل كبير في تربية الناشئة وتعليمهم أصول

¹ محمود على عامر، المرجع السابق، ص 78.

دينهم، فضلاً عن أنهم قاموا بالتصدي للمشاكل والأزمات التي ألمت ببلادهم فضعفته، أدرك سلاطين المغرب أن الصراع مع المتصوفة لا جدوى منه وسيصب في مصلحة الأوربيين المستعمرين، والجدير بهم استثمروا طاقات الصوفية لتحسين ظروف البلاد وإخراجها من الأزمات المتتالية¹. تنبه المولى سليمان إلى هذه المعادلة على الرغم من أنه متشبع بالفكر السلفي فكان يكن احترام الطرق الصوفية التي تطمح إلى خدمة البلاد، فنجده يتقرب الطريقة التيجانية ولم يقف أمام جهودها الدينية، واستمر خلفاؤه على نفس المنوال².

ثانياً: الخطاب الصوفي للطرق الصوفية خلال الوجود العثماني

حاولنا في ما سبق الابتعاد عن إقحام أنفسنا في المشكلة التي يقع فيها أي باحث في التاريخ ألا وهي سرد الأحداث التاريخية، كما حاولنا الإمام بجميع مظاهر الحياة الطرقية في فترة الدراسة مركزين إلى ما له علاقة بالموضوع متجنبين الخوض في الأمور الحساسة التي تؤثر بأي شكل من الأشكال على المذكرة، فالمرحلة المدروسة حملت في طياتها الكثير من مظاهر الاستقرار في بعض فتراتنا ومظاهر الفتن والاضطرابات في فترات أخرى لكنها لم تؤثر على عقائد الناس ولا على وحدتهم الدينية رغم اختلاف مشاربهم لأن المنبع واحد.

¹ أحمد توفيق، النسب الشريف والسند الصوفي في المغرب، الدار البيضاء -2002م، ص9.

² نفسه، ص10.

1- الخطاب الطرقي وحركة التواصل الاجتماعية:

يؤكد أحد الباحثين عن الدور الهام الذي لعبته المؤسسة الزاوية في المجتمعات التي وجدت بها، فالمجتمع وتفاعلاته اليومية يفرز مجموعة من المسائل المعقدة وهنا يأتي الدور الكبير الذي لعبته هذه المؤسسات والتي تعبر عن القفزة النوعية الناتجة عن حركات المجتمع وتطوره الذاتي. ونظرا للخدمات الجائلة التي قدمتها الزوايا للمجتمع المغربي والمجتمع الجزائري بالخصوص، أصبح المجتمع يستند كليا عليها لمواجهة الأزمات الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تعصف بين الفينة والأخرى، وهذا نظرا لانشغال الدولة بأمور الجهاد وتأمين الحدود من الغزو الصليبي إذ تركت للمؤسسات الاجتماعية مهمة التكفل بحل مشاكل الناس، ومع مرور الوقت أصبحت لدى عامة الناس القناعة أن الزوايا ورجالها هم أقدر الناس على حل المشاكل وتقديم المساعدات لفئات الشعب الفقيرة¹.

الغاية الخلقية هي حقيقة الطريق الصوفي والمتمثلة في إنكار الذات والصدق في القول والعمل والصبر والخشوع ومحبة الغير والتوكل وغير ذلك من الأخلاق الفضائل التي دعا إليها الإسلام... حققت الزوايا منذ تأسيسها الوحدة القبلية، ملجأ المساكين والمحتاجين ومحطة لعابري السبيل ومأوى لليتامى، كما أنها كانت المكان الأمثل لفض النزاعات بين المتخاصمين، ومركز إشعاع يحافظ على تقاليد المجتمع وعاداته وأصالته في مواجهة المخاطر الرامية إلى محو معالم المجتمع المغربي المسلم .

¹ الأخضر لطيفة، المرجع السابق، ص58.

يرى كثير من الباحثين أن الحكم المركزي كان مقتصرًا على المدن بصفة خاصة وكانت الزاوية في الريف تقوم بأدوار عظيمة من الناحية الاجتماعية تسد الفراغات. فقد ساهمت في تهدئة النفوس والتحكيم بين المتنازعين في القبيلة وتأدية دور الوساطة بين القبيلة والسلطة الحاكمة لرفع مظالم ودفع مغرم سواء على فرد أو جماعة". اعتبرت الزاوية الحلقة المحيطة بالقبيلة ووحدتها، والحبل الرابط بين القبائل فلا مشكلة تحصل بين القبائل إلى والزاوية تحلها.

صارت الزاوية مع مرور الوقت شريان الحياة يلتف حوله الناس وتدور عليه حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومصدر قوة تستمد قوتها من شخصية شيخها والتفاف أفراد قبيلته حوله.

أ- الدور التربوي التعليمي:

عرفت بلاد المغرب انتشارًا واسع النطاق للزوايا في فترة الحكم العثماني أي خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، وذلك بعد حدوث تغير في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في البلاد، فكان لها الدور الرائد في المجال التربوي والتعليمي وقد استمر ذلك خلال الفترة الاستعمارية¹. وصارت الزوايا مع مرور الوقت وزيادة عدد مرتاديه من طلبة علم ومسافرين، مراكز إشعاع علمي ونشاط فكري

¹ عبد العزيز الهادي، دور التربية الصوفية في تهذيب سلوك الفرد في ظل العولمة، مجلة الملتقى الوطني حول أمجاد الفكر الصوفي، ط4، دار الكتاب العربي، عين تموشنت -2014م، ص200.

كبيرين، وفي غالب الأحيان المكان الوحيد لتلقي التعليم، وتبادل الأفكار والنقاش حول مسائل الحياة الدينية والدينيوية¹.

تمثل دورها في تربية الأجيال تربية خلقية من خلال تعليم القرآن الكريم والحفاظ على اللغة العربية، وتدريس علوم الدين الإسلامي كالفقه والتفسير...الخ.

ومن أبرز المدارس التعليمية نجد في بجاية مدرسة عبد الرحمن الوغليسي (ت 786هـ) والتي تخرج على أيديهم شيوخ وعلماء على نحو محمد الهواري والثعالبي وعيسى بن سلامة البسكري وغيرهم، وفي قسنطينة نجد مدرسة حسن بن باديس وقد انبثق من هاتين المدرستين مدارس أخرى شملت كل البلاد، ففي مدينة الجزائر نجد المدرسة الثعالبية وكذا تلميذ الثعالبي أحمد الجزائري أما في تلمسان نجد محمد السنوسي الذي تخرج على يده الكثيرون وفي ندرومة يوسف الندرومي وفي قسنطينة محمد الزواوي الفراوسني والشيخ بركات القسنطيني وفي ناحية بسكرة نجد عيسى بن سلامة البسكري².

ورثت الزوايا كما هائلا من الكتب والمخطوطات النفيسة والتي ساهمت إسهاما كبيرا في نشر العلوم والثقافة الدينية

ب- الدور الاقتصادي:

¹ الأخصر لطيفة، المرجع السابق، ص62.

² سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص82.

تشرف الزوايا بصفة مباشرة على الاقتصاد المحلي والإقليمي، بل على بعض الحركات التجارية الحساسة، وقد أتاح لها ذلك امتلاك الأراضي عن طريق "نظام الجبوس"¹، وكذا جمع التبرعات التي تصل من المریدین، والزكاة التي كانت تمثل مصدرا هاما للمال بالنسبة لهذه المؤسسات الدينية.

ج- الدور الاجتماعي:

• فض النزاعات:

من الأدوار الأساسية التي أدتها الزوايا منذ نشأتها: هي فض النزاعات والخصومات بين القبائل، وإصلاح ذات البين والتوحيد بينها. فكثيرا ما تحدث النزاعات على امتلاك أكبر قدر من الماء أو الحيازة على الأراضي الرعوية أو مسألة الثأر بين القبائل، فلا حل لها إلا باللجوء إلا شيوخ الزوايا حتى يأخذ كل ذي حق حقه، وهي النتيجة التي وصل إليها رجال الدين أو الأشراف من تقدير في نفوس الريفي أو البدوي، خصوصا إذا اشتهروا بالصلاح والتقوى وهو أمر لمسناه مع انهيار الدول الثلاث في المغرب العربي²، حيث سادت الفوضى والاضطرابات في الحكم، وحتى بعد دخول العثمانيين بلاد المغرب وجدت هذه الظاهرة، بل

¹ هو الوقف في الإسلام وقد شاع في بلاد المغرب هذا المصطلح.

² أقصد الدولة الحفصية والمرينية والزيانية التي كانت تحكم الشمال الغربي لإفريقيا قبل الوجود العثماني بالمنطقة.

ازدادت انتشارا وتوسعا. كون هذا الأخير لم يمس البنى الاجتماعية وأبقى الوضع على ما هو عليه¹.

• الشفاعة:

استغل شيخ الزاوية مكانته سعيا منه لقضاء حوائج الناس لدى السلطة الحاكمة ودفع المظالم التي من الممكن أن تحدث بين أفراد الشعب والموظفين الحكوميين، وكثيرا ما كانت طلباته ورغباته تجاب من طرف السلطات، سعيا منها لحفظ النظام والهدوء لكي لا تثير الشعب عليها، فارتأت أن يكون شيخ الزاوية واسطة بينها وبين عامة الشعب لما رأت فيه من تأثير روحي عليهم .

سعى شيوخ الزوايا لتحقيق التوازن الاجتماعي وذلك بما كانوا فقد يقومون به من دور حيوي في المجتمع بفك الأزمات سواء كانت مادية أو معنوية وذلك إما بتعويض المتضررين، أو بإيجاد السبل الكفيلة لإعادة المنحرفين إلى الطريق السوي.

استطاع الصوفية التوفيق بين المحافظة على النقاء الروحي والخلقي والتحكم في سلوك المجتمع عموما، وهذا الأمر صعب للغاية في مجتمعات تسودها العصبية القبلية وتستحيل

¹ ولقد سعت السلطات الفرنسية إبان الاحتلال للجزائر إلى استبدال القوانين الإسلامية في المجال القضائي، بالقوانين الفرنسية، صدر أمر من السلطات يتضمن التنظيم القضائي في الجزائر، انتزعوا بموجبه من القضاة المسلمين البت في الأمور الجزائرية، وأصبح القضاء الإسلامي مقتصر على الأحوال الشخصية، وحتى هذه الأخيرة حاولت السلطات الفرنسية إخضاعها للقوانين الفرنسية وإلغاء الاحتكام للشريعة الإسلامية من خلال قانون " سناتور كونسيلت ". أمام هذا الوضع وفي ظل هذه الظروف أصبحت الزوايا ملجأ للسكان من أجل فك نزاعاتهم وحل خصوماتهم، سواء كانت بين الأفراد أو بين القبائل والأعراش.

تحقيقه في غالب الاحيان. كما وفقت في التأثير على مجتمعاتهم إلى حد كبير، وفي نفس الوقت الحفاظ على السلوك الإنساني ضمن المبادئ الشرعية الإسلامية.

• التضامن الاجتماعي:

أخذت الزوايا على عاتقها منذ البداية المسؤولية الاجتماعية، فراحت تهتم اهتماما كبيرا بالأيتام والأرامل من خلال إيوائهم والتكفل بهم وبحاجياتهم، ولم تدخر جهدا في التكفل باليتامى ليس بتوفير المأوى والمأكل فقط، بل كانت تهتم بتربيتهم وتعليمهم وتسمح لهم بتولي المناصب العليا الخاصة في تسير الزاوية حيث أن العلم والذكاء والفتنة كانت المحدد الرئيسي في مدى جاهزية الفرد لتحمل المسؤولية.

• المساعدة في أوقات الشدة:

نجد كذلك من الأدوار الهامة التي تحملت الزاوية مسؤوليتها وهي مساعدة المحتاجين أيام الكوارث والنكبات فأيام القحط والجفاف المتواصلين، أدت إلى ندرة شديدة في المواد الغذائية، وخاصة الحبوب وأعلاف الحيوانات مما اضطر السكان إلى اللجوء إلى الزوايا والمساجد، وكثير منهم نزحوا من المناطق المتضررة نحو الأماكن القريبة من الزوايا، وهنا لم يبخل شيوخ الزوايا من جهد للتكفل بالمحتاجين والمتضررين، فأوت الكثير من العائلات من جراء هذا الجفاف فأنقذت الكثير ممن كانوا على وشك الهلاك، وقد شاركت معظم الزوايا في هذه العملية .

• المحافظة على عادات وتقاليد المجتمع:

ساهمت الزوايا من خلال مختلف الأنشطة في الحفاظ على عادات وتقاليد المجتمع. لقد عرف المجتمع المغاربي بشدة تماسكه وتآزره، خاصة في فترة الأزمات... وقد تمثلت هذا في المظاهر التالية:

التوزيع: هي تعاون كافة أفراد المجتمع في القيام بأعمال ذات منفعة عامة، دون مقابل، منها : الترميم وإعادة بناء السدود جني المحاصيل بناء البيوت...مصادقا لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾¹ ويتم الإعلان عن موعد إقامة التوزيع بمسجد الزاوية عقب الصلوات الخمس، حتى أن الزاوية نفسها بنيت وجهزت أغلب مرافقها بواسطة مساهمات سكان المنطقة المحيطة بها في إطار ما يسمى بالعمل التطوعي -التوزيع-.

المواسم الدينية : لإحياء المناسبات والأعياد الدينية تمثلت في المولد النبوي الشريف، ليلة القدر، ختم صحيح البخاري، ختم المختصر الخليلي².

الاحتفالات الخاصة بموسم الحج : لقد كانت الزاوية تقوم بإعانة الحجاج ببعض المال، وقد كان الحج يتطلب أموالا باهظة، وتكاليف مرتفعة، وينطلق ركب الحجاج من

¹ سورة المائدة الآية 2.

² الأخضر لطيفة، المرجع السابق، ص 63.

الزاوية بعد توديعهم للشيخ طالبين منه الدعاء لهم وتيسير حجهم، وعند عودتهم أول مكان ينزلون به هو مقر الزاوية، حيث يسلمون على الشيخ ويتبركون به، ثم ينطلقون إلى أهاليهم.

-الزيارات: وتكون هذه الزيارات السنوية في فصلي الخريف والربيع. تماشيا مع عادات الطريقة الصوفية.

د-المكانة الاجتماعية للشيخ:

لم تكن فئة الشيخ ميزة تنفرد بها الجزائر وحدها بل كانت عامة على كامل ربوع بلاد المغرب فقد تميزت هذه الفئة بقوة التأثير على الأهالي أكسبتهم احتراماً دفع رجل السلطة التقرب منهم بالعطايا والهدايا...¹.

لقد طبعت على الفترة العثمانية الطابع الديني الصوفي، كما امتزج العلم بالتصوف فمدارس العام تدرس في نفس الوقت علم التصوف وبالتالي فإننا نجد الخطاب الصوفي بادي التأثير على حياة العام والخاص من خلال سلوكياتهم وحرص العامة على عدم اغضاب الشيخ مهما كان الأمر حتى لا يصيبهم مكروه فالسلطة الروحية نجدها مترسخة في أذهان الجميع لكن هذا التأثير الروحي لم يكن محل الصدفة بل كان وليدا لمجموعة من الخطابات

¹ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص388.

أفضت للشيخ هذه المكانة الرفيعة أهمها الورع والتقوى ورعاية الأهالي خاصة المحتاجين منهم وكذا التكفل بالتعليم الذي يمثل الركيزة الأساسية في هذه العلاقة¹.

نلمس هذا الاحترام والتقدير للمجتمع وبالخصوص طلبة العلم منهم من خلال مؤلفاتهم حول التراجم التي وضعوها لمشايخهم، حتى أن العائلات الميسورة الحال كانت تحاول تقليد شيوخ في المعاملة وبعد استقبال الشيخ من طرفهم وإكرامه مفخرة وشرفا عظيما².

2-الخطاب الصوفي وحركة التأليف:

أ-العوامل المؤثرة على كتابات الطريقة :

عرفت الفترة العثمانية ببلاد المغرب عموما نوعا من الركود الفكري في المجال الديني والعلمي وحتى السلوكي وذبول في العقيدة وتشويه للمفاهيم على غرار الدول الأوربية التي قطعت شوطا كبيرا في ميدان العلوم والتكنولوجيا الفرق بين العالمان هو أن الأول اكتفى بالفكر القديم الذي تركه له آباءه دون تمحيص ولا فهم أو تساؤل أو استفسار، حيث أنه كان قادرا على تقبل أي فكر فقد جرت العادة على أن المنهج يعتمد على التلقي دون مناقشة أو إبداء رأي كما كان يحفظ دون فهم في الكثير من الأحيان، كالمريد الذي لا يتجرأ مناقشة شيخه، وفي هذا السياق دعا الكثير من النخب إجراء إصلاحات جذرية.

¹ ابن السحنون الراشدي، الثغر الجمان في ابتسام الثغر الوهراني، تح نق المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة-1973م، ص243.

² العيد مسعود، الحركة التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سرتا، عدد3 1980م، ص16.

وبالتالي فالخطاب الصوفي نشأ في ظل هذه الظروف في بلاد المغرب على -حد
السواء- التي أثرت بها كتابات الطريقة.

ب- تأثير المؤلفات المشرقية:

أخذت الكتب والمؤلفات المشرقية حيزا هاما في التعليم وكان تأثيرها في بلاد المغرب
عامة ولاسيما الجزائر خاصة وما من شك أن من هذه المؤلفات كانت كتب التصوف متداولة
بين أوساط عامة المتعلمين نظرا لشغفهم المتزايد على طلب العلم وتأثرهم بها، وبالتالي نشر
الثقافة والسلوك الصوفي. ومن خلال كتب التراجم، استطاع الباحثون معرفة نسب تداولها
وتمييز مدى انتشار كتاب عن آخر وتأثير أفكاره عن أفكار مؤلفات أخرى ومثال ذلك: -
"كتاب إحياء علوم الدين" لصاحبه أبي حامد الغزالي نجده يصنف في خانة الكتب ذات
الانتشار الواسع، يليه كتاب "الرعاية" للمحاسبي، ثم كتاب "الرسالة القشيرية". ثم تليها كتب
أقل انتشارا: ككتاب "التصوف" للمطوعي، وكتاب الرقائق لعبد الرحمن بن مبارك¹.

ج- حركة التأليف والمؤلفين:

عُرفت مدينة بجاية بأسبقيتها في مجال العلم والعلماء فقد تميزت عن باقي المدن
الأخرى كمدينة الجزائر وتلمسان بمدرسة عبد الرحمن الوغليسي فقد تخرج منها أعداد كبيرة

¹ بوداود عبيد ، المرجع السابق ، ص 61.

من العلماء كعبد الرحمن الثعالبي ومحمد الهواري وعيسى بن سلامة البسكري، وقد انتشر هؤلاء لبيثوا أفكارهم عن طريق التدريس ونشر مؤلفاتهم¹.

لقد عرفت حركة التأليف نشاطا واسعا في العهد العثماني رغم ما قيل عنها من مساوئ وسلبيات، فقد سيطر التصوف على كامل مجالات الحياة العلمية منها والاجتماعية، ومن أشهرهم أبوراس الناصري وأحمد البوني وابن حمدوش وابن العنابي وغيرهم فقد أنتج هؤلاء العلماء وغيرهم مجموعة ضخمة في شتى المجالات كالأدب والتاريخ والتراجم والتصوف الذي يهتما في هذا المقام المؤلفات الصوفية والتي تشعبت مجالاتها وأفكارها ووسائل بثها كالكتب والرسائل والتقاييد والمنظومات متناولة مواضيع عديدة كالأذكار والأوراد والمناقب والمواعظ والوشروح والمختصرات... الخ. وقد أعطانا أبو القاسم سعد الله في الجزء الثاني من كتابه تحليلا دقيقا لحالة التأليف في تلك الفترة من الزمن جاء فيها: "...ظلت أعمال ابن سعد (النجم الثاقب) على الخصوص، وأعمال محمد بن يوسف السنوسي، وأعمال الحوضي الجزائري (أحمد بن عبد الله)، وعبد الرحمن الثعالبي ومرائي الفراونسي والمازوني (صلحاء شاف)، وغيرهم مصدرا هاما للتأليف في علم التصوف وفروعه..."²

من المؤلفات الصوفية نجد "السينية" لصاحبها حسن بن باديس و"بالنفحات القدسية" جاءت في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني، وقد شرحها المؤلف في "اللمحات الإنسانية وقد

¹ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص87.

² نفسه، ج2، ص112.

تنافس بعض العلماء في شرحها وتقليدها والتبرك بها¹، ومن الذين ساهموا كذلك في تغذية التيار الصوفي وبث خطابه نجد أحمد بن عبد الرحمن النقاوسي البيجائي ومؤلفه "الأنوار المنبلجة من أسرار المنفرجة" و"المنفرجة" هي قصيدة ليوسف بن محمد بن يوسف الملقب بابن النحوي وهي قصيدة في الأدب والتصوف وقد تفرد النقاوسي بشرحها².

ومن تلاميذ النقاوسي عبد الرحمن الثعالبي³ والذي فاقت شهرته شهرة أستاذه وقد كان قدوة في الزهد والتصوف له مؤلفات عديدة في علوم الدين في التفسير والوعظ والتوحيد والفقه تصل إلى الخمسة عشر فقد كان يبث أفكاره من خلال ما يكتبه ، ففي علم الحديث له فهرسة تدعى "غنية الواجد وبغية الطالب الماجد" وكذلك في تفسير القرآن "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" من أربعة أجزاء و"الأنوار المضيقية بين الشريعة والحقيقة" و"النقاط الدرر" و"الأربعين في الوعظ" وله "رياض الصالحين وتحفة المتقين" في التصوف⁴ وكتب أخرى كثيرة تفنن في نسخ كتبه اللاحقون الذين تشرفوا بحياسة مؤلفاته المتوارثة جيلا بعد جيل.

¹ سعد الله أبو القاسم نفسه، ج1، ص88.

² نفسه، ص 82.

³ هو أبو زيد عبد الرحمان، بن محمد، بن مخلوف، بن طلحة، ابن عامر ابن نوفل ، بن عامر، بن موصور بن محمد، بن سباع، بن مكي ابن ثعلبة بن موسى، بن سعيد بن مفضل، بن عبد البر، ابن فيسي، ابن هلال، ابن عامر، بن حسان، بن محمد بن جعفر، بن أبي طالب ، فهو جعفري النسب، ولد عبد الرحمن الثعالبي سنة (768هـ-1384م) بوادي يسر بمدينة يسر الواقعة حاليا ولاية بومرداس.

⁴ لا يزال الكتاب مخطوطا بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم:833.

ثالثاً: الخطاب الديني الاصلاحى

كثيراً ممن يعتقدون أن التيار الاصلاحى لم تستتب معالمه إلا في العصر الحديث فإذا تصفحنا ماضيها نجد من أنكر السلوك الدينى المنحرف عن الشرع ومن توجه بأصبع الاتهام إلى الطرق الصوفية التي علق بها خرافات وانحرافات عقديّة خطيرة.

فممن دعوا الرجوع إلى "التصوف السلفى" نجد الشيخ عبد الكريم الفكون وهو من جحافل علماء قسنطينة التي ولد فيها سنة (988هـ-1580م)، كما أنه أخذ العلم على يد علماء كبار بدأ بوالده و يحيى الأوراسي وغيرهما، فقد كون ثقافته محلياً دون اللجوء إلى الترحال داخل الجزائر أو خارجها ربما كان مكثفياً يدرّس العلماء الذين كانوا يتوافدون إلى الجامع الذي كان بجوار سكناهم¹.

يبدو أن الشيخ كان عازماً على الرحيل نحو الحجاز لما كان في قلبه من استياء على الوضع الذي آلت إليه قسنطينة من مظالم ومناكر وفوضى رغم صغر عمره، وقد طرح الموضوع على والده ثم طرحه على الشيخ الزواوي الذي أحبب عزمته مستنداً إلى حديث الرسول والذي في معناه أنه في آخر الزمان يموت المؤمن بين الطرقات وذلك لفراره من موطنه لما لقي من مناكر فيه يعتقد أن موطناً آخر قد سمع عنه أنه اصلح له فيجده حين

¹ سعد الله أبو القاسم، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفى، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت-1986م، ص63.

الانتقال إليه أكثر ظلما فيصير يرتحل حتى تلقاه المنية بين الطرق¹، ومن هذا فهم الفكون إن الفساد قد عم جميع الأقطار الاسلامية وأن الاصلاح والتجديد ينبع من التمسك بالكتاب والسنة النبوية الشريفة. يبدو ومن خلال ما سبق أن الشيخ عبد الكريم الفكون كان مستاء من أحوال الناس خاصة العلماء منهم الذين كانوا يتنافسون للتقرب من الحكام وما رآه من انتشار التصوف الكاذب من هؤلاء الدراويش والمجازيب-حسب تعبيره- وسوء الادارة والقضاء والاقتصاد والأخلاق...

اتبع الشيخ عبد الكريم الفكون الطريقة الزروقية نسبة إلى مؤسسها الشيخ أحمد زروق ت(899هـ-1494م)²، عرف الشيخ بتشدده فيما يتعلق بالقواعد الشرعية فهو غير مبال بما اعتاد الناس على فعله حتى أقرب الناس إليه وذلك ما دفعه إلى الخروج من البيت الذي ولد فيه للسكن وحده³. منتقدا لعلماء عصره وحتى السابقون كالشيخ عبد اللطيف المسبح المعاصر لجدّه والذي وضع مختصر الأخصري في الآداب العامة فقد انتقد طريقته في الشرح بعد قراءته رغم صغره، يتسنى لنا بعد ذلك القول بأن الفكون كان فريدا في عصره فكانت لديه ملكة وروح النقد قلما نجدها عند كبار العلماء متأثرا في ذلك بشيخه الذي أخذ عنه النحو والصرف⁴.

¹ نفسه، ص64.

² الطريقة الزروقية .

³ سعد الله أبو القاسم، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفي، ص67.

⁴ نفسه، ص62. وكذلك أنظر نفس المؤلف، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص529.

ليس من الغريب أن يكون الشيخ عبد الكريم الفكون من العلماء الكبار إضافة إلى كونه ذكيا وفتنا وجد نفسه في عائلة ذات تاريخ عريق، فقد بر منها علماء وشعراء وقضاة ومتصوفة وحتى الشهداء إلى جانب ذلك فقد كانت من أغنى العائلات وذات نفوذ قوي، كما كانت تملك زاوية تعين بها الفقراء وتنتشر العلم وتستقبل الضيوف من كل جهة¹.

للشيخ عبد الكريم الفكون العديد من المؤلفات والرسائل فقد كرس معظم حياته في التعليم والتأليف وكان متخصصا في النحو وهو من أصعب العلوم لأنه يحتاج إلى العقل بالدرجة الأولى، ومما تركه تجد "فتح اللطيف" وهو في الصرف وكذلك وديوان في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب "نظم الدرر على شرح المختصر" والمقصود مختصر عبد الرحمن الأخضرى، وما يهمنا من كل هذا كتاب "محدد السنان في نحر اخوان الدخان"² و"منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" نجد أن الكتابان يحملان نفس الأفكار ولهما موضوع واحد وما يهمنا منها الكتاب الثاني الذي اشتهر به، وهذا الكتاب بمثابة نقد سياسي واجتماعي وديني، للوضع السائد في تلك الفترة الزمنية وهو من خلاله يعطينا صورة شاملة وواضحة لما كان يجري على جميع الأصعدة من أحوال النخب من زعماء سياسيين ومتقنين ورجال الدين ، كما أن هذا الكتاب سيظل حيا وهو من الكتب التي

¹ سعد الله أبو القاسم، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفي، ص7.

² لا يزال هذا الكتاب مخطوطا بالمكتبة الملكية تحت رقم:6929.

لا يأكلها الزمان لأن معظم ما تكلم عنه مازالت آثاره باقية إلى يومنا هذا من عائلات وزوايا وأفكار... الخ¹.

يحتوي كتاب "منشور الهداية..." على تراجم لعلماء قسنطينة في القرنين العاشر والحادي عشر الهجري (16-17م) فقد ترجم لوالده وجدته وتلامذته وأصحابه وبعض عائلات قسنطينة، كما يحتوي على أخبار السياسة وأحوال الناس الاجتماعية والعلمية. لكن ما نجده مميّزا أنه يتناول الأشخاص من حيث سلوكهم الاجتماعي وعلاقاتهم مع الآخرين من حكام وعامة الناس ودرجات علمهم فيميز فيهم الصالح والمزيف، ويتكلم حتى عن الذين لهم أطماع مادية، وقد أهمل في كتابه تواريخ الميلاد والوفاة لأنه لم يكن يهدف أصلا للترجمة بل كان يسجل انطباعات.

عاب عبد الكريم الفكون أحوال الناس التي تدنت فأصبح انتشار واسع للشعوذة وشيوع الرشوة لدى الحكام والقضاة والعلماء وكثرة الدراويش. فنجدته ينتقد حتى العلماء في المشرق الذي لاحظ فيهم تساهلا في المسائل الفقهية ومنحهم الإجازات، كما أنهم يشربون الدخان في المساجد فهم لا يقدسون بيوت الله. أما علماء الجزائر فقد عاب عليهم أمرين قبول بيع الضمائر والثانية انحراف المتصوفة من المرابطين وذلك بادعائهم التصوف والولاية

¹ الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العام والولاية، ط1، تق تح سع الله أبو القاسم، دار الغرب الاسلامي، بيروت-1987م، ص15.

والاجتماع على الرقص والغناء بالدف والاستيلاء على أموال الناس والتآمر مع الحكام...الخ.

حمل شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون على عاتقه مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله¹ وذلك بالرجوع إلى الدين الصحيح، كما أنه حث على اقتران العلم بالعمل والغوص في بحور العلم واستعمال العقل الذي لا يتناقض مع التعاليم الشرعية. لقد سبق الشيخ الدعوة الوهابية وبن عبد الوهاب بحوالي قرن من الزمن، أما دعاة التجديد أمثال محمد بن العنابي ورفعة الطهطاوي ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني بما قدره قرنين من الزمن.

خاتمة الفصل:

ومما سبق ذكره نستطيع أن سنتج ما يلي:

- تميزت علاقة الطرق الصوفية بالحكام العثمانيين في الوهلة الأولى بالاحترام والتقدير.
- اعتمد الحكام العثمانيون على السلطة الروحية للمتصوفة للتمكين من حكمهم.
- لم يستطع العثمانيون بسط سيطرتهم على كامل مناطق البلاد وبقيت مناطق مستقلة استقلالاً ذاتياً كمنطقة القبائل الكبرى.
- لعبت الطرق الصوفية دوراً هاماً في إحداث التوازن وسد ثغرات الحكم بالأخذ على عاتقها مهمة الاشراف على التعليم والإعانات الاجتماعية وغيرها.

¹ الفكون عبد الكريم، المصدر السابق، ص33.

-عرفت حركة التأليف في بلاد المغرب نشاطا واسعا وقد طبعت بالطابع الصوفي في أغلب مجالاتها.

-ظهر تيار إصلاحى قاده الشيخ عبد الكريم الفكون والذي انتفض ضد المفسدين والمنحرفين من المتصوفة والعلماء والحكام.

-لم تكن فكرة إصلاح المظاهر الدينية من البدع والخرافات التي التصقت به وليدة الوهابيين بل سبقهم إليها الشيخ عبد الكريم الفكون.

القسم الثاني

الحركة التواصلية في الخطاب الصوفي

التيجاني

المفصل الأول

الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية

الحنيفية التيجانية (الطريقة التيجانية)

أولاً: تعريف الشيخ أحمد التيجاني.

ثانياً: نشأة طريقته الصوفية.

ثالثاً: نشر الطريقة التيجانية.

رابعاً: الطريقة التيجانية والسلطة (صراع هيمنة أم وجود).

توطئة:

عرف النصف الثاني من القرن الثامن عشر ظهور طريقة صوفية جديدة، أضيفت إلى مجموع الطرق الصوفية المتواجدة ببلاد المغرب، واستطاعت أن تصنع لها مكانا رغم صعوبة جمة، وقد أثبتت وجودها وقدرتها على الصمود والبقاء أمام الطرق العريقة. تعتبر الطريقة التجانية أول طريقة جزائرية استطاعت تخطي الحدود الجغرافية، ولأهميتها ارتأينا أن نتحدث عنها من حيث النشأة والتطور حتى يتسنى لنا دراسة خطاباتها ومدى تأثيره وتأثيره على المحيط السائد في تلك الفترة وأهم الانتقادات التي وجهت إليها.

أولا:تعريف الشيخ أحمد التجاني.

1-نسبه:

هو أبو العباس أحمد بن محمد- المكنى: ابن عمر- ابن مختار بن أحمد بن محمد بن سالم بن أبي العيد بن سالم الملقب بالعلواني، بن أحمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن الجبار بن إسحاق بن علي بن زين العابدين بن أحمد بن محمد -الملقب بالنفس الزكية- بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي

طالب - كرم الله وجهه- بن فاطمة الزهراء - رضي الله عنها- بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم¹.

جاء في كتاب جوهر المعاني أن الشيخ سأل النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما عن نسبه فأجابته أن نسبه إلى الحسن بن علي صحيح، ويقال أنه من أشرف المغرب².

2-مولده ونشأته:

ولد أحمد التجاني بعين ماضي³، سنة (1150هـ/1737م)⁴. وقد نشأ في عائلة كان جل أفرادها ذوي مستوى ديني رفيع. فوالده محمد بن مختار كان شيخ زاوية، وعالما ورعا، أما أمه عائشة فهي بنت الولي الصالح سيدي السنوسي التجاني الماضوي- نسبة إلى قبيلة بني توجين - كانت ذات أخلاق كريمة ، وأخوه محمد المكنى بابن عمر كان حافظا للقرآن الكريم وأجداده كانوا من العلماء الأخيار. فجدّه لأبيه "المختار بن أحمد كان من أعيان المنطقة، وحده الثاني أحمد بن محمد كان عالما بارزا في عصره ، وجدّه الثالث محمد بن سالم كان عالما كبيرا. وهو الذي وفد إلى عين ماضي ،وتزوج من بني توجين ، فكانوا أخوالا لأحمد التيجاني ، وكنيته تعود إلى أخواله "تيجاني".

¹ علي حرازم برادة، جوهر المعاني وبلوغ الأمانى في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، ج1، دار الكتاب العلمية، بيروت - 1997م، صص 30-31.

² محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص60.

³ مدينة صغيرة تبعد عن "الأغواط" حوالي: 70كلم. انظر إلى الخريطة في الملاحق

⁴ علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص26.

القسم الثاني/الفصل الأول الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفة التجانية(الطريقة التجانية)

نشأ أحمد التيجاني نشأة كريمة في ظل عائلة تشع بالعلم والعلماء مما أتاحت له الفرصة لصقل مواهبه ،فقد تمكن من حفظ القرآن وهو بن السابعة من عمره بفضل من أستاذه محمد بن حمو الماضوي. وبعد حفظه القرآن الكريم انصب على طلب العلم، فدرس على يد شيخه المبروك بن بوعافية المضاوي التيجاني : (مختصر الشيخ الخليل)، (الرسالة)،(مقدمة بن رشد و الأخضري).

كان ميالا إلى الزهد والانعزال عن الناس وهو في عين ماضي، ولما بلغ سن الرشد أصبح مهتما بالدعوة إلى الله، ومن السابقين إلى إحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. زوجه أبوه ولم يدم زواجه سنة حتى طلق امرأته الأولى، ثم تزوج من امرأتين هما السيدة الغالية التي أنجبت له محمد الكبير، والسيدة مبروكة التي أنجبت محمد الحبيب المعروف بمحمد الصغير.

إثر وفاة والديه بالطاعون الذي أصاب المنطقة عام (1166هـ/1753م)، خلف أباه على رأس الزاوية وهو بن السادسة عشرة من عمره، وخلال خلافته مارس تدريس القرآن والسنة النبوية الشريفة والمطالعة، وسرعان ما جعلته رغبة الجامعة في توسيع دائرة معارفه، وشهيته المفتوحة على تلقي العلم، إلى التخلي عن خلافة الزاوية والبدء في الترحال لطلب العلم و تحقيق طموحاته.

3-رحلاته:

القسم الثاني/الفصل الأول الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفة التجانية(الطريقة التجانية)

كانت رحلته الأولى سنة (1171هـ/1758م)¹ إلى فاس لما كانت لها من شهرة بفضل علمائها. فكان يحضر مجالس العلماء، وقد أخذ القراءة بالتجويد لما انتقل إلى جبل العلم. كما أخذ إجازات تسمح له بالتدريس عند دخوله في مساجلات فقهية مع بعض العلماء الفاسيين.

وقد التقى أحمد التيجاني بعدة شخصيات منها، المولى الطيب الوزاني شيخ الطريقة الطبية المتوفى سنة (1180هـ/1766م)، الذي أذن له بتلقين ورده. كما أخذ عن الشيخ محمد بن عبد الله التازي مبادئ الطريقة الناصرية، كما التقى بالشيخ أحمد الصقلي² وغيره من الأولياء واكتفى بالتبرك بهم³. وأيضا التقى في جبل زينب ببني ونجل بالشيخ محمد بن الحسن الونجلي المتوفى (1185هـ/1771م) وقد أشار عليه بالرجوع إلى بلده و كان يعرف بالكرامات⁴.

¹ علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص34.

² الكتاني محمد، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أثير من علماء والصلحاء بفاس، ت شريف الكتاني، ج1، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس، فاس- ب ت.

³ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص510.

⁴ يتراءى لنا من خلال الشخصيات التي التقى أحمد التيجاني بها وهو في فاس لم يكن دافعه تحصيل العلوم العملية وإنما ركز على الجانب الروحي، فكان يحوم حول تلقي الأوراد والأذكار أكثر من تلقيه العلوم الشرعية وهذا ما نلاحظه خلال تجواله في فاس.

رجع أحمد التيجاني امتثالاً لشيخه محمد الحسن الونجلي، إلى الجزائر واستقر بالأبيض سيدي الشيخ حيث زاوية سيدي عبد القادر المعروف بسيدي الشيخ، وقد دامت مدت إقامته حوالي خمس سنوات مارس خلالها التدريس، كما لبس لباس الزهد والورع، وخلال إقامته بالأبيض سيدي الشيخ زار عين ماضي مسقط رأسه. كما كان يعلم أنه يرتقي في المقامات وأن مسلكه صحيح.

وبعد مكوثه مدة خمس سنوات ارتحل إلى تلمسان سنة(1186هـ/1772م)، ثم قصد الحج لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام. و في طريقه زار الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الأزهري، شيخ الطريقة الرحمانية بمنطقة جرجرة، أخذ عنه الطريقة الخلواتية، ثم قصد تونس وفيها تعرف على الشيخ عبد الصمد الرحوي ومكث بها سنة كاملة، درس خلالها عدة مؤلفات، ذاع صيته حتى أن أمير البلاد طلب منه المكوث، والتدريس بجامعة الزيتونة، لكنه رفض و واصل طريقه¹.

لما وصل إلى مصر اتصل بالشيخ محمود الكردي المصري وأخبره أنه يريد القطبانية العظمى، فبشره أنه سيحصل على أكثر منها². ثم توجه إلى الحجاز في عام

¹ علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص46.

² لعل الشيخ محمود الكردي قد استند في هذا إلى خبرته الطويلة في هذا المجال و ما رآه من شروط متوفرة في أحمد التيجاني للوصول إلى أعلى الرتب و المقامات. فالمعلم في العموم يستطيع أن يعرف تلميذه إن كان قادرا للوصول إلى ذروة النجاح أم لا. أو هي إحدى الكرامات.

(1187هـ/1773م)¹، أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد الهندي عن طريق خادمه بمكة، ثم اتجه إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، واتصل هناك بالشيخ محمد بن عبد الكريم السمان.

وبعد إتمام مناسك الحج عاد إلى الجزائر ماراً بمصر، حيث أجازته محمود الكردي في الطريقة الخلواتية، ثم مر بتونس ولم يمكث بها إلا القليل حيث انتقل إلى تلمسان سنة (1188هـ/1774م)². بقي فيها مدة ثلاث سنوات وهنا التقى بالشيخ محمد بن المشري الحسني السباعي السائحي والذي كلفه بكتابة الأجوبة عنه.

في سنة (1191هـ/1777م) اتجه إلى فاس تاركاً تلمسان وراءه وذلك لأن أحوالها العلمية ساءت فلم تعد نرضيه، وفي الطريق التقى لأول مرة بعلي حرازم برادة الفاسي، فتوجهوا معاً إلى فاس فلقنه الطريقة الخلواتية. بعدها عاد إلى تلمسان فألى قصر الشلالة، واستقر بقصر أبي سمغون مدة ثلاث سنوات أي من (1186هـ/1782م) إلى

¹ كان ذلك في عهد عبد العزيز بن سعود (1765 - 1803) ازدادت الحركة الوهابية قوة حيث احتل الاحساء و القطيف وسعى للسيطرة على الخليج العربي. ثم هاجم العراق وعجز سليمان باشا حاكمها عن القضاء على حركته ثم عاد لمهاجمة مرة ثانية وهدم ضريح الحسين بن علي. و قد تم اغتيال عبد العزيز من قبل احد أتباع الشيعة عام 1803 انتقاماً لهدمه ضريح الحسين ومراكز الشيعة في العراق.

² ومن هنا نستطيع القول أن مدة رحلته إلى الحج دامت حوالي عامين استطاع فيها أن يكون نظرة على العالم الإسلامي وما يحدث فيه من تطورات.

(1199هـ/1785م) وبعد أن ضيق عليه الخناق العثمانيون خلال إقامته سافر إلى توات¹ لزيارة محمد بن فوضيل، وكذلك إلى تازة التي التقى فيها بتلميذه محمد بن العربي الدمراوي التازي الذي أصبح مما أعطوا الكثير للطريقة التيجانية.

4- أوصافه وخصاله:

ذكر أحد الباحثين الفرنسيين أن الشيخ كان جميل المظهر ذو لحية بيضاء، حاد الذكاء وتبدوا عليه الرزانة، كان بدينا ومحبب الظهر نسبيا حاله حال طالب العلم على العموم في ذلك الوقت، وذلك نتيجة قضاء وقت طويل في طلب العلم وحفظ القرآن الكريم. كما كان فصيح السان مقنعا، مما ساعده في كثير من الأحيان على نشر طريقته واستقطاب كثير من الأتباع وكان لباسه متوسطا فهو لا يحب التمييز باللباس الفاخر.

ومن المعروف أن أهل الصحراء امتازوا - منذ القديم - بالطيبة والأخلاق الحميدة والجود والكرم وغيرها من الخصال الحسنة نجد أن الشيخ أحمد التيجاني لم يحد عن جملة هاته الأخلاق وكونه من أهلها² ومن سلالة الرسول كما جاء في سلسلة النسب فأجداده من خيرة الناس كما أنه نشأ في بيئة مفعمة بالورع والتقوى.

¹ علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص51.

² أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص159.

وقد برزت أخلاقه منذ الصغر وكان متعبدا ورعا يقوم الليل وهو لم يتجاوز سن السادسة عشرة من عمره، أخذ يدعو الناس ويرشدهم في سن مبكر وذلك بالتقرب إلى الله والتمسك بالسنة النبوية الشريفة. فأثبت تفوقه ما جعل الناس يوافقون على توليه الخلافة بعد وفاة والده على رئاسة الزاوية رغم صغر سنه. كما ازداد إعجاب الناس به، وكل من تعرف عليه أشاد بمناقبه وخصاله. ويؤكد الباحثون أن شهرته تحققت لنباهته وورعه وتقواه وتواضعه وأخلاقه التي جعلت منه قدوة للناس¹.

ومن خصاله أيضا أنه كان كثير التصدق، فكل جمعة يوزع القمح على ضعفاء البلد من الفقراء والأيتام والأرامل، وفي كل يوم يوزع الخبز على الصبية عند قارعة بابه، كما أن تواضعه قاده إلى أن يخدم بنفسه من والاه من أصحابه، ولا يقبل التمييز أو تقبيل اليد².

وقد اتصف أيضا بالرحمة فكان يشتري العبيد ويعتقهم فمرة اشترى في يوم واحد خمس وعشرين عبدا وأعتقهم. كما أعتق جميع إيمائه دفعة واحدة وكانوا خمس عشر، كما أعتق ثلاث عشرة عبدا آخر³.

Louis Rinn, op- cit, p417 .

1

² علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص86.

³ نفسه، ص95.

ثانياً:نشأت طريقته الصوفية

يبدو ومن خلال استقرار أحمد التيجاني في قصر أبي سمغون، أنه كان ينتظر الفتح نتيجة العلوم والأسرار التي اكتسبها، فلم يفضل أن يحدث هذا في مكان آخر خارج بلده.

1-حصول أحمد التيجاني على الفتح الأكبر:

أ- البذور الأولى للفتح الأكبر:

يبدو من خلال الرحلات العلمية التي قام بها أحمد التيجاني والشخصيات التي التقى بها وما حصل عليه من علم أهله إلى الأفراد بشخصيته وسلوكه الصوفي فكل هذا لم يزد إلا إصراراً وطموحاً للوصول إلى مرتبة القبطانية والأفراد بطريقته الصوفية.

أراد أحمد التيجاني إثباته للناس أنه كان موعوداً بالقبطانية وإعطاء أساس متين لطريقته وكذا تهيئة الناس لحصول الفتح من خلال مجموعة من الرؤى مقتدياً بالرسول صلى الله عليه وسلم، والذي ظهرت من خلالها علامات النبوة، ومن هذه الرؤى رؤياً وهو صغير قبل البلوغ، أن كرسي المملكة انتصب له، وجلس عليه والجنود محيطون به من كل جانب، وهو يقود الجميع كأنه ملك¹. وفي أخرى يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم راكباً على حصان. وحاول أن يسلم عليه حين ينزل منه لبلوغ مراده بسهولة، وحصل ذلك فعلاً في المنام. كما يروي أحمد التيجاني في رؤياً أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل أحد

¹ علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص54.

بساتين عين ماضي وبدأ الصلاة، ولم يدركه الشيخ أحمد التيجاني إلى في الركعة الثانية، وقد فسر ذلك بأنه لن يبلغ مراده إلا بعد النصف الثاني من عمره¹. ورأى للمرة الثالثة أنه ملك وعقد الناس له البيعة ونصبوا له كرسي الخلافة في مكان مرتفع، ولما حان وقت صلاة الظهر أراد أن يطلب أحدا ليؤم الناس في الصلاة على عادته في اليقظة، ثم تذكر أنه الخليفة وعليه أن يصلي بالناس وصلى بهم².

عمل أحمد التيجاني بفضل الرؤى التي أوردناها والتي لم نردها على تعبئة وتحضير أتباعه على تقبل ما سيجري دون مناقشته أو التشكيك في أمره وجعل طريقته الجديدة أعلى الطرق فهي طريقة الخلاص وأنه خاتم الأولياء.

روح لأفكاره من بعده أتباعه بعد أن آمنوا أشد الإيمان بها وفي ذلك أورد محي الدين الطعمي في كتابه "عروش الحقائق" أن مقامه بين النبوة والقبطانية لذا هو خاتم الأولياء، وأصله شريف ينحدر من الرسول صلى الله عليه وسلم.

أحس أحمد التيجاني بإرهاصات الفتح الصغير، خلال تواجده في تلمسان، حتى شبّهت حالته التي أصبح عليها التيجاني، بحالة النبي حين نزول الوحي عليه. غادر تلمسان متجها إلى قرية أبي سمغون عام (1196هـ-1782م)، وبعد عودته المباشرة من توات وتازة رأى

¹ علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص54.

² نفسه.

والده كأنه على قيد الحياة، واستبشر بقدومه وفي تلك الليلة، وقع له الفتح بروية النبي صلى الله عليه وسلم وعمره حوالي الخامسة والأربعين سنة.

ب- نشأة طريقة:

في سنة (1196هـ -1782م) حدث لأحمد التيجاني الفتح الأكبر في قرية أبي سمغون¹ وأخذ الإذن من سيد الخلق صلى الله عليه وسلم في تلقين الخلق، كما عين له الورد الذي يلقنه. أوردت بعض المصادر الأجنبية أن أحمد التيجاني كان يتحاشى مخالطة الناس، وكان يميل إلى الخلوة بقرية أبي سمغون منتظرا الفتح لما جاءه من إرهابات التي سبق ذكرها².

لم يتأخر عنه الفتح كثيرا، ويذكر أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم - يقظة لا مناما - وأخبره بعلو مقامه، كما أمره بالتخلي على جميع الطرق التي أخذ عنها من قبل، ووضع له الورد الذي يخص طريقته الجديدة، كما أمره بتلقينه للناس دون اللجوء إلى خلوة، حتى يبلغ مراده. كما أخبره أنه هو من سيتكفل بتربيته، وأنه سيكون الوسطة بينه وبين الله عز وجل³.

¹ سبق التعريف بها ص 67.

D.Octave , C.Xavier, op cit , p416

²

³ علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص 51.

ومما أوردنا نجد أن التيجاني يريد أن يثبت للجميع أن طريقته منفردة لا تمد بأي صلة بالطرق الأخرى ، وأن السند فيها هو الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة بلا وساطة أو نقل. بدأ الناس يتوافدون عليه من كل النواحي ويلتفون حوله بعد حصول الفتح. وبالتالي بدأ ميلاد طريقة جديدة في ظل عدد لا يستهان به من الطرق الصوفية في الجزائر.

بعد عودة أحمد التيجاني إلى مسقط رأسه قرية أبي سمغون وكله عزم على إرساء قواعد طريقته الصوفية الجديدة وقد اتخذ من قرينته مقرا رئيسيا له¹. وانطلق في الدعوة محاولا نشر مبادئ طريقته الصوفية منتقلا عبر عدة مناطق.

ج- الطريقة التيجانية (الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفة التيجانية):

أراد أحمد التيجاني لها اسما كذلك كي يميزها عن باقي الطرق الصوفية الأخرى، فالطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفة التيجانية تحوي كلماتها على دلالات فأحمد التيجاني اختارها بدقة لإرجاعها إلى أصل السند وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأحمدية كونها نشأت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أحمد كما جاءت التسمية في القرآن الكريم وأن صاحبها يدعى أحمد بن محمد التيجاني، والمحمدية كون التيجاني مرتبط بمدد خاص يأتيه من النبي صلى الله عليه وسلم، والإبراهيمية نسبة إلى إبراهيم الخليل - عليه السلام - تبركا به باعتباره خليل الرحمن، أما الحنيفية لكون الله عز وجل هو مبدأ الأمر فيها ومنتهاه، وأول المراد وآخره ...

2- أسس ومبادئ الطريقة التيجانية:

أ- شروط الانضمام إلى الطريقة التيجانية:

للانضمام إلى الطريقة التيجانية مقرون بشرط واحد لا يمكن التنازل عنه ألا وهو أنه لا يمكن الانتساب إلى الطريقة إلا إذا تخلص المنتسب عن طريقته، وفي نفس الوقت لا يستطيع المنتسب إلى الطريقة التيجانية أن ينتسب إلى طرق أخرى. كما يجب على الأتباع الخضوع لشروط كثيرة أوردتها جل المصادر التيجانية من بينها كتاب (رماح حزب الرحيم) والذي جاء فيه ثلاث وعشرون شرطاً أساسياً¹ هي:

- أن يكون الشيخ الذي يلحق الأذكار مأذوناً له بالتلقين من الخليفة أو ممن أذن له إننا صحيحاً.
- أن يكون طالب التلقين خالياً من أي ورد من أوراد المشايخ اللازمة لطرقهم، منسلخاً عنه غير راجع إليه.
- عدم زيارة أحد الأولياء الأحياء منهم و الأموات.

¹ عمر بن سعيد الفتوي الطوري، رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرحيم(في هامش كتاب جوهر المعاني)، ج1،

- دوام المحافظة على الصلوات الخمس في جماعات، و الأمور الشرعية. و هذا الشرط نجده مخففا في كتاب (جوهر المعاني)¹.
- دوام محبة الشيخ بلا انقطاع إلى الممات، و خليفة الشيخ في جميع ما كان للشيخ على التلاميذ من الحق و الشروط.
- عدم الأمن من مكر الله، فالمؤمن لا يطمئن قلبه من خوف عذاب الله.
- ألا يصدر منه سب و لا بغض و لا عداوة في جانب الشيخ.
- مداومة الورد إلى الممات.
- الاعتقاد في دخول الجنة، لمن أخذ الورد اللازم للطريقة هو وأولاده وأزواجه، لاوالحفدة بلا حساب ولا عقاب، بشرط مداومة الورد إلى الممات، وعدم سب ومعاداة الشيخ. هذا الشرط وجد إنكارا شديدة من طرف المعارضين متهمين التيجانيين بالخروج عن الدين. ولم نعلم إن كان ذلك من التيجاني أم نسبة إليه.
- السلامة من الانتقاد.
- أن يكون التلميذ مأذونا في الذكر بتلقين صحيح ممن كان له إذن صحيح.
- الاجتماع للوظيفة، و ذكر الهيلة بعد عصر يوم الجمعة.

¹ ورد فيه مخففا و بصيغة المحافظة على الصلوات في أوقاتها في الجماعة إن أمكن. أنظر علي حرازم برادة، المصدر

القسم الثاني/الفصل الأول الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفة التحانية(الطريقة التحانية)

- ألا يقرأ جوهر الكمال إلا بالطهارة المائية لا بالترايبية، لأن النبي صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الأربعة- حسب اعتقاد التيجانيين- يحضرون عند قراءتها.
- عدم وقوع المقاطعة مع جميع الخلق، و لاسيما بين المرید و رفقائه في الطريقة.
- عدم التهاون بالورد، كتأخيره عن وقته من غير عذر.
- عدم إعطاء الورد من غير إذن صحيح.
- احترام كل من كان ينتسب إلى الشيخ، و لاسيما الكبار أهل الخصوصية من أهل الطريقة لما لهم من مكانة رفيعة عند الله- حسب التجانين- و قد ورد عن أحمد بن الحاج العياشي سكيرج قوله عنهم: (إن حلولهم معه في الرتبة التي يحتلها ليدل على أن مقامهم أفضل من مقامات الأكابر، من خاصة الأصفياء هذه الأمة المحمدية)¹. و بالتالي فهم جديرون بالاحترام و التقدير.
- الطهارة البدنية و الثوبية - إن أمكنت -
- طهارة المكان.
- الجلوس، و استقبال القبلة، إلا لسفر، و لو كان قريبا جدا، أو كان في جماعة.
- عدم الكلام إلا لضرورة.

¹ عبد القادر سكران، الرحلة الحبيبية الوهرانية الجامعة للطائف العرفانية لخدم الحضرة التيجانية ذات المواهب الربانية،

أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، رسالة دكتوراه، جامعة وهران 2007، ص205.

- استحضار صورة الشيخ أحمد التيجاني، من أول الذكر إلى آخره، مقتدياً به في ذكره وخشوعه وأعظم من ذلك استحضار صورة الرسول صلى الله عليه وسلم، كأنه جالس بين يديه.

- استحضار معاني ألفاظ الذكر، إن كانت للمريد قدرة على فهمها.

ب-مبادئ الطريقة التيجانية:

يرى التيجانيون أن طريقتهم هي أداة للتمكين من التربية الروحية، وهي طريقة هداية إلى الله، كما تعمل على إرساء القيم والمبادئ السامية ومحاربة البدع ومن بين هذه المبادئ نجد:

- عدم مخالفة الشرع، وقد أكد أحمد التيجاني نفسه هذا المبدأ، حين سأله أحد تلاميذه عن موقفه من إمكانية الكذب عليه بقوله: "إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فخذوه، وما خالف فاتركوه".

- عدم التمييز بين الأجناس والأعراق واللون، وهو مبدأ يجسد به التجانيون ما ورد في الحديث النبوي الشريف: «لَا فَرْقَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا أَبْيَضَ عَلَى أَسْوَدَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ»¹.

- خدمة الناس بكل أصنافهم، وهو مبدأ راسخ في الطريقة التيجانية، عرفت به منذ نشأتها، ولا يزال المظهر المميز لكل زواياها إذ لا يتأخر التيجانيون في تقديم الخدمات الضرورية

¹ أخرجه الطبراني .

القسم الثاني/الفصل الأول الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفة التجانية(الطريقة التجانية)

لزواريهم و محبيهم، وحسن استقبالهم في السلوك مميز يطبعه التواضع، ما جعلهم محل تقدير من كافة من عرف زواياهم، وخاصة الزاوية الأم، مقر الخلافة العامة بعين ماضي.

- الابتعاد عن الخلوة، فلا تلزم الطريقة مرديها بالخلوة في الأذكار، وهي تفضل الجماعة، ولا تكون أورادها مرفوقة بحركات كنتك التي يقوم بها أتباع بعض الطرق الصوفية الأخرى.

- أكل الحلال، وعدم النهي عن الكسب، والصدق في المعاملات، واجتتاب الغش والتدليس، والمعاصي، وكف الأذى. وهذه المظاهر الأخيرة منافية لمبدأ الإيمان بالله، وسنة

نبيع عليه الصلاة والسلام، وقد أكد عليها الشيخ أحمد التيجاني بنفسه بقوله مخاطباً

أتباعه: "تجنبوا جميع وجوه الغش والتدليس والكذب في تقويم الأثمان، واقتحام ما حرم الله من

ذلك بنصوص شرعية. وأحذركم أن تتهافتوا في المعاملات المحرمات شرعاً تهافت الجهلة من

العامة، محتجين بعدم وجود الحلال، يريدون أن يسقطوا عنهم الأحكام الشرعية في

المعاملات، فقد صاروا في ذلك كأنهم لا تكليف عليهم، وهو كذب على الله و زور.

- طاعة الشيخ وتقبل نصائحه وتوجيهاته وإرشاداته لأنه أدري من المرید بما يقوده إلى

معرفة الله، ثم أن هذه التوجيهات لا تخرج عن الكتاب والسنة-حسب رأيهم-

3-خصائص الطريقة التيجانية:

القسم الثاني/الفصل الأول الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفة التجانية(الطريقة التجانية)

تميزت الطريقة التيجانية بالسهولة والبساطة فهي ملائمة لجميع الناس . وقد اهتمت التيجانية بالجانب الروحي والديني على حد سواء وهذا ما لا نجده في الطرق الأخرى التي تهتم بالجانب الروحي مهملة الجانب الديني¹.

استطاعت الطريقة التيجانية أن تستقطب عددا كبيرا من المريدين في ظرف قياسي على غرار الطرق الأخرى وهذا لفعاليتها ونشاط مريديها وبساطة تعاليمها التي تتماشى والمستوى العقلي آنذاك.

عرفت التيجانية نخبة من العلماء الذين ذاع صيتهم في ربوع العلم الإسلامي أمثال: على حرازم ، ومحمد بن المشري الحسني السباعي ، وأحمد سكيرج العياشي، وكذا عمر بن سعيد الفوتي السنغالي.

والطريقة التيجانية هي طريقة شكر وليست طريقة مجاهدة²، فصاحب الرماح يرى أن المجاهدة مبنية على رياضة النفس بالتعب والمشقة والسهر والجوع، أما الشكر فهي طريقة الأنبياء والصحابة الكرام . ويرى البعض أن كون الطريقة سنية وأورادها مستمدة من الكتاب والسنة جعلت منها ذات أهمية كبرى التي أكسبتها هذه المكانة المرموقة بين الطرق الأخرى.

¹ Général P.J André, Contribution a l'étude des Confréries Religieuses Musulman, Alger ,

Edition la Maison du Livres 1956 p 292

² عمر بن سعيد الفوتي، المرجع السابق، ص133.

استطاع أحمد التيجاني أن يجعل من طريقته طريقة تتناسب والتغيرات القائمة في عصره وخصها بخصائص حققت لها مكانة عالمية رغم المضايقات التي كانت تطف حوله وخاصة من العثمانيين وهذا ما سنستعرضه في العنصر القادم.

ثالثا:نشر الطريقة التيجانية

1-نشاط الشيخ:

ولدت الطريقة التيجانية بعد حصول الفتح للشيخ أحمد التيجاني سنة (1196هـ_1782م) أخذت أورادها وتعاليمها من الرسول صلى الله عليه وسلم حسب ما جاء به مؤسسها. وقد باشر الشيخ نشاطه مباشرة بعد الفتح وكانت بدايته بقرية أبي سمغون¹ وبمجرد سماع الناس حصول الفتح بدأ الناس يتوافدون عليه، وأخذ يلقنهم الأذكار، وبعدها اتجه إلى مسقط رأسه قرية عين ماضي و التي أسس فيها الزاوية الأم وهناك كثرت الوفود عليه للأخذ عنه، والانضمام إلى الطريقة ولم يكتف الشيخ بهذا الحد فأخذ ينتقل بين عين ماضي وأبي سمغون حتى ذاع صيته وكثر أتباعه من أهل الصحراء، كما عمل على تكوين المقدمين الذين يحملون على عاتقهم الترويج للطريقة في مناطقهم².

¹ يرى سيميان أن النشاط الحقيقي للطريقة كان قبل الفتح إذ حضر الشيخ النفوس لتقبل الطريقة الجديدة والتي أراد من خلالها جمع المسلمين على طريقة واحدة تلم شملهم وانصهار الطرق الأخرى فيها. أنظر: Marcel Sikian,op .cit p71

Alexandre P, Gilles V, Les voix d'Allah, Edition Marinoor,1995-p125.

لم يقتصر الشيخ على التنقل بين عين ماضي وأبي سمغون بل تعداها إلى مناطق أخرى من الصحراء وتونس وجنوب الصحراء -السودان الغربي- ناشرا طريقته ومؤسسا زوايا ومعينا مقدمين¹.

قدر ما بلغت رحلاته خارج دياره فإن الفضل يرجع إلى القرينين الأنفة الذكر في الانتشار الواسع للطريقة التيجانية داخل الجزائر وخارجها، لقد بذل الشيخ مجهودا كبيرا ولهذا السبب انشرت بسرعة رهيبية أثارت تخوف الحكام العثمانيين والذي ترجم بمضايقات وحملات عسكرية إلى عين ماضي أولها سنة(1199هـ-1784م) والثانية سنة(1201هـ-1787م) وعلى إثرها هاجر إلى فاس لمواصلة جهوده التي بات العثمانيون يعرقلونها، وقد أرهقوا أهل الأغواط بالضرائب التي فرضت عليهم. مما اضطر الشيخ إلى الهجرة وكان مقصده فاس لكان صيتها العالمي انطلق من الجزائر والهيمنة على الطرق التقليدية.

أ-هجرته إلى فاس:

يوم 17 ربيع الأول سنة 1213هـ - 1798م توجه الشيخ مع عائلته وبعض تلاميذه منهم محمد بن مشري وعلي حرازم من قرية أبي سمغون دخل فاس في 6 ربيع الثاني من

¹ لم تشر المصادر التيجانية إلى هذه الرحلات وأمثالها التي تكلمت عنها المصادر الأجنبية، وهذا الأمر غير مستبعد كون الشيخ مليء بالإرادة والحيوية والإصرار لبلوغ هدفه المنشود.

القسم الثاني/الفصل الأول الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفة التحانية(الطريقة التحانية)

نفس السنة بعث إلى السلطان أبي الربيع سليمان فاستقبله وقربه منه وأهداه دارا تدعى "دار المرابية"¹ بعد امتحانه.

تضاربت الآراء المتعلقة بأسباب هجرة أحمد التيجاني وأسرته إلى فاس فالتيجانيون يعتبرونها تشبها بالرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته من مكة إلى المدينة، أما حفيد الأمير عبد القادر الجزائري فيرى أن سبب هجرته راجع إلى المضايقات التي تعرض لها من الحكام العثمانيين فضاقت به الحال وأجبر على الهجرة².

ب-بناء الزاوية في فاس:

كثر عدد الوافدين وزاد عدد المريدين الملتفين حوله فعزم على بناء زاوية فاشترى خربة وما جاورها بحومة الدرداس وهي اليوم المسماة بالبليدة في فاس، فشرع بناء الزاوية بإعانة من أصحابه ومن عامة الناس³، كان الشيخ حريصا على نظافة الزاوية، وعلى راحة الوافدين إليه وكان كذلك حريص على أن تكون الصدقات لوجه الله خالصة لكن كان لبناء الزاوية

¹ كانت الدار لورثة مولاي الطيب بن محمد دفين وزان وشيخ الطريقة الطيبية وقد اشتراها السلطان من ماله الذي ورثه. وبعد وفاة الشيخ أحمد التيجاني ورحيل أسرته إلى عين ماضي توارث هذه الدار عدة من العائلات الأشراف إلى إن اشتراها أحد التيجانيين الأفارقة وأهداها لشيخ الزاوية عين ماضي الشيخ علي بن محمود حفيد التيجاني.

² محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص80.

³ لقي الشيخ معارضة في البداية من بعض أهل فاس لولا تدخل السلطان سليمان الذي أصدر أوامره للسماح ببنائها وقد تم بناؤها سنة (1215هـ-1800م).

القسم الثاني/الفصل الأول الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفة التحانية(الطريقة التحانية)

بفاس أثر كبير في نشر الطريقة التيجانية والزيادة من نفوذها بعد النجاح الذي حققته في الجزائر والفضل الكبير يرجع إلى النشاط الذي بذله شيخها واستمرار التوافد على الزاوية حتى بعد وفاته مما استدعى توسيع مساحة الزاوية عدة مرات.

-التوسيعات:

عرفت الزاوية التيجانية بفاس ترميمات عديدة منذ تأسيسها فكانت مكونة من قسمين: القسم الأول هو القسم الذي فيه الضريح وحده من رأس القبر إلى باب الصومعة، والقسم الثاني الذي يليه من جهة الغرب وحده من مقابل رأس القبر الشريف إلى الباب القديم المقابل لباب الجياد ، الزيادات التي زيدت فيها:

وقعت زيادات متعددة على الزاوية الأصلية وأدخلت عليها إصلاحات كثيرة وزخارف متنوعة على مراحل مختلفة وتفصيل ذلك كما يلي:

في سنة (1302هـ-1884م) زيد القسم الموالي لقسم الضريح من جهة القبلة، كما زيد القسم الذي يوجد فيه المحراب حالياً. في سنة (1308هـ-1890م) تم تزيين واجهة المحراب العليا بالنقش على الجبس وكتابة آيات كريمة وأسماء شريفة وأبيات شعرية وغيرها، دون المساس بهذه النقوش والكتابات، فلم يقع فيها تغيير في هذا الترميم. وتم تزليج واجهة المحراب السفلى وداخله بأنواع الزليج الفاخرة، وكتابة سبعة أبيات شعرية داخله تقول:

رُزِرَ ذَا الضَّرِيحِ وَصَلَ فِي مِحْرَابِهِ = فَقَبُولُ أَعْمَالِ الْوَرَى أَحْرَى بِهِ
وَأَذْكَرُ بِهِ مَوْلَاكَ وَآتَلَ كِتَابَهُ = وَاعْمَلْ بِمَا قَدْ نَصَّ فِي إِعْرَابِهِ
وَبِهِ فَضْلٌ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ = أَهْلَ الْعُلَا وَكَدَا عَلَى أَصْحَابِهِ
وَاجْعَلْ وَسِيْلَتَكَ الَّتِي يَسْمُو عُلَا = هَذَا لِضَرِيحٍ بِمَا عَلَى أَضْرَابِهِ
ذَاكَ التَّجَانِي أَحْمَدَ قُطْبُ الْهُدَى = بَحْرُ النَّدَى لِلْوَفْدِ مِنْ طُلَابِهِ
وَتَجَاهَهُ فَاسْأَلْ تَنَلْ مَا تَبْتَغِي = إِذْ جِئْتَ بَابَ الْفَضْلِ مِنْ أَبْوَابِهِ
وَاجْعَلْ عُوقَكَ مَا حَيَّيْتَ مُورَخًا = حُسْنَ التَّعْبُدِ فِي مُنَى مِحْرَابِهِ

للشيخ الفاطمي الصقلي

وفي سنة (1316هـ-1898م) زيد صحن وسقاية من جهة الغرب. زيد باب ثان على يسار الصحن مواز للباب الأول. ونقش وكتابة عدة أبيات شعرية على قنطرة الباب وبدائرتة. كما تزينت واجهة الساقية بأنواع الزليج البديع والخشب الرفيع الملون، رسمت دائرتين في جدار الساقية رصعنا بشكل مثير للدهشة وكتبت عليهما بيتين من الشعر، ما تزال جدار الساقية بزخرفتها وكتابتها شاهدة على الفن الإسلامي الأصيل. كتابة أربعة أبيات شعرية في ساريتي الساقية على الزليج بيتين في كل سارية زيادة باب ثان على يسار الصحن مواز للباب الأول.

وفي سنة (1322هـ-1904م) زخرف الجدار المقابل للضريح والمحادي لباب الصومعة بالزليج والنقش على الجبس وتم تزيينه بنقش أسماء شريفة وأبيات شعرية رفيعة وأشكال

عجبية على الجبس تم تنميق نصفه الأسفل بأنواع الزليج الرفيع على شكل بديع. في سنة (1324هـ-1906م) جعلت مزاراة بين الباب الأول والأصلي والباب الثاني زخرفت بأنواع الزليج والنقش على الجبس. وأحيطت من الخارج بعدة أبيات شعرية منقوشة على الجبس نقش خمسة أبيات على الجبس من داخلها كتابة بيتين على الزليج في مدخل الباب القديم نقش ثلاثة أبيات بالجبس على يسار الباب الأول. وفي سنة(1340هـ-1921م) توسعة الزاوية من جهة اليمين من الضريح إلى الدرب المسمى بدرب جنيارة عرضا ومن جدار القبلة إلى الصحن الموجود الآن طولا جعل صحن جديد وكبير بدل الصحن القديم الذي زيد في صلب الزاوية جعل سقايتين في الصحن الجديد بدل السقاية القديمة.

جعل دورة للمياه مشتملة على عدة بيوت للماء خلف الصحن وعزلها عنه بجدار وجعل باب خاص لها عن يمين الصحن وجعل ساقيتين داخلها مخصصتين للوضوء.

ج-تحركات الشيخ:

لم يركن الشيخ للراحة منذ وطئت قدماه فاس، ساعيا إلى نشر تعاليم طريقته الجديدة ولم تقتصر جولاته إلى فاس بل تعدت ذلك إلى المناطق المجاورة لها، كما كان يعين المقدمين ويراقب أعمالهم، ويحضر حلقات الذكر ويبعث برسائله إلى كل المناطق داعيا سكانها إلى طريقته الجديدة، وحرصا منه على نشر طريقته نشرها سليما، فنجده يعطي

توجيهات، ويشرف بنفسه للرد على تساؤلات المريدين، ونجد ذلك بالتفصيل في الرسائل التي يبعثها إلى سائليه شارحا كل الجوانب التي يستعصى فهمها في تعاليم الطريقة¹.

لم يقطع الشيخ اتصاله بأتباعه في الجزائر، فالوفود التي تتردد عليه من الجزائر لم تنقطع عنه بعد مغادرته أبا سمغون، وقد واصل أتباعه المسيرة فانتشرت الزوايا التيجانية في كل ربوع الجزائر، وقد ذاع صيته في بلدان إفريقيا جنوب الصحراء كالسنغال، موريتانيا، السودان، مصر وتونس...

عرفت الطريقة التيجانية انتشارا قياسيا في عهده وقد ساعد على نشرها بطريقة سريعة الوفود التي كانت ترجع سواء كانوا مقدمين للطريقة بإذن من الشيخ أو مريدين عادوا إلى ديارهم والذين قاموا بنشر الطريقة بإخلاص وإيمان شديدين.

د- وفاة الشيخ:

توفي الشيخ أحمد التيجاني يوم الخميس 10 شوال 1230 هـ الموافق لـ 19 سبتمبر 1815 م وعمره يناهز الثمانين عاما، حيث بقي في فاس 17 سنة أي من 1798 م إلى 1815 م منذ وهي نفس المدة التي قضاها في الجزائر أي من 1782 م إلى 1798 م.

¹ ورد في كتاب جوهر المعاني الكثير من هذه الرسائل سواء الصادرة منه أو الواردة إليه.

سأل الشيخ الله أن يعمر حتى الثمانين سنة¹ وكان له ذلك. وقد عزم الشيخ على الهجرة إلى الشام للاستيطان بها لما لها من فضل وتأهب للسفر ولم يبق له إلا الخروج عدل عن قراره لما رأى من شدة حزن أصحابه وشدة إلحاحهم للبقاء في فاس.

بعدها بأيام شعر الشيخ بالحرارة ترتفع في جسده فأدرك أن الرحيل من الدنيا قد حان، فجمع أقرب أصحابه وهم الحاج على التماسيني ومحمود التونسي والمقدم الطاهر بن عبد الصادق القماري السوفي وأحمد بن سليمان التغزوتي السوفي وآخرون. وقد كلف الحاج علي التماسيني بالخلافة، وأوصاه بترحيل أولاده وأهله إلى بلدهم عين ماضي وأمره هو ومحمود التونسي بالخروج مسرعين إلى قرينتين قرب فاس².

2- دور المقدمين:

عين الشيخ أحمد التيجاني مقدمين في مناطق عديدة سواء داخل الجزائر أو خارجها وكان اختياره بعناية دقيقة لأنه كان يدرك أن نشر الطريقة لا يتم إلا بتضافر جهود الجميع خاصة المخلصين منهم، وقد عرفوا هؤلاء المقدمين بالمتابرة والاجتهاد في نشر تعاليم الطريقة ونجد منهم:

¹ في حوالي 1805 م شاع خبر وفاة الشيخ في وادي سوف فأجابهم محمود التونسي فأجابهم جوابا لا يزال مخطوطه موجود إلى اليوم في خزنة الزاوية التيجانية بواد سوف وهي مذكورة في كتاب الشيخ سكيرج، كشف الحجاب، المرجع السابق، ص402.

² محمد العربي السائح، المرجع السابق، ص86.

-الشيخ بوحسون الماضي، عينه مقدما.

-محمد بن قدور العبدلاوي وابنه أحمد استطاعا أن يدخلتا عشيرتهما في الطريقة التجانية.

-الشيخ عبد القادر بن عبد الرحمن بن سليمان بن قدور كان يتردد على الشيخ وهو في فاس

قدم بدور كبير في غياب الشيخ أحمد التيجاني بعين ماضي.

-محمد الهاشمي السرخيني ثم النوي بن عطاء الله، والشيخ محمد سلامة وفي الأخير الحاج

على التماسيني خليفة الشيخ بعد وفاته.

-المقدم الحاج أحمد الزاوي الشلالي البوشيخي، وأحمد بن قدور الشلالي وأحمد بن سعد

الشلالي وخليفة بن كربوب، هؤلاء المقدمون كانوا ينشطون في منطقة القصر الأبيض

بنواحي بوسمغون.

أمثال هؤلاء كثيرون أخذوا على عاتقهم مهمة نشر تعاليم الطريقة، كما نجد مجموعة

من الشيوخ الذين أمرهم الشيخ أحمد التيجاني أن يجوبوا المناطق التي لم تصل إليها الطريقة

التيجانية، فالشيخ محمد الغالي بوطالب تخرج على يديه ثلة من الشيوخ أمثال أحمد البناني

وأحمد آكنسوس والحاج عمر الفتوي¹...

¹ الحاج عمر الفتوي هو من أخذ على عاتقه نشر الطريقة التيجانية في إفريقيا جنوب الصحراء، وقد أسس إمبراطورية على

الطريقة التيجانية.

استمرت الطريقة في الانتشار بعد وفاته فجهود الشيخ لم تذهب سُدا وقد نتج عن ذلك تأسيس العديد من الزوايا سواء كان داخل الوطن أو خارجه، وخير دليل على ذلك نجد الزاوية التماسينية وكذا فروعها في المشرق الجزائري والهقار وتونس وضواحيها وزاوية قمار وواد سوف. وقد اكتسحت الطريقة التيجانية كل الطرق كما نجحت في ضم إطارات سامية حتى صارت في مقدمة الطرق الصوفية في عدد المريدين والزوايا. ولم ينقض نصف قرن من تأسيسها حتى اجتاحت معظم الدول العربية، لكن انتشارها الكبير كان في افريقيا جنوب الصحراء.

رابعا: التيجانية والسلطة(صراع هيمنة أم وجود)

أصبح العثمانيون في الجزائر متخوفون من الطرق الصوفية وشيوخها بعد الثورات التي قادتها الطرق الصوفية كثورة الدرقاوة في الشرق والغرب وحتى تلك الطرق التي وقفت إلى جنبها في كل الأوقات، فنجدهم يتقصون أخبارها ويتبعون خطاهم وحركاتهم. لم يسلم أحمد التيجاني منهم فقد ضيق عليه الخناق فلم يجد سبيلا إلا الارتحال إلى المغرب الأقصى.

عرف الشيخ التيجاني مضايقات من طرف بعض الحكام الأتراك بالجزائر وقد انزعج كثيرا لهذا التصرف وقد بقي الشيخ ساخطا على طغيان الأتراك وظلمهم طول حياته¹، ويقال

¹ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص512.

أنه في أحد الأيام أحد تجار فاس أتى بعسكر معه من الأتراك المتواجدين في الجزائر غضب كثيرا¹.

خاتمة:

نستنتج مما سبق ما يلي:

- منذ أن رأى أحمد التيجاني تلك الرؤيا وهو يبحث عن القطبانية فكانت تلك الرؤيا بمثابة وعد سيتحقق مستقبلا.

- حرص أحمد التيجاني على أن تكون طريقته الجديدة مستقلة عن باقي الطرق الأخرى وذلك بإلغاء كل ما له صلة بها، فالمدد كان متصلا بسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ورأيته يقظة لا مناما.

- أراد أحمد التيجاني أن تكون التسمية لطريقته دلالات عديدة وذلك بهدف تخليصها من أية تبعية للطرق التي أخذ عنها.

- من الشروط للانضمام إلى الطريقة التيجانية هو إلغاء الانتساب إلى الطرق الأخرى وضع أحمد التيجاني هذا البند قاصدا منه انصهار كل الطرق الصوفية في طريقته الجديدة حتى تتوحد الطرق بدل الشتات والتمزق.

- حرص الشيخ أن تكون طريقته تمتاز بالسهولة والبساطة حتى تستقطب كل شرائح الناس دون إهمال للجانب الروحي والديني لأنها طريقة شكر.

¹الناصرى محمد، المصدر السابق، ص123.

القسم الثاني/الفصل الأول الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفة التحانية(الطريقة التحانية)

-وفق أحمد التيجاني في استقطاب أعداد كبيرة من الأتباع والذين بدورهم قاموا بنشرها

عبر بلاد المغرب ثم العالم.

-عرف الشيخ مضايقات عديدة من طرف الحكام العثمانيين الذين اضطروه للمغادرة إلى

فاس وإنشاء زاويته.

الفصل الثاني

مكونات الخطاب الصوفي في الطريقة

التيجانية

أولاً: خصوصيات الطريقة.

ثانياً: الخطاب الإصلاحى فى الطريقة التيجانية.

ثالثاً: الخطاب الصوفى فى المؤلفات التيجانية.

رابعاً: نشاط الطريقة التيجانية الاجتماعى

توطئة:

تقوم الطريقة التيجانية وكغيرها من الطرق الصوفية على أورد فهي تتوفر على كل المقومات التي تتكون منها الزوايا كالنظم التربوية السلوكية والخدمات الاجتماعية التي توفرها للزائرين وطالبي العلم¹، كما تتفرد ببعض الخصوصيات مما يجعلها محل انتقادات ومعارضات وهناك من يذهب إلى كونها طائفة وهابية في المغرب، لكن الملاحظ أن الطريقة تتمتع بإنتاج هائل ومن هذه الخصوصيات نجد:

أولاً: خصوصيات الطريقة

1-الخصوصية النسبية:

التجانيون أنفسهم مفتتعون بالنسب الشريف للشيخ التيجاني والذي ينحدر إلى النفس الزكية الذي ينتهي إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول وعلي بن أبي طالب وهو ثابت عند أجداده². رغم ذلك فهو لم يلتفت إليه فلم يقتنع حتى سأل الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما بقوله: "أنت ولدي حقا، وكررها ثلاثا. وقال: نسبك إلى الحسن بن علي

¹أنظر الفصل الأول من القسم الثاني.

² أبو العباس أحمد بن محمد ابن مختار بن أحمد بن محمد بن سالم بن أبي العيد بن سالم الملقب بالعلواني، بن أحمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن الجبار بن إسحاق بن علي بن زين العابدين بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه- بن فاطمة الزهراء - رضي الله عنها- بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.أنظر الفصل الثاني،ص

صحيح". أصبحت سيرته نموذجاً يحتذى به التيجانيون في مختلف سلوكه الصوفي التعبدى¹.

2-الخصوصية السلوكية الصوفية:

الطريقة التيجانية هي طريقة شكر كما يعتبرونها أتباعها والمنتسبين إليها والشكر أهم شيء في عبادة الله وحده وقد كان عليها الأنبياء والأتقياء من الصحابة وغيرهم وإلى جانب ذلك فالطريقة التيجانية تهتم بتربية سلوك الفرد على ثلاث مراحل:

- التربية بأذكار الطريقة التيجانية.

- السلوك أو التربية بالصلوات الخمس.

- التربية والسلوك بصلوة الفاتح لما أغلق.

تعتمد الطريقة على أجزاء متكاملة تعود لجانبها السلوكي وكما أوصى بها الشيخ التيجاني وهي الالتزام بالدين وإتباع الجماعة وتلاوة الأحزاب والأوراد والوظائف ... وهذا من أصول تعاليم التيجانية²، وقد خصصوا لذلك أوقاتاً معلومة وأماكن خاصة يرتقي من خلالها

¹أنظر إلى أخلاقه في الفصل الأول من القسم الثاني.

² محي الدين الطعمي، روضة المشتاقين لحكايات الصوفية وأحوال الصالحين، ط1، دار الروضة، القاهرة-2006م، ص59.

سلوك المرید في مدارج الطريق الصوفي والمقامات والأحوال، وبالتالي فإنهم يرون أن المقاصد في هذه الطريقة من أولها إلى آخرها، هو البحث على أسرار الحقيقة المحمدية¹.

3- الخصوصية العرفانية:

استنادا لقول أحد المتصوفة: "إن المعرفة بالله مآلها طريق إلى المعرفة بالنفس" ويقول أيضا: "من عرف نفسه فقد عرف ربه..."² وبالتالي فإن للتيجانيين رأيا في المعرفة والعلم، انطلاقا من آراء المحاسبي وغيره وفي هذا يرى أن المعرفة هي العلم بأربعة: الله والنفس والدنيا والشيطان، وقد تم حصرها في سبعة هي:

- العلم بأدوية علل النفوس. وهذه العلل ثلاث أمراض: مرض في الأقوال ومرض في الأفعال ومرض في الأحوال.

- علم الإنسان بنفسه فمن عرف نفسه، عرف ربه فعبيده.

- علم بالكمال والنقص في الوجود، حيث أن كمال الألوهية ظاهر بالشرائع لا يادلة العقول.

- العلم بخطاب الحق عبادة بالسنن الشرائع.

- علم التجلي، حيث يتم التطرق لعدد مراتب علم العقل الأول الذي هو أول ما خلق الله.

¹ الحكيم سعاد، المعجم الصوفي، ط1، د الندرة للطباعة والنشر، بيروت-1981م، ص ص(347-352).

² يسند هذا القول للرسول صلى الله عليه وسلم لكن الحديث موضوع وهو من أقوال يحيى بن معاذ الرازي.

-علم الخيال وعالمه المتصل والمفصل، وهو ركن عظيم من أركان المعرفة.

-علم الرؤيا وضمنه العلم بالأسماء الإلهية وهنا يرون أن "العلوم كلها منشأها النبوة..."

أ-الختم¹:

يعتبر الشيخ أحمد التيجاني خاتم الشيوخ والأولياء²، والتيجانية بذلك هي خاتمة الطرق الصوفية في العالم أسره. وبالتالي فإنهم يتأسون بالرسول صلى الله عليه وسلم فهو خاتم الأنبياء فالشيخ أحمد التيجاني خاتم الأولياء، وكما أن الرسالة المحمدية هي خاتمة الرسائل السماوية فالتيجانية هي خاتمة الطرق الصوفية وبما أن الرسول صلى الله عليه وسلم سابق في الأزل على سابق الأنبياء فالتيجاني سابق -عندهم- في الأزل عن سائر الشيوخ والأولياء.

¹ الختم في "اللغة هو بلوغ آخر الشيء، يقال ختمت العمل، وختم القارئ السورة، هو الطبع على الشيء لأن الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره" وقد ورد الفعل ختم في القرآن في قوله تعالى "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة، ولهم عذاب عظيم" (سورة البقرة الآية...). أما عند الصوفية فالختم هو الحد والنهاية، ومن حيث أن الختم يجمع كل الصفات المنفرقة في النوع الذي يختمه ... وختم الاولياء أو نقول ختم الولاية من دون تحديد إذا كانت الولاية العامة أو الخاصة، فالولاية العامة عند بن عربي وهي تشمل ولاية الرسل والأنبياء وختم الولاية العامة هو رسول رفعه الله إليه ينزله في آخر الزمان وليا يحكم بشرح محمد صلى الله عليه وسلم، ويختم بظهوره ولاية الرسل والأنبياء جميعا فلا يظهر فلا يظهر ولي بعده وهو سيدنا عيسى عليه السلام، أما ختم الولاية الخاصة المحمدية فهو رجل عربي، من الأفراد على لقب محمد صلى الله عليه وسلم جمع علم كل ولي محمدي، واختتم التي تحصل إرثا محمديا للأولياء (المحمديين). أنظر الحكيم سعاد، المصدر السابق، ص 377.

²العربي بن السايح، المصدر السابق، ص82.

ب- الكتم¹:

يعتقد التيجانيون أن ولاية شيخهم متقدمة على سائر الأولياء الذين سبقوه وبالتالي فأسرارها مخفية على سائر الأحياء والكائنات باستثناء الرسول صلى الله عليه وسلم وعللهم في ذلك قول الشيخ أحمد التيجاني: "...أن سيد الوجود أخبرني أنا القطب المكتوم منه إلي مشافهة يقظة لا مناما، فقيل له ما معنى المكتوم؟ فقال: هو الذي كتّمه الله عن جميع خلقه إلا سيد الوجود فإنه علم به وبحاله..."²

ج- الفيض³:

يعتقد التيجانيون أن الوساطة البشرية أي السند الصوفي لا يحتاج إليه شيخهم لأن الحقائق العلوية والأسرار اللدنية تفيض عن شيخهم وذلك من الله تعالى بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم، بعد أن تلقى العلم على يد عدد كبير من المشايخ والعلماء علوم أصول الدين والمذاهب والتصوف والفقّه وغيرها...

¹ الكتم لغة: كَتَمَ كُتْمًا وكتماناً الشيء: أخفاه، أما عند المتصوفة فهو ما يكتتم عن الغير مما لا يعلمه إلا رب العالمين أما عند التيجانيين فجاء في كتاب الرماح: أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأني أنا القطب المكتوم منه إلي مشافهة يقظة لا منامًا. فقيل له: ما معنى المكتوم؟ فقال هو الذي كتّمه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبیین إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم. أنظر عمر الفتوي، المصدر السابق، ص 77.

³ الفيض لغة: فيوض أفاض يدل على الكثرة فيقال رجل فيض أي كثير المعروف، ويقال: "اعطاه غيضا من فيض"

كانت غاية الشيخ أحمد التيجاني -وكغيره من المتصوفة- يميل إلى الكشف والذوق¹، كما كانت غايته الكبرى هي الاقتراب من الكمال الأخلاقي، أما الخوض في الميتافيزيقا أدركوا أنه يغضب الفقهاء فحاولوا تجنبه، وباعتمادهم على آراء وتوجيهات شيخهم أنتجوا لنا مذهباً قائماً على الفكر والنظر والتصوير إلى مجموعة القضايا التي تهم المجتمع والإنسانية ككل وكذا الكون المحيط بنا ومصير الإنسان.

ثانياً: الخطاب الاصلاحى في الطريقة التيجانية.

أراد الشيخ أحمد التيجاني أن تتصهر كل الطرق الصوفية في طريقة واحدة أي في طريقته التيجانية وذلك لما رآه من شتات للمسلمين وأن الطرق الصوفية اعتلتها بدع وخرافات وفرقة. وبعد تجوال في كثير من البلدان الاسلامية والنهل من عدة طرق صوفية وتحضير النفوس لتكوين الطريقة الجديدة. فقد ذهب العديد من الباحثين خاصة الأجانب منهم إلى هذا الطرح ومنهم سيميان وألكسندر بوبوفيتش وفاينشتاين ورأيهما فبذلك أن الشيخ كان يحلم التأسيس لطريقة تكون ذات شهرة واسعة، وكان متيقناً أنه لن يتحقق له ذلك إلا بربط سنده بالرسول صلى الله عليه وسلم وتمثل ذلك في رؤية له يقظة لا مناما والتحقق من نسبه الشريف في قوله: "أنت ولدي حقا، أنت ولدي حقا، أنت ولدي حقا"، مكرراً إياها ثلاث مرات

¹ نعى الكشف والذوق عند الصوفية: الكشف أو المكاشفة ومعناه. أما الذوق: لغة هو اختبار الشيء من جهة تطعم، ثم يشتق منه مجاز. أما في القرآن فقد وردت الكلمة في عدة مواقع.

وفي قوله: " إن نسبك إلى الحسن بن علي صحيح" وختم الولاية حتى لا كون بعده ولاية وطرق أخرى¹.

ألم الشيخ بأصول التصوف من خلال الطرق الصوفية التي نهل منها واتصاله بالعديد من شيوخ الصوفية ومقدميها حين ترحاله عبر أقطار العالم الاسلامي آخذا عنهم الأفكار والأوراد ومنها من انخرط فيها لمدة، شجعه العديد منهم للمضي في طريقه والارتقاء إلى أعلى المراتب، كما أظهر الشيخ حماسته الشديدة لخوض غمار التجربة الصوفية مما جعله لا يكتفي بطريقة واحدة وكذا استيعاب العديد من المفاهيم وأنساقها.

إذا تأملنا عن قرب الخطاب الصوفي التيجاني نجده مجموعة من الخطابات المركبة كما نجد في طياته خطابات عديدة تجمع كل المناهل التي نهل منها وكأننا أمام عملية توحيدية تجمع عدة مشارب ومثال ذلك:

- يحوي كتاب "جوهر المعاني" على أجزاء من كتاب "المقاصد الأحمد".
- صلاة "الفتاح لما أغلق" ليست من تأليف الشيخ وإنما هي من محمد البكري المصري ويقول عنها الشيخ: "قلما تأملت هذه الصلاة، وجدتها لا تزنها عبادة جميع الإنس والجن والملائكة"².

¹ Alexandre Popovic et Gilles Veinstein, Les Voix d'Allah, Edition Marinoor, Nov-1995, p125

² عمر الفتوي، المصدر السابق، ص531.

- أما الصلاة على النبي المسماة "جوهر الكمال" تتسبب إلى محمد بن العربي التازي، الذين يعتقدون فيه أنه واسطة بينه وبين الرسول صلى الله علي وسلم قبل الفتح.
- ومن أذكار التيجانية الحرز اليماني وهو نفسه الحزب السيفي للشيخ عبد القادر الجيلاني وحزب البحر من إماء النبي على أبي الحسن الشاذلي¹.

أدى انصهار المعارف الصوفية في شخصية الشيخ أحمد التيجاني إلى إنتاج خطاب جمع استقطب كثيرا من الناس واستهوت قلوبهم للانخراط في هذه الطريقة الجديدة وقد أثبتت هذه الطريقة قدرتها على الانتشار السريع في وقت قصير كما نجحت في ضم إليها إطارات سامية بما فيها السلطان مولاي سليمان بن عبد الله وهذا للمجهود الذي قام به الشيخ وأتباعه وما احتوته من إصلاح للطريقة.

عمد الشيخ إلى المنهج التربوي لتصحيح الأفكار والمعتقدات المنحرفة والتي التصقت بالتصوف الاسلامي في مقولته المشهورة: "إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فخذوه، وما لم يوافق فاطرحوه" ومن هنا يلزم الشيخ أتباعه الالتزام بالكتاب والسنة حتى فيما نسب إليه من أقوال أو تأليف. وقد حرص أحمد التيجاني على انتقاء مقدميه ممن توسم فيهم الثقافة الواسعة والايامن الشديد بالطريقة الجديدة فبفضلهم ازدهر النشاط التربوي من

¹علي حرازم، المصدر السابق، ص75.

تحفيظ للقرآن وتدرّيس للعلوم الشرعية ومختلف العلوم الدنيوية حتى صارت الزوايا التجانية قبلة للمتعلّمين ومصدر إشعاع تعليمي آنذاك.

عرف الشيخ أحمد التيجاني بحرصه الشديد على تطبيق تعاليم الطريقة والالتزام بوصاياه التي أوصى بها أتباعه تصل إلى أربعة وعشرين وصية كلها تنشر في النفوس الأخلاق الفاضلة الرفيعة.

اطع الشيخ أحمد التيجاني من خلال تجواله على المناهج التربوية لمن سبقوه من طرق صوفية أخذ منها الأوراد وعلوم التصوف وأضاف إليها ما يراه صالحا ومناسبا، فكان يرى الشيخ أنه لا يمكن تحقيق المعرفة بالله إلا بمعالجة الأمراض النفسية بمنهاج تربوي محكم ونراه يقسمها إلى ثلاث أقسام.

1- الأمراض الروحية:

أ- مرض الأقوال:

هو ناتج عن عدم مراقبة الانسان لما يصدر منه من أقوال فبذلك يطلق العنان للسانه في حرية القول فتكثر زلاته وزلقاته فقد نبهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كثيرا من الكلمات بقولها الانسان ولا يعيرها أهمية تهلكه وتكبه في نار جهنم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن العبد ليتكلم بكلمة ما يتبين فيها يزل

بها إلى النار أبع ما بين المشرق والمغرب»¹. ويقال أن الشيخ كان ينهى أتباعه عن كثرة الكلام إلا في الذكر ويحذرهم من سوء عاقبته وخاصة الغيبة والنميمة والقذف وإفشاء الأسرار وتحبيب لهم قول الصدق والكلام الطيب وتعويد اللسان على الذكر مستندا إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ب-مرض الأفعال:

ويكون سببه الرياء إذ أن أفعال الانسان قد تكون حسنة أمام الناس وإذا انفرد نقصت أو انعدمت ويرى الشيخ أنها من أصعب الأمراض النفسية التي لا علاج لها إلا باستحضار قوله تعالى: « أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ »² وقوله تعالى: « يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ »³ والآيات والأحاديث كثيرة التي نجد فيها هذه المعاني التي تحت المرید على وضع خشية الله نصب عينيه في أقواله وأفعاله حتى يتحسن فعله ويكون مستقيما مبتغيا رضى الله ووجهه تعالى.

ج-أمراض الأحوال:

تعني التظاهر بأخلاق الصالحين ومصاحبتهم والمكنون غير ذلك لكن الأجدر في صحبة الصالحين محبتهم والتخلق بأخلاقهم والافتداء بسيرتهم العطرة حتى يرث أحوالهم فإذا

¹ حديث متفق عليه (رواه الطبراني ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، ورواه الترمذي).

² سورة العلق الآية 14.

³ سورة الأنعام الآية 03.

بلغ المرید عند الشيخ التيجاني هذه المراتب من كبح النفس وردعها وعدم تركها لهواها ودعوته إلى تعلم ما يجب فعله لتحقيق مقامات الدين من إسلام وإيمان وإحسان.

فمقام الإسلام ينقسم إلى ثلاث أقسام - حسب الشيخ - التوبة والاستقامة والتقوى فالتوبة وهي الرجوع عن ما قد يقترفه الإنسان من معاصي وارتكاب المحرمات وتأتي بعد الندم والعزم على عدم العودة إليها.

أما الاستقامة فعند الشيخ فهي في المنزلة الثانية بعد التوبة وهي قسمان عامة وتعني اعتدال السيرة على منهج السنة الشريفة وخاصة تعني السير في منهج المشاهدة وهذا المقام عزيز فصاحبه يعيش مع مولاه لا يأبه لمغريات الدنيا.

أما التقوى يتم بلوغها بالحذر والاحتراز من الوقوع في المخالفات وتجنب كل أنواع المعاصي الظاهرة والباطنة ومسبباتها من الشهوات والفتن وغيرها هذا من جهة ومن جهة أخرى مواصلة الطاعات لأنها تقي من الوقوع في الزلات.

2- المنهاج التربوي عند الشيخ أحمد التيجاني:

يقسمها الشيخ إلى ثلاث طرق هي:

أ- التربية بأذكار الطريقة:

أوراد الطريقة التيجانية قسمان أوراد لازمة وأخرى غير لازمة أي اختيارية فلازمة تجمع بين الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتوحيد بقول "لا إله إلا الله" وهي مما أمر الله بمداومتها على اللسان كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «أكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا¹» وفي حديث آخر: «أحبَّ الأعمالِ إلى اللَّهِ أدومُها وإنَّ قلَّ²».

فالتمسك بالأذكار والتربية بها شيء جوهري فاللفظ باللسان والمعنى بالقلب، لأن للقلب انشغالات كثيرة تأتيه من الحواس خاصة السمع وبالتالي دوام الذكر يجعل القلب ينصاع له وتكون بداية لصلاح الأحوال، ويحث الشيخ التيجاني مردييه إضافة إلى ذلك التمسك بالكتاب والسنة النبوية لأن الأذكار مستقاة منها.

فالذكر يرطب اللسان ويحرك العقل ليتدبر في معانيه وتدبر المعاني يحرك النفس للاتصاف بما يمليه عليها الذكر وبالتالي تطهر، ومن هنا يتبين لنا فائدة الذكر فهو يوصل صاحبه إلى معرفة الله تعالى.

ب-التربية بالصلوات الخمس:

¹ رواه أبوداود.

² رواه البخاري.

المعروف أن الصلاة عماد الدين وهذا ما جاء في كثير من آيات القرآن التي تحت على المحافظة عليها وهي تعد تربية للنفس كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ائْتِ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ¹ ﴾ وعن أبي العالية² في تفسيره لهذه الآية قال أن الصلاة فيها ثلاث خصال والصلاة التي لا تحتوي على هذه الخصال فليست بصلاة، فالإخلاص يأمره بالمعروف والخشية تنهاه عن المنكر وذكر الله والقرآن يأمره وبينها.

حرس الشيخ أحمد التيجاني على حث مريديه بالمحافظة على صلاة الجماعة وأدائها في وقتها على قدر المستطاع كما يشدد الشيخ على من لا يطمئن في أدائها ومن لا يخشع فيها وقد جعل كل ذلك شرطاً من شروط التمسك بالطريقة.

ج-التربية بصلاة الفاتح وجوهر الكمال:

يرى التيجانيون في هذه صيغة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم خصوصية خص بها الله الشيخ أحمد التيجاني وخصوصية هذه الصلاة أمر إلهي لا يستوعبه العقل الانساني فيرون أن قراءتها مرة واحدة يعادل ثوابها أمة مجتمعة على قراءة

¹ سورة العنكبوت الآية 45.

² هو رفيع بن مهران الرياحي البصري المكنى بأبو العالية وهو من الطبقة الثانية من رواة الأحاديث النبوية توفي حوالي 90 للهجرة.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، كما أن تلاوتها مقرونة مع "يا لطيف" تكفيك لتقضي مآربك¹.

أما جوهر الكمال فهي من إملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على الشيخ أحمد التيجاني يقظة لا مناما وأن المرة الواحدة منها تعادل العالم ثلاث مرات ومن لازمها كل يوم سبع مرات يحبه الرسول صلى الله عليه وسلم محبة خاصة ومن داوم تلاوتها سبعا عند النوم يرى النبي صلى الله عليه وسلم مع شرط الوضوء والطهارة².

ثالثا: الخطاب الصوفي في المؤلفات التيجانية.

1-النشاط الثقافي والديني:

لم يهتم الحكام العثمانيون بالجانب الثقافي والديني على حد سواء بل تركت المهمة لشيوخ الزوايا ورؤساء القبائل وحق التصرف فيه وذلك راجع لعوامل عديدة وقد ذكرناها في الفصل التمهيدي لأن الخطاب الذي جاء به العثمانيون مغاير لخطاب صاحب الأرض حتى أن العثمانيين كانوا رجال حرب.

أ-النشاط الثقافي:

¹ محمد بن عبد الله التيجاني، الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المرید التيجاني، مكتبة القاهرة ، القاهرة- دت، ص70.

² نفسه.

قامت الزوايا التجانية بخدمات جائلة في المجال الثقافي فقد ساهم شيوخها بمحاربة الجهل والامية واكتسبت سمعة طيبة في أوساط المجتمع فزيادة على كونها منطلقا لنشر تعاليم الطريقة قام شيوخها بممارسة التربية وتعليم الصغار على الخصوص.

ب- التربية والتعليم:

خصت زوايا التجانية وكباقي الزوايا في الطرق الأخرى غرنا لتحفيظ القرآن الكريم وتدرّس اللغة العربية حتى يتمكن المتعلم من التعرف والإطلاع على شتى العلوم الدنيوية والدينية، وأهم ما عرف به شيوخ الطريقة التجانية كونهم من المثقفين الأمر الذي زاد في النشاط التربوي فقاموا بالتربية والتوجيه والتعليم والإرشاد وقد حرص الشيخ أحمد التجاني على ذلك فوجد ولده محمد الصغير برع في شتى العلوم كالفقه والتفسير والحديث والنحو وقد ساهم في التدريس بعين ماضي¹.

لقد أثرى علماء التجانية مكاتب الزوايا بتأليف عديدة في مختلف المجالات العلمية والتخصصات لاسيما كتب التصوف وترجمات للشيخ وسيرته التي زخرت المكتبات بهم ومنهم مايلي:

¹ ابراهيم بن محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلالي بن إبراهيم العوامر، ط الجزائر

عاصمة الثقافة العربية، دارالنشر الثالثة، الجزائر-2007م، ص 86.

ج- أهم مؤلفات الطريقة التيجانية:

-مؤلفات الشيخ أحمد التيجاني:

لم يترك الشيخ مؤلفات سوى الرسائل كان يرسلها لأصحابه في المغرب الأقصى والجزائر وتونس و كذلك كناش خاص.

الكناش الخاص: لا يوجد إلا نسختان من هذا الكناش واحدة في عين ماضي بخط الشيخ نفسه وخليفته الحاج على التماسيني وصاحبه محمد بن العربي الدمراوي والآخر بخط الحاج على التماسيني في تماسين لا يطلع على هاتين النسختين إلا من تولى المشيخة في كل من الزاويتين¹.

الرسائل:رسائل الشيخ لأصحابه كثيرة نجدها في الزوايا كزاوية فاس وعين ماضي وتماسين ووادي سوف وتغزوت² وفي الخزائن الخاصة لبعض مقدمي الطريقة وسنورد بعض الرسائل في الملاحق.

¹ الحاج أحمد سكيرج، المرجع السابق، ص202.

² تغزوت قرية تقع بالناحية الغربية لواد سوف وهي تبعد عن بسكرة بحوالي 12 كيلومتر.

شرح همزية البوصيري: قام الشيخ بإملائها على تلميذه على حرازم أو ما فهمه من شرحه أثناء سماعه لدروس الشيخ وهو كتاب جاء باسم "الارشادات الربانية والفتحات الإلهية في شرح الهمزية".

الأجوبة عن الأسئلة في التصوف أو المسائل الفقهية وغيرها جمع بعضها في كتاب "جوهر المعاني" لعلي حرازم وفي كتاب "الجامع" لمحمد بن مشري كما ترك الشيخ أحزابا وأورادا وابتهالات نجدها في مؤلفات التيجانيين¹.

وقد قام البعض بدس كتب وإحاقها بالشيخ أحمد التيجاني لكن الشيخ سكيرج خصص فصلا لبيان الكتب المدسوسة والمنسوبة كذبا وافتراء على الشيخ². لم يهتم الشيخ أحمد التيجاني بالتأليف بل كان يجيب السائلين عن أسئلتهم فوقته لا يسمح لانشغاله بالذكر ونشر الطريقة.

وهناك من يذهب إلى وجود مدرستين في التصوف فالمدرسة الأولى اهتمت بتخريج الرجال بعد تكوينهم، فلا وقت لديهم للكتابة فهم يكتفون بالقرآن والسنة، ومن أصحاب هذه المدرسة الحسن البصري. أما المدرسة الثانية فقد اعتمدت على التأليف كوسيلة لشرح أفكارها

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 131.

² أحمد سكيرج، جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التيجاني، دار الطباعة الحديثة المغرب-1974م، ص 50.

ومن رواد هذه المدرسة نجد الحارث المحاسبي وعبد الكريم القشيري... أما الشيخ أحمد التيجاني فمن المنتمين للمدرسة الأولى¹.

-مؤلفات التيجانيين:

جوهر المعاني: يعتبر كتاب "جوهر المعاني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني" لصاحبه علي حرازم برادة الفاسي وهو من المقربين للشيخ التيجاني وخاصته، هذا الكتاب أثار جدلا بين أوساط الباحثين لاسيما التيجانيين منهم، وذلك إن كان ما كتب فيه حقا من ألفاظ الشيخ التيجاني وهل النسخه هي متطابقة أم لا، والواضح أن لا يستطيع أحد الجزم في ذلك أن ما هو مكتوب للشيخ حقا لأن الشيخ لم يكتبه بخط يده ولم يثبت أنه راجعه وصححه حتى أقوال مشايخ التيجانية لم يجزموا على الشيء:

القول الأول: محمد بن مشري صاحب علي حرازم وتلميذ الشيخ، لم يجزم بأن جوهر المعاني لعلي حرازم وإنما هي منسوبة إليه².

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص129.

² محمد بن مشري، الجامع لدرر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، ت محمد راضي كنون، ج1، دار الأمان للنشر

والتوزيع، الرباط-2001م، ص31.

القول الثاني: لقد ذكر الشيخ العربي بن السايح أن الشيخ علي حرازم لا يحوز على أدوات التأليف رغم أنه كان ضليعا في علم التصوف¹.

القول الثالث: يذكر الشيخ إبراهيم الرياحي عن جواهر المعاني أن ما فيه ليس ألفاظ الشيخ عينها، فأغلب ما روي فيه بالمعنى، فالشيخ لم يكتب بخط يده، والشيخ علي حرازم لم يكن دقيقا في النقل وضبط العبارات، لكنه كان ينقل كل ما يسمعه من الشيخ هو و محمد بن المشري حسب فهمهم، وأن اللفظ مضطرب، وفيه خلل لغوي دليل على أن الألفاظ ليست من الشيخ أحمد التيجاني.

الجامع: جاء الكتاب بالعنوان التالي (الجامع لدرر العلوم الفائضة من بحار القطب المکتوم) للعلامة الشيخ محمد بن مشري السائحي الحسني، والكتاب من جزئين وهو عبارة عن خلاصة ما جاء في جوهر المعاني مع إضافات وملاحظات، كما قيل: "كل ما ألف في الطريقة التيجانية من مؤلفات فهي عالية على كتابي الجوهر والجامع"²

-أشهر علماء الطريقة التيجانية ببلاد المغرب:

الشيخ إبراهيم الرياحي:

¹ العربي بن سايح، المرجع السابق، ص115.

² محمد بن مشري ، المرجع السابق، ص41

هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر بن الفقيه ابراهيم الطرابلسي يقال أن نسبه يرتفع إلى آل البيت، ولد بتستور سنة(1180هـ-1765م) حفظ القرآن ثم انتقل إلى تونس ليأخذ من علمائها كان متفوقا في جميع علوم عصره، امتهن التدريس، أخذ الطريقة الشاذلية عن شيخه البشير الذي ينحدر من سلالة بن مشيش شيخ الشاذلي ولما التقى بعلي حرازم في تونس ألح عليه بالانخراط في الطريقة التيجانية وأقنعه بذلك فاستجاب.

اختاره محمود باشا حاكم تونس ليكون سفيرا إلى سلطان المغرب جراء المسغبة التي أصابت البلد وبعد اشارة من الشيخ صالح الكواش الذي اعتذر عن الذهاب، وتوجه الرياحي إلى فاس للقاء شيخه ثم إلى السلطان وكان ذلك عام 1803م.

تقلد مناصب عديدة بعد عودته من المغرب وأخذ إجازة من كبار علماءها في الافتاء كالشيخ محمد الطاهر بن الأمير السيلوي مفتي بلاد سلا المغربية، فأصبح رئيسا للفتوى فيعهد الباشا حسين باي كان ذلك سنة(1248هـ - 1833م)،أنابه الباشا مصطفى باي لأداء فريضة الحج سنة (1252هـ - 1837م)، وفي سنة (1255هـ - 1840م) قدمه المشير الأول أحمد باي لمنصب الإمامة الكبرى للجامع الأعظم بتونس.

لقب بسلطان العلماء اعترافا بسعة علمه وصار الناس يستفتونه في كل أنحاء تونس وجنوب الصحراء والشرق الجزائري. وكان معروفا بكثرة شعره وقد ألقى شعرا في خليفة

الطريقة التيجانية الشيخ علي التماسيني لما رجع من تونس مع المقدم التيجاني الكبير الطاهر بن عبد الصادق القماري ومن جملة ما قال:

إِذَا مَا وَضَعْتَ الْأَرْضُ فِي فُكِّ الْعَلَا وَنَزَلْتَ سُكَّانُ السَّمَاءِ بِحَبَالِ
وَسَقَتْ شَمَالَ الدَّارِ نَحْوَ يَمِينِهَا وَأَهَلَّتْ يَمِينُ فِي مَكَانِ الشَّمَالِ
وَطَوَّعَتْ مِنْ أَقْطَارِهَا كُلِّ جَانِبٍ وَبَيَّنَّتْ مِنْهَا مَا بَدَى بِجَمَالِ
فَأَنْتَ حَكِيمُ الْوَقْتِ صَاحِبُ سِرِّهِ فَدُونِكَ أَقْفَالٌ بُلْغُزِ مَقَالِ¹

وقد ساهم الشيخ مساهمة بالغة في نشر الطريقة التيجانية في تونس خاصة في أوساط العلماء الذين بدورهم أوصلوها إلى عامة الشعب² وقد بلغ عدد الزوايا إلى 24 زاوية موزعة

حسب الجدول التالي³:

¹ أحمد سكيح، رفع النقاب، ص 67.

² بلغ أتباع الطريقة التيجانية إلى غاية سنة 1925 م 16094 مريدا.

³ التليبي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)، منشورات كلية الأدب، نوبة- 1992م ، ص 40.

العدد	الزوايا
6	مدينة تونس
2	بنزرت- القيروان
1	قربالية- الكاف- مجاز الباب- سوق الأريعاء-مدنين
3	سوسة-توزر-قابس

ونجد نسبهم الكبير في كل من الكاف ،قيروان ،تال وتطاوين . وقد تخرج على يد الشيخ علماء من تونس والجزائر ،ومنهم الشيخ الحاج أحمد شريف الزهار نقيب أشرف الجزائر وصاحب كتاب "مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار" تحقيق أحمد توفيق المدني.

-الحاج على التماسيني ت(1260هـ-1844م)¹:

هو أبو الحسن الحاج علي بن الحاج عيسى التماسيني الشريف الحسني، يقال أنه من آل البيت ويرجع نسبه إلى الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلافه كانوا يقطنون ينبع بالحجاز¹.

¹ رسالة الحاج على التماسيني إلى أحد أصحابه بقمار أنظر الملحق رقم: الوثيقة السادسة.

وأول من انتقل من أجداده إلى شمال إفريقيا هو موسى بن يحيى الجد الرابع للشيخ فاستقر مدة في بجاية ثم إلى الجريد بجنوب تونس ثم انتقل إلى مقارين التي تبعد بحوالي اثنتا عشرة كلومترا عن تقرت بالجنوب الجزائري أما جده الحاج محمد انتقل إلى قرية تماسين وكان والده مشهورا ومعروفا بالورع والتقوى والصلاح، ولد الشيخ على التماسيني (1180هـ- 1765م) حيث نشأ في بيئة مليئة بالتقوى والورع وحفظ القرآن. فعرف بالتقوى والأخلاق الكريمة، كان في صحبة أحد الصالحين المدعوا أحمد بودرهم الحشاني، وفي أحد الأيام مرت جماعة من القماريين قاصدين عين ماضي للأخذ عن الشيخ أحمد التيجاني فدعاهم الشيخ وذبح لهم العنزة التي كان لا يملك غيرها ومنذ ذلك الحين تعرف على الطريقة التيجانية وشيخها اشتد شوق الشيخ علي التماسيني للقاء الشيخ التيجاني وفي سنة (1205هـ-1790م) وكعادة أهل قمار من كل سنة الذهاب لزيارة شيخهم إلى عين ماضي، استأذن المترجم له الشيخ للسفر فأذن له ومكث عنده عدة أشهر ثم عاد إلى تماسين داعيا أهلها إلى الطريقة التيجانية مكرسا ماله وجهده في نشرها وكان كلما يذهب إلى شيخه يقدمه للإمامة على الزاوية.

زادت أعداد المنتسبين إلى الطريقة في تماسين وضواحيها مما استدعى ذلك بناء زاوية وكان في تملacht سنة (1220هـ-1805م) وكان لاختيار هذا الموضوع أسبابه حيث أن

¹ كأجداد الملوك السعديين والسلطين العلويين من ينبع.

الشيخ غضب لما قتلت ملك تماسين إمام البلدة لرفضه فتوى تخدمها وقال: " لا أعيش وسط قوم لا ينهاون عن المنكر".

قبيل وفاة الشيخ أحمد التيجاني عينه كخليفة أول للطريقة التجانية في حضور ثلة من أصحابه وأوصاه بنقل أولاده إلى عين ماضي كما سبق الذكر وبعد تنفيذ الوصية أصبحت القرية -عين ماضي وتماسين- قبلة للزوار من كل صوب وحذب جاء في كتاب "بغية المستفيد" لصاحبه العربي بن سايح أن أحد الرجال قال: " لما نزلت بتماسين وجدت أكثر من مئتي رجل جاؤوا من آفاق بعيدة لزيارة الحاج طالبين منه التقديم في الطريقة نظرا لكثرة طلب الانخراط فيها ببلادهم"¹.

-الشيخ علي حرازم ت(1217هـ-1808م):

أبو الحسن سيدي الحاج علي حرازم بن العربي برادة الفاسي المغربي²، كان لقاءه الأول بالشيخ أحمد التيجاني في جدة (1191هـ-1776م) رافقه إلى فاس وأخذ منه الطريقة الخلواتية ومنذ ذلك الحين أصبح من أقرب المقربين إليه، لازمه ولم يفارقه لما هاجر من أبي سمغون إلى فاس، (1213هـ-1798م) شرع في كتابة "جوهر المعاني" وبعد إنهائه أجازه الشيخ، ثم سافر لقضاء فريضة الحج مارا بتلمسان وتوقف بتونس عند الشيخ ابراهيم الرياحي

¹ العربي بن سايح، المرجع السابق، ص45.

² عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص115.

- السابق الذكر - تزوج بفتاة من تونس وسرعان ما طلقها وأكمل مسيرته مارا بمصر فمكة ثم توجه إلى المدينة المنورة وحيث ما حل دعى إلى الطريقة التيجانية وهو من الأوائل الذين ساهموا في نشر الطريقة في المغرب وتونس والحجاز، توفي الشيخ في (1230هـ-1815م) وترك مؤلفات أخرى على غرار كتابه "جواهر المعاني" فهناك كناشان عظيمان فيهما جزء مما أخذ عن شيخه أحمد التيجاني¹ وله أيضا كتاب "المشاهد" وهو مخطوط ومختصره "الكنز المطلسم" نقل فيه بعض تجاربه وأذكار خاصة، وله رسالة "الفضل والامتتان" هي كراسة نقلها الشيخ أحمد سكيرج في كتابه "رفع النقاب" وهي معروفة أيضا باسم "الرسالة الشافية".

- الشيخ محمد بن المشري ت(1224هـ-1809م):

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن المشري الحسني السائحي السباعي من سليل قبيلة أولاد السائح الأشراف القاطنين تكرت²، سنة ميلاده غير معروفة لكنه يعتبر أنه من جيل الشيخ أحمد التيجاني ويصغره بسنوات فقط³، حفظ القرآن، درس العلوم الشرعية واللغوية، مال الشيخ إلى التصوف فبحث عن يأخذ عنه التربية الصوفية فأشاروا إليه بالذهاب إلى المغرب الأقصى وهو في تونس، التقى بالشيخ أحمد التيجاني في تلمسان إثر عودته من

¹ أحمد سكيرج، كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التيجاني من أصحاب، الطبعة الحجرية، 2007م، صص (68-93).

² بلدة في عمالة قسنطينة في الشمال الشرقي للجزائر.

³ محمد بن مشري، المرجع السابق، ص4.

الحج وأخذ عنه الطريقة الخلواتية ومذ ذلك الحين لازمه، كان الشيخ محمد بن المشري من المتحمسين للدعوة إلى طريقة شيخه الجديدة وهو من الرواد الذين نشروا الطريقة في الغرب والشرق الجزائري وتونس، كما أذن لأصحاب الشيخ بالتوجه إلى تلك المناطق للدعوة، وكان الشيخ أحمد التيجاني يرسله إلى أماكن بعيدة في مهمات ويكلفه بالإجابة على بعض رسائله، كانت خدمة الشيخ والطريقة عنده من أولوية الأولويات وقد أفنى عمره وماله في سبيل نشر الطريقة، ولم يتزوج إلى في أواخر حياته، وقد أصيب بمرض في يده توفي على إثره في عين ماضي سنة (1224هـ-1809م)، ساهم في كتابة "جوهر المعاني" ثم ألف كتابه "الجامع لدرر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم"¹.

2-النشاط الديني الدعوي:

أ-الدعوة:

بما أن الشيخ أحمد التيجاني ربط سنده بالرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة فبلا شك أن طريقته تستمد تعاليمها من الكتاب والسنة، وبالتالي فإن نشاطها الدعوي -منذ الفتح-

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 137.

يرتكز على هذين المصدرين الأساسيين، في محاربة البدع والشعوذة، والمحافظة على الصلاة المفروضة والإكثار من النوافل والابتعاد عن المحرمات وتقوى الله¹.

ومن الوصايا التي أوصى بها الشيخ لأتباعه وأصحابه والتي جاءت في "جوهر المعاني" نذكر منها قوله:

تكوين العبيد ثم اعتاقهم، استخدم التيجانيون طرق عديدة لنشر طريقتهم وبالتالي إيصال الاسلام إلى أماكن لم يصل إليها في تخوم إفريقيا جنوب الصحراء وبالتالي التجأوا إلى شراء العبيد وتنقيفهم وتعليمهم الدين الإسلامي، ثم إعتاقهم حتى يتسنى لهم نشر الطريقة التيجانية بين أهلهم وذويهم وقد استمر هذا النشاط حتى بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر².

ب-أحياء المناسبات الدينية:

اغتمم التيجانيون كل مناسبة للدعوة إلى طريقتهم وذلك لتجمع أعداد كبيرة من الناس وخاصة الأتباع والمحبوها، ومن هذه المناسبات المولد النبوي الشريف والسنة الهجرية الجديدة والأعياد وعاشوراء...إلخ، وتوسعت دائرة هذه المناسبات إلى أن أصبحت حلقات

¹ علي حرازم، المصدر السابق، ص41.

² عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، م.و.ف.م، الجزائر-1988م، ص138.

للمواعظ ودروسا ينشطها علماء تيجانيون وغيرهم بلغ صيتها خارج الجزائر ومازال نشاط التيجانيين مستمرا إلى يومنا هذا رغم تقلص نشاط الطرق الأخرى.

ج-الدعوة إلى التحلي بالأخلاق الكريمة:

ركز الشيخ أحمد التيجاني على التربية الخلقية منذ البداية فنراه يبحث أتباعه من خلال رسائله التحلي بالأخلاق السامية، فالطريقة التيجانية ترى أن المعاملة الطيبة المبنية على الأخلاق تستقطب أتباع كثر في الوقت التي بدت هذه الصفات تتناقص. وبذلك فإن الشيخ يصر أتباعه على صلة الأرحام وتقوى الله والمحافظة على ذكر الله، والحذر من عقوق الوالدين والعفو عند المقدرة... الخ من الأخلاق التي أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم¹.

ثالثا: نشاط الطريقة التيجانية الاجتماعي

لم يهتم التيجانيون بنشر تعاليم الطريقة فحسب بل اهتموا أيضا بمجالات الحياة الأخرى كالاقتصادية منها والاقتصادية وحتى السياسية²، عرفت الطريقة ذروة انتشارها وتوسع دائرتها ما بين الفترتين (1196هـ - 1782م) إلى غاية (1268هـ - 1853م) مما

¹ علي حرازم، المصدر السابق، ص353.

² حاول الشيخ أحمد التيجاني جاهدا تجنب اقحام نفسه في المجال السياسي رغم ما تعرض له من مضايقات من طرف

الحكام العثمانيين.

شهدت المناطق التي تتواجد بها الزوايا التيجانية حركية لم تسبق من قبل أنعشت تلك المناطق اقتصاديا وثقافيا...

أثقل العثمانيون كاهل الشعب الجزائري بالضرائب في الفترات المتأخرة من عهدهم نتيجة تراجع عائدات الجهاد البحري ، مما ميز الظروف الاجتماعية بالصعوبة والعسيرة وزاد ذلك الكوارث الطبيعية، وما كان للناس سوى الانتفاخ حول الطرق الصوفية وخاصة الطريقة التيجانية التي حرص شيوخها على اعانت المحتاجين وإيواء المتشردين وتخفيف العبء عن سكان المنطقة مما حققت محبة الناس والاحترام من طرف الجميع.

1-الإصلاح بين المتخاصمين:

أحد المميزات التي عرفت بها الطريقة التيجانية هي المحافظة على السلم والسلام حتى يكون انتشار الطريقة سهلا، فعمد شيخها إلى إصلاح ذات البين وحل المشاكل بين المتخاصمين سواء كانوا أفرادا أو قبائل وكان أحيانا ينتقل إلى مكان الخصومة لنشر الألفة والمودة بين الناس وإرجاع المياه إلى مجاريها¹.

¹ جاءت في النسخة المخطوطة لجوهر المعاني والمتواجدة بالمكتبة الوطنية الجزائرية والموضوعة تحت رقم: 1711 والتي تسنى لنا أن اطلعنا عليها رسالة موجهة إلى السيد المختار الصقال، وهو من سكان تلمسان، يأمره بدفع ما يتوجب عليه من حقوق للسيدة شاشة من البيت الموروث، وهذه الرسالة ما هي إلا نموذج عن جهود الشيخ في إصلاح ذات البين.

عرف شيوخ التيجانية كيف يكسبون قلوب الناس واحترامهم كما أن كلمتهم مسموعة حتى من غير الأتباع رغم تزامم الطرق الصوفية من حولهم، وبذلك يتحقق الصلح بين المتخاصمين وتفك النزاعات وتعاد المظالم إلى أصحابها.

وقد استعمل الشيخ أحمد التيجاني كذلك المراسلات إذا تعذر عليه الوصول إلى المنطقة التي حدث فيها النزاع، وهي عديدة أوردتها بعض مصادر تيجانية¹، وقد سار على خطاه الشيوخ الذين تلوه على الخلافة وبالتالي كانت طريقة ناجعة لحل المشاكل الاجتماعية.

2- مساعدة الفقراء والمحتاجين:

اهتمت الطريقة التيجانية بزوارها من سواء كانوا الأتباع أو من غيرهم وذلك بحل مشاكلهم أو تقديم يد المساعدة لهم، كما عرفت بدفاعها عن المستضعفين وحماية المضطهدين ومساعدة الفقراء والمحتاجين، وإيجاد مؤوى للمتشردين والشبان والعجزة. لقد أخذ شيوخ التيجانية على عاتقهم هذه الخدمات في وقت كان المجتمع يعاني من ويلات الفقر والحرمان ونصرة المستضعفين وإطعام الطعام لعابري السبيل وحسن الضيافة وقد بلغ صيتها خارج الوطن.

¹ وجه الشيخ رسالة إلى أحد سكان مدينة تلمسان المدعو المختار الصقال ، يأمره بالدفع حقوق الميراث الخاص بالسيدة

شاشة المشتكية له.

خاتمة الفصل:

-عُرفت الطريقة التيجانية بمجموعة من الخصوصيات ميزتها عن الطرق الأخرى كالخصوصية النسبية والتي تصل إلى الحسن بن علي رضي الله عنه، والخصوصية السلوكية الصوفية فالطريقة التيجانية هي طريقة شكر، أما الخصوصية العرفانية فتمثلت في العلم والمعرفة بالحقيقة الربانية.

-أراد الشيخ أحمد التيجاني أن يجعل من طريقته طريقة جمع وتوحيد لجميع الطرق، لما رآه من شتات وتمزق وزيادة على كثرتها وتعددتها.

-تمثل الخطاب الاصلاحى في الطريقة التيجانية بتباعد منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الرجوع إلى الأصل الأول (الكتاب والسنة).

- تعددت أنشطة التيجانيين الدعوية فقد استعملوا أساليب عديدة لاستقطاب الأتباع والمتعاطفين مع الطريقة وذلك بنشر الدعاة في كل مكان وبنشر تأليف التيجانية التي لقت رواجاً كبيراً.

الفصل الثالث

الخطاب التيجاني (بين التأثير والتأثر)

أولاً: أورد الطريقة التيجانية

ثانياً: أهم المسائل العقائدية المختلف فيها.

ثالثاً: مؤخذات الخطاب التيجاني

توطئة:

لا يستطيع الانسان أن يعيش في معزل عن العالم الخارجي غير أن ثمن هذا الانفتاح والاحتكاك يكون غالبا قد يتسبب في تشويه صفاء الفكر أو تدعيمه وتقويته وبالتالي فإن الفتح الاسلامي فتحت الآفاق على ثقافات العالم فتأثرت بها وأثرت فيها ولا نستثنى من ذلك التصوف الذي بات يستلهم أفكاره من فلسفة الثقافات العريقة والضاربة في عمق التاريخ والتي تمارس نشاطات غريبة ورؤى وتصورات لا يستوعبها العقل البسيط.

من الخطابات التي صبغت بها الطريقة التيجانية نجد الخطاب الاصلاحى الذي ارتأى من خلاله اصلاح النفوس والقلوب بمنهج انصهرت فيه الطرق الصوفية. ومن أهم المسائل التي عرفت جدلا كبيرا هي مسائل العقائدية فالتيجانية لها نظرتها في مسألة وحدة الوجود ومسألة النور الأحمدى والتي لم تسلم من انتقادات السلفية الوهابية.

ظهرت التيجانية في ظل تضارب للخطابات حتى أصبحت السلطة المركزية تتوجس خيفة من تنامي الطرق الصوفية وخاصة الطريقة التيجانية والتي تعتبر العنصر التركي أصبح مصدرا للتوتر مع ضعف نفوذه في قلوب الجزائريين.

أولاً: أورد الطريقة التيجانية

بعد حصول الفتح أذن له الرسول صلى الله عليه وسلم بتلقين الخلائق¹ وعين له الورد وقد جاء على مرحلتين الأولى سنة 1196هـ، وكلفه فيها بالاستغفار 100 مرة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم 100 مرة ، أما الثانية سنة (1200هـ/1786م) وفيها زاد الورد اللازم مائة 100 مرة من الكلمة المشرفة {لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}.²

وفي قصيدة نظمها إبراهيم الرياحي التونسي في مدح الشيخ وقد ذكر فيها عن ورد

الطريقة:

وَمَا ظَنُّنَاكَ بِالْوَرْدِ الَّذِي نَظَّمْتَ يَدُ النُّبُوَّةِ هَلْ يَبْنَى بِلَا سَاسِ
وَمَا تَظُنُّ بِمَنْهَاجِ لِسَالِكِهِ أَمَّنْ مِنْ أَهْوَالِ نِيرَانٍ وَأَرْمَاسِ

والأورد التيجانية نوعان : الأورد اللازمة والاختيارية

1- الأورد اللازمة:

الأورد اللازمة للطريقة التجانية جميعها مركبة من الاستغفار والصلاة على النبي

صلى الله عليه وسلم والتهليل.

¹ محمد العربي السائح، بغية المستفيد لشرح منية المرید، ت و ف سعيد محمود عقيل، ط 2، دار الجيل، بيروت 2005م، ص 287.

² محمد العربي بن السائح، المصدر السابق، ص 278.

أ-ورد الصباح وورد المساء:

الافتتاح: قراءة دعاء ابتداء القراءة.

النية: (اللهم إني نويت قراءة ورد) الصباح/ المساء (تعبداً لك وتعظيماً لحضرة نبيك سيدنا

محمد صلى الله عليه وآله وسلم سالكاً طريق سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه)

*الاستعاذة ثم البسمة ثم الفاتحة.

* صلاة الفاتح¹ مرة (اللهم صلّي على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق،

ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله وحق قدره ومقداره العظيم

﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾².

الصيغة:

*100 مرة استغفر الله

*100 مرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي صيغة ومما حض عليه الشيخ عنه

قراءة صلاة الفاتح لما فيها من الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو اللهم صلي

على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

¹ علي حرازم، مصدر سابق، ص 91.

² الصورة الصافات الآية 182-180.

﴿سبحانَ ربك رب العِزَّةِ عما يَصِفُونَ، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين﴾

*100 مرة {لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} وفي المرة المائة تزيدنا سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه سلام الله.

الخاتمة:* (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

الدعاء بالخير، ثم قراءة الفاتحة مرة ، ثم صلاة الفاتح مرة ، ثم قوله تعالى:(سبحان

ربك رب العِزَّةِ عما يَصِفُونَ، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين)¹

ب-ورد الوظيفة:

الافتتاح:قراءة دعاء ابتداء القراءة

النية: اللهم إني نويت قراءة ورد الوظيفة تعبداً لك وتعظيماً لحضرة نبيك سيدنا محمد صلى

الله عليه وآله وسلم سالكاً طريق سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه.

*الاستعاذة ثم البسمة ثم الفاتحة².

¹ أحمد بن محمد التجاني، المرجع السابق، ص76.

² عمر الفوتي، المصدر السابق، 229.

* صلاة الفاتح مرة.

* (سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين)

الصيغة:

* 30 مرة (استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم)

* 50 مرة صلاة الفاتح .

* (سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين)

* 100 مرة {لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} وفي المرة المائة تزيد سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه سلام الله.

* 11 مرة جوهرة الكمال¹ وهي : (اللهم صلي وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة

المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الأدمي صاحب الحق

الرباني البرق الأسطع بمزون الأرياح المائلة لكل متعرض من البحور والأواني ونورك اللامع

الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني، اللهم صلي وسلم على عين الحق التي تتجلى

منها عروش الحقائق عين المعارف الأفوم، صراطك التام الأسقم، اللهم صلي وسلم على

¹ علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص92.

طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم، إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم، صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه¹. و يشترط في قراءتها الطهارة المائية لا الترابية، لأن النبي صلى الله عليه وسلم - حسب اعتقاد التيجانيين - يحضر قراءتها²، ويستحسن قراءتها في جماعة، إلا إذا عذر على المرید ذلك إن كان وحده، وإن لم يتوفر شرط الطهارة المائية، قرأ صلاة الفاتح 20 مرة.

الخاتمة: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، ثم الدعاء بالخير ثم الفاتحة مرة ثم صلاة الفاتح مرة ثم تقرأ ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين﴾

ج-ذكر يوم الجمعة (الهيئة) :
الافتتاح :قراءة دعاء ابتداء القراءة.

النية: (اللهم إني نويت قراءة ورد الهيئة تعبداً لك وتعظيماً لحضرة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم سالكاً طريق سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه.)

¹ أحمد بن محمد التيجاني، المرجع السابق ، ص80.

² علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص124.

* الاستعاذة ثم البسملة ثم الفاتحة، ثم صلاة الفاتح مرة.

* ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

* (استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم) ثلاث مرات.

* صلاة الفاتح ثلاث مرات.

الصيغة: {لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} يذكر من الواحد إلى 1000 أو 1200 مرة ثم تزيد في المرة الأخيرة

سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه سلام الله.

2- الأوراد الاختيارية:

- حزب البحر

يقرأ في الصباح و المساء

* دعاء ابتداء القراءة.

* النية: اللهم إني نويت أن أتقرب إليك بتلاوة حزب البحر بنية التعبد لله تعالى ... ولا حول

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

*ثم الاستعاذة والبسملة ثم الفاتحة مرة ثم صلاة الفاتح ثلاث مرات ثم قوله تعالى: ﴿سبحان

ربك رب العزة ما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين﴾

*البسملة ثم يقول (يا علي يا عظيم يا حلیم يا عليم...إلى... لا حول ولا قوة إلى بالله العلي

العظيم).

ثانياً: أهم المسائل العقائدية المختلف فيها

1-مسألة وحدة الوجود:

عرفت هذه المسألة عند أمم لم تعرف الله حق المعرفة كالهند والفرس واليونان وغيرهم

ممن يعتقدون في أن الله والعالم واحد، وكل شيء هو الله. ولاشك أن هذه المعتقدات قد

انصهرت بتوغل الإسلام في تلك الأقطار واحتكاك ثقافتها بالثقافة العربية الاسلامية

وبالخصوص الثقافة الهندوسية والتي بموجبها يرد البراهمانيون كل شيء إلى الله وأن جميع

الأشياء الأخرى أعراض ومظاهر لا غير¹.

¹ الديانات الهندوسية إن الهندوسية واحدة من أقدم الديانات المعروفة - ترجع الكتابات المقدسة لدى الهندوس إلى حوالي عام 1400 - عام 1600 ق. م. وهي أيضاً واحدة من أكثر الديانات تعقيداً وتنوعاً إذ يؤمن الهندوس بملايين الآلهة. يوجد لدى الهندوس تشكيلة واسعة من المعتقدات الأساسية ولهم طوائف مختلفة. ورغم أن الهندوسية تعتبر ثالث الديانات الكبرى في العالم، إلا أنها توجد أساساً في الهند ونيبال. ينظر: شلبي أحمد، أديان الهند الكبرى الهندوسية، الجينية، البوذية، ط11، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة-2000م، ص38.

تبادرت هذه الفكرة لدى أفلوطين (ت270م) فأصبحت بما يعرف بنظرية الفيض، فالعالم يفيض عن الله كفيضان النور عن الشمس، ومن أقواله أنه قال: (أن الواحد خلق العقل وأن العقل خلق الروح وأن الروح خلقت ما دونها من الموجودات على الترتيب الذي ينحدر طورا دون طور إلى عالم الهيولي أو عالم المادة والفساد)¹

تبنا المتصوفة نظرية الفيض ومن أبرز من أثار إشكالية هذا الخطاب نجد بن عربي ومنه إلى الطرق الصوفية والطريقة التيجانية كذلك وبالتالي ترسخة في معتقداتها مما أثار انتقادات من طرف الفقهاء والأئمة.

جاء في "جوهر المعاني": "...اعلم أن ذواق العارفين في ذوات الوجود أنهم يرون أعيان الموجودات ﴿ كَسْرَابٍ بَقِيْعَةٍ ﴾² فما في ذوات الوجود كله إلا الله سبحانه وتعالى تجلى بصورها وأسمائها، وما صم إلا أسماؤه وصفاته، فظاهر الوجود وصور الموجودات وأسمائها ظاهرة بصورة الغير والغيرية، وهي مقام أصحاب الحجب الذين حجبوا بظاهر الموجودات عن مطالعة الحق فيها"³.

¹ صليب جميل، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتال اللبناني، بيروت-1982م، ص ص(568-569).

² سورة النور الآية 39

³ علي حرازم، المصدر السابق، ص 148.

وفي موضع آخر يقول: "إن جميع المخلوقات مراتب للحق يجب التسليم له في حكمه وفي كل ما أقام خلقه، لا يعارض في شيء، ثم حكم المشرع من وراء هذا يتصرف فيه ظاهرا وباطنا، لا يكون هذا إلا لمن عرف وحدة الوجود فيشاهد فيها الوصل والفصل، فإن الوجود عين واحدة لا تجزؤ فيها على كثرة أجناسها وأنواعها ووحدتها، لا تخرجها عن افتراق أشخاصها بالأحكام والخواص، وهي المعبر عنها عند العارفين أن الكثرة عين الكثرة فمن نظر إلى كثرة الوجود وافتراق أجزائه نظره عينا واحدة على كثرته، ومن نظر إلى عين الوحدة نظره منكثر بما لا غاية له من الكثرة، وهذا النظر للمعرفة فقط لا غيره من أصحاب الحجاب وهذا لمن عاين الوحدة نوقا لا رسما وهذا خارج عن القول"¹

وقال أيضا: "فكل عابد أو ساجد لغير الله في الظاهر فما عبد ولا سجد إلا الله تعالى، لأنه هو المتجلي في تلك الألباس، و تلك المعبودات كلها تجسد الله تعالى، وتعبده وتسبحه خائفة من سطوة جلاله سبحانه وتعالى ولو أنها برزت لعبادة الخلق وبرزت لها بدون تجلية فيها لتحطمت في أسرع من طرفة عين لغيرته تعالى لنسبة الألوهية إلى غيره..."

ولشرح أقوال الشيخ أحمد التيجاني قال أحد المتصوفة: "...مما يوحى إلى وحدة الوجود لتعلم صفحة اعتقاد معتقدها وكمالها ونقصه اعتقاد منتقدها واعتلاله، ولكن قد علم كل أناس

¹ علي حرازم، المصدر السابق، ص 198.

مشربهم ومشرقهم ومغربهم... والقائلون بوحدة الوجود أولو الذوق الصحيح والكشف الصريح وأهل هذا والتصديق الجامع، فإنهم قائلون بأن الله تعالى هو الوجود المطلق بالإطلاق الحقيقي... فإذا عرف أن وجوده تعالى لا ماهية له وأنه يقبل التجلي في جميع الصور عرفت أن الوجود في هذه الصورة المرئية هو وجوده تعالى، والصور ليست له تعالى بل هي من حكم الذات المتجلى عليها... فخرجت الصورة بجلي وجود الحق لها وبرزت للعين على نحو ما لها من حكم¹.

وهناك من يؤكد على صحة المعتقد التيجاني كعبدة الشنقيطي في قوله: (...وحدة الوجود اعتقاد صحيح شرعا يقبله العقل السليم بالوهاب الإلهي والفيض الرحماني وإن لم يدركه بالنظر الفكري لغموضه وكونه فوق طوره... اعلم أن في العارفين بالله تعالى للمنصفين أسوة حسنة، فتأليفهم مشحونة من هذه الحقائق -وحدة الوجود- كالشيخ محيي الدين بن عربي، وتلميذه القونوي، وصاحب "مطلع الجود بتحقيق التنزيه في وحدة الوجود"، وغيرهم ممن يفوت الحصر... القائلون بوحدة الوجود أولو الذوق الصحيح، والكشف

¹ ابن أنبوحة عبيدة، ميدان الفاضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال، المطبعة الرسمية العربية، تونس-1911م، ص ص(62،69).

الصريح... فإنهم قائلون بأن الله تعالى وهو الوجود المطلق... مع أنه جل جلاله وتقدست
أسماءه وهو المتجلي في مظاهر متقابلات الأسماء... وله الظهور فيما شاء من الصور)¹

2-مسألة أسبقية النور الأحمدى على الخلائق جميعا:

يكن المسلمون لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم محبة عظيمة ما انفكت أوامرهما
أن تلتحم بمعتقداتهم وقد تفاعلت هذه المشاعر مع الأفق النفسية والاجتماعية والثقافية...
فتراء للبعض أنه بشر كسائر البشرية، وفريق آخر ومنهم المتصوفة يوقنون أنه بشر لكنه
يختلف عن سائر البشرية وقد بالغوا في ذلك التعظيم والتمجيد ومقامه الرفيع إلى حدود ألا
معقول.

شكل كل من الخطابين إفرزا حادا وتشويشا عنيفا على حقيقته خلق صداما كبيرا، على
أن الخطاب الصوفي أثار جدلا واسعا كونه يذهب إلى أبعد نقطة يمكن للعقل البشري
استيعابها وإدراكها دون استعمال الخيال. وقد استندوا إلى الحديث: "أول ما خلق الله نوري"

قال صاحب كتاب "رماح" عمر الفوتي في هذه المسألة مستندا على قول بن عربي:
"...فكل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ النبوة إلا من مشكاة خاتم النبيين،

¹ نفسه، ص ص(165،79،75).

وتأخر وجود بنيته، بحقيقته الموجودة، وهو قوله: كُنْتُ نَبِيًّا وَأَدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ¹ وقد شرحها على أن البدنه² لم يكتمل بعد، وقد جمع في النور المحمدي جميع أرواح الأنبياء والأولياء³. قال الشيخ أحمد التيجاني: (أعلم أن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها نوات الأنبياء، تتلقاها ذاتيا، ومنها تتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى نفخ الصور)⁴

يعد بعض العلماء المتأخرين أن القول بأسبقية النور المحمدي أسطورة أخرجها بن العربي استدلل بها عمر الفتوي في كتابه "الرماح" لتأكيد مزاعمه رغم أن الحديث موضوع، وأن النبوة فضل يأتيه الله من يشاء من عباده فلا مخلوق بيده ذلك، ولا نبوة نبي مقتصرة على آخر. وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يثبت أنه كان يعرف جميع الأنبياء فكيف يكون واسطة في نبوتهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾⁵، ويرى السيخاوي من خلال كتابه "المقاصد الحسان" أن الحديث "كنت نبيا وادم بين الماء والطين" أنه لم يقف عليه، وأنه قد جيئة أحاديث بمعناه ومنها ما روي عن أبي هريرة عن النبي كقوله صلى الله عليه وسلم: «كُنْتُ

¹ عمر الفتوي، المصدر السابق، ص493.

² المقصود آدم عليه السلام.

³ الهاللي، المرجع السابق، ص107.

⁴ عمر الفتوي، نفسه، ص489.

⁵ سورة النساء الآية 164.

نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»¹ ومعناه: أنه كان مكتوباً عند الله نبياً. وقوله صلى الله عليه وسلم: «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإنَّ آدمَ لمنجدل في طينته»² وهذا تفسير الحديث بحديث آخر.

3- مسألة رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة:

جاء في كتب الحديث ما يلي : حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله عن يونس عن الزهري حدثني أبو سلمة أن أبا هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي »³.

حدثنا أحمد بن صالح حدثنا عبد الله بن وهب قال أخبرني يونس عن بن شهاب قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْيَقَظَةِ أَوْ لَكَأَنَّما رَأَى فِي الْيَقَظَةِ وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي»⁴.

¹ رواه الترمذي والحاكم في صحيحيهما.

² رواه أحمد والطبراني وابن حبان وغيرهم.

³ صحيح البخاري، ج3، ص299.

⁴ رواه أبوداود، المسند، رقم: 5023.

وردت أحاديث كثيرة في هذا السياق ومردها أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يبين أن صورته التي يرى عليها في المنام هي عين صورته ، بل أكثر من ذلك حيث أتى أبو جحيفة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بنفس اللفظ الذي أشرت إلى صوابه فقالا: « مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَكَأَنَّما رَأَى فِي اليَقظةِ » كما في سنن ابن ماجه¹ وكما في مجمع الزوائد وقال الهيثمي: رجاله ثقات. فظهر هنا وبشكل قاطع أنه المعنى المراد والحمد لله على توفيقه. وبهذا أكتفي برد لفظة ((فسيراني يقظة)) رواية لأنها لم تثبت كما هو ظاهر بحال ، علماً أن هناك من العلماء من تكلف وحاول أن يردّها دراية كونها لم تظهر له حقيقتها.

قال الشنقيطي: "... إن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة قد قال بها علماء كثيرون قبل التيجاني كالإمام السيوطي، وابن أبي جمرة، والشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني وابن حجر المكي الهيثمي، والغزالي، وابن الحجاج والسبكي، والعفيف اليافعي"².

وقد جاء عن الامام السيوي بتفسيره للحديث السالف ذكره أن الرسول صلى الله عليه وسلم حي بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء، وأنه لا يرى بالعين المجردة

¹ ابن ماجه، سنن ، رقم:3905.

² أنبوجة محمد، الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سل على الشيخ التيجاني سيف الإنكار، دار التجاني للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر-2007م، ص ص(38-39).

كالملائكة، فإذا أراد أن يرفع الله الحجاب ليتكشف عن من يريد من الخلق ليراه بهيئته البشرية. أما الشيخ الغزالي فقد أشاد بالمتصوفة ووصفهم بخير الخلق وأنهم يرون الملائكة وأرواح الأنبياء يسمعونهم ويستفيدون منهم¹.

وقد جاء في كتاب "جوهر المعاني" في ما ورد عن الشيخ أحمد التيجاني قوله: "...أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما قال لي: أنت من الآمنين وكل من رآك من الآمنين أن مات على الإيمان"².

أما في كتاب "رماح حزب الرحيم..." لصاحبه عمر الفتوي قال: "...ولا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله يقظة ومشافهة... وأما الذي هو أفضل وأعز من دخول الجنة فهو رؤية سيد الوجود صلى الله عليه وسلم في اليقظة"³.

وقال في موضع آخر: "... وقد وقع من بعض الناس عدم التصديق بعمومه، وقال: على ما أعطاه عقله، وكيف يكون من قد مات يراه الحي في عالم المشاهد قال: وفي هذا القول من المحذور وجهان خطران، أحدهما: عدم التصديق بقول الصديق صلى الله عليه وسلم، الذي لا ينطق عن الهوى، والثاني: الجهل بقدرة القادر. وتعجزها ألم يسمع في سورة

¹ الغزالي، المنقذ من الظلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تع وش علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، ط1، بيروت - 1993م، ص51.

² علي حرازم، المصدر السابق، ص78.

³ عمر الفتوي، المصدر السابق، ص453.

البقرة قصة البقرة كيف قال الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾¹، وقصة إبراهيم عليه السلام في الأربع من الطير، وقصة عزيز، فالذي جعل ضرب الميت ببعض البقرة سببا في حياته، وجعل دعاء إبراهيم سببا لإحياء الطيور، وجعل تعجب العزيز سببا لموته وموت حمارة ثم لإحيائها بعد مائة سنة، قادر أن يجعل رؤيته صلى الله عليه وسلم في النوم سببا لرؤيته في اليقظة².

قال محمد العربي بن السائح: "... منهم من يرى روحه في اليقظة متشكلة بصورته الشريفة، ومنهم من يرى حقيقة ذاته الشريفة وكأنه معه في حياته صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء هم أهل المقام الأعلى في رؤيته صلى الله عليه وسلم"³.

قال محمد الحافظ المصري: "... وهذا يثبت أن روح الحي تجتمع بأرواح الأموات في النوم، والذي يجمعهم في النوم يجمعهم في اليقظة والجميع في العالم تحت سلطنة"⁴.

وقد قام مبررا هذه المسألة قائلا: "... إن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته في الدنيا كرامة يمنحها الله من يشاء من عباده، فالمنكر لها منكر لكرامات الأولياء الثابتة بالكتاب والسنة والآثار المسندة، ففي الكتاب قصة الثلاثة الذي انطبق عليهم الغار

¹ سورة البقرة الآية 73.

² عمر الفتوي، المصدر السابق، 456.

³ محمد بن السايح، المرجع السابق، 78.

⁴ محمد الحافظ، علماء تزكية النفس من أعلم الناس بالكتاب والسنة، ص ص(57،61).

وحديث جريح وكلام الطفل ببراءته. وغيرها كثير ومن الآثار قصة عمر رضي الله عنه مع سارية، ومن العقل والنظر وقوعها المتكرر تكرارا ينتهي إلى حد القطع بشهادة الكتاب والسنة والإجماع¹.

4- مسألة ولاية أحمد التيجاني ومكانتها:

يقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾²

جاء في لسان العرب أن الولي والمولى كلمة لها معنى واحد وقد تصل مترادفاتهما إلى ستة عشرة ومنها الحليف والمناصر³. ومنهم من فسرها على أنها القرب، أما عند القشيري فهي: "إن الولي يحتمل أمرين: أحدهما: أن يكون فعिला، مبالغة في الفاعل، العليم والقدير وغيره، فيكون معناه من توالت طاعاته من غير تخلل معصية. ويجوز أن يكون فعिला، بمعنى مفعولا كقتيل بمعنى مقتول، وجريح بمعنى مجروح وهو الذي يتولى الحق سبحانه

¹ أنبوجة محمد، الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سل على الشيخ التيجاني سيف الإنكار، ص ص(54-55).

² سورة يونس الآية 26.

³ ابن المنصور، المصدر السابق، ص 453.

حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة¹.

ومن الناس من يقسم الولاية إلى قسمين ولاية كبرى حيث أنه لا يذنب فيها الشخص على الإطلاق أما الولاية الصغرى فيها قد يقع الشخص في ذنوب صغيرة ورغم ندرتها يبادر فوراً بالتوبة والعدول عنها.

أما مقام الولاية عند الله فهو رفيع لذى جاءت كلمة الولي بمعنى الحليف، فالولي لا يعلم أنه ولي ولا يجوز له ذلك لأنه يشعر بالأمن والأمان، وعند بعض المتصوفة الولي هو من حذر من مزلق تعداد الطاعات وأن يحق فيه قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾².

حددت العلاقة بين الولي والنبي وبين الولي والعالم فالولاية أعم من النبوة، فكل نبي ولي، ولا يمكن أن يكون الولي نبياً، وكل ولي عالم، وليس بالضرورة أن يكون العالم ولياً³. وحتى تتم الولاية يشترط أن تتوفر على أربعة مقامات: مقام المحبة، مقام الشوق، مقام

¹ القشيري عبد الكريم، المصدر السابق، ص 381.

² سورة الكهف الآيات (103-104).

³ الجكني الشنقبي، المصدر السابق، ص 478.

العشق، مقام المعرفة ويقول الجنكي: "... ولا تكون المحبة إلا بكشف الجمال، ولا الشوق إلا باستنشاق نسيم الوصال، ولا العشق إلا بدنو الأنوار، ولا المعرفة إلا بالصحبة، وتتحقق الصحبة بكشف الألوهية مع ظهور أنوار الصفات"¹.

وقد نسب إلى الشيخ أحمد التيجاني قوله: "إن كل ما أعطيه كل عارف أعطي له هو... إن طائفة من الصحابة لو وزنت أقطاب أمة محمد ما وزنوا شعرة من فرد من أفرادهم فكيف به هو؟"²...

وحين قيل له أن الشيخ عبد القادر الجيلاني قال ذلك: "قدمي هذه على رقبة كل ولي اليوم" فرد أحمد التيجاني قائلاً: "صدق، وذلك خاص بأولياء زمانه، أما أنا فأقول لكم: "إن قدمي هاتين على رقبة كل ولي لله من لدن آدم إلى النفخ في الصور..."³

قال عمر الفوتي صاحب "الرماح": "... أخبرني سيدي محمد الغالي أن الشيخ عاش وهو في مرتبة الختمية ثلاثين سنة وإذا تأملت هذا علمت أن الختمية لم تثبت لأحد قبل شيخنا وأن أحداً ما ادعاها وثبت على ادعائها لنفسه وأما شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا سيد أحمد بن محمد الشريف الحسني التيجاني قال: أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم

¹ نفسه.

² هو يقصد بذلك أقطاب الصوفية الذين كانوا في تنافس شديد على ترأس الرق الصوفية والوصول إلى مرتبة القطبانية الكبرى.

³ عمر الفوتي، المصدر السابق، ص496.

بأنى أنا القطب المكتوم منه إلي مشافهة يقظة لا مناماً فليل له ما معنى المكتوم؟ فقال هو الذي كتبه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبين إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه علم به وبحاله وهو الذي حاز كل ما عند الأولياء من الكمالات الإلهية واحتوى على جميعها وأكبر من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها أدخله الله الجنة وما اجتمعت في نبي ولا ولي إلا في سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وأما الأقطاب الذين بعده حتى الحجة العظمى ابن عربي الحاتمي فإنما يعلمون ظواهرها فقط ويسمون المحمديين وبه ختم الله الأقطاب المجتمعة فيهم الأخلاق والإلهية وهذه الأخلاق لا يعرفها إلا من ذاقها ولا تدرك بالوصف ولا يعرف ما فيها إلا بالذوق وقال إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذات الأنبياء وكل ما فاض وبرز من ذات الأنبياء تتلقاه ذاتي ومني يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور، وخصت بعلوم بيني وبينه منه إلى مشافهة لا يعلمها إلا الله عز وجل بلا واسطة قال أنا سيد الأولياء كما كان صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء"¹.

وبالتالي فإن التجانيون يرون في شيخهم أنه ولي الأولياء وأنه أعلاهم مكانة وشأناً وأنه مخلصهم يوم القيامة وقد أتاه الله من فضله الذي خصه به عن سائر الأولياء من خلق سيدنا آدم حتى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

¹ عمر الفتوى، المصدر السابق، ص 389.

5- حقيقة صلاة الفاتح وجوهر الكمال:

صلاة الفاتح التي أوردناها في كثير من المواضع في بحثنا هذا المتواضع والتي جاءت في "جوهر المعاني" لصاحبه على حرازم: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَي سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ الْحَقُّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقٌّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ". تسمى كذلك الياقوتة الفريدة كما ينعته الشيخ أحمد التيجاني، يقول صاحب البغية في شرح قول ناظم المنية:

أَمَّا صَلَاةُ الْفَاتِحِ الْحُسْنَى الَّتِي يَدْعُونَ بِالْيَاقُوتَةِ الْفَرِيدَةِ
فَفَضَّلُهَا عَلَى مَرَاتِبِ انْقِسَامِ وَجَلُّهَا عَنِ الْخَلْقِ انْكَتَمِ¹

من الأقوال المنسوبة للشيخ التيجاني: "...إن من تلا صلاة الفاتح عشر مرات لو عاش العارف بالله ألف سنة ولم يذكرها كان أكثر ثوابا منه... أن من قرأها مرة كفرت ذنوبه، ووزنت له ستة آلاف من كل تسبيح ودعاء وذكر وقع في الكون... أن من أتى بها مرة تضاعف له بستة مئة ألف صلاة من صلاة كل ملك وإنس وجن أول خلقهم إلى وقت تلفظ الذاكر..."².

¹ محمد بن السايح المصدر السابق، ص439.

² نفسه، ص440.

ويروى أن صلاة الفاتح نزلت على البكري في صحيفة من نور، مكتوبة بقلم القدرة. وهناك من يرى أن علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- جاءت على لسانه بالصيغة الآتية: "اللهم داحي المدحوات، وبارئ المسموكات، وجبار القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك، ورأفة تحننك على عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والمعلن الحق بالحق"¹

ويشير الشيخ أحمد التيجاني في جوهر المعاني على أن صلاة الفاتح لم تكن من تأليف البكري، وما هي إلا إلحاح منه إلى الله تعالى لمدة طويلة حتى يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يكون ثوابها وسرها يجمع كل الصلوات، ويقول: "فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن والإنس والملائكة... وقد أخبرني صلى الله عليه وسلم عن ثواب الاسم الأعظم، فقلت إنها أكبر منه، فقال صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم منها، ولا تقوم له عبادة"².

أما جوهر الكمال التي جاءت على لسان الشيخ أحمد التيجاني فهي من الأوراد اللازمة في الطريقة التجانية، وهي من صيغ الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، واسمها الكامل:

¹ القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، تح محمد الجاوي، دار الكتاب العربي، الدار البيضاء-1984م، ص293.

² علي حرازم، المصدر السابق، ص81.

"جوهرة الكمال في مدح سيد الرجال." وهي بالصيغة التالية: "اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ الرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَةِ الْيَاقُوتَةِ الْمُتَحَقِّقَةِ الْحَائِطَةِ بِمَرْكَزِ الْفُهْمِ وَالْمَعَانِي، وَنُورِ الْأَكْوَانِ الْمُتَكَوِّنَةِ الْآدَمِيَّ صَاحِبِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ، الْبَرِّقِ الْأَسْطَعِ بِمُزُونِ الْأَرْبَاحِ الْمَالِيَّةِ لِكُلِّ مُتَعَرِّضٍ مِنْ الْبُحُورِ وَالْأَوَانِي، وَنُورِكَ اللَّامِعِ الَّذِي مَلَأَتْ بِهِ كَوْنَكَ الْحَائِطِ بِإِمْكَانَةِ الْمَكَانِيِّ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ الْحَقِّ الَّتِي تَنْجَلِي مِنْهَا عُرُوشُ الْحَقَائِقِ. عَيْنِ الْمَعَارِفِ الْأَقْوَمِ صِرَاطِكَ النَّامِّ الْأَسْقَمِ. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى طَلْعَةِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ الْكَنْزِ الْأَعْظَمِ. إِفَاضَتِكَ مِنْكَ إِلَيْكَ إِحَاطَةَ النُّورِ الْمُطَنِّسِمِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، صَلَاةً تُعَرِّفُنَا بِهَا إِيَّاهُ".

يقول صاحب البغية في فضل جوهرة الكمال في مدح سيد الرجال:

جَوْهَرَةُ الْكَمَالِ مِنْ إِمْلَاءِ إِمَامِ الْأَرْسَالِ وَالْأَنْبِيَاءِ
عَلَى حَبِيبِهِ الْوَلِيِّ الْعَالَمِ تَطْبُ الْوَرَى أَحْمَدَ نَجَلَ سَالِمِ
وَبَعْضُ فَضْلِهَا تَقَدَّمَ وَمِنْ لَازِمِهَا سَبْعًا فَأَكْثَرَ تَمَنُّ
بِأَنْ يَكُونَ خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ يُحِبُّهُ وَمِنْ الْأَوْلِيَاءِ¹

وفي أفضالها ما جاء به الشيخ أحمد التيجاني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر

له خواص منها:

¹ محمد بالسايح، المرجع السابق، ص446.

- أن المرة الواحدة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات ،

- و من قرأها سبع مرات فأكثر يحضره النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة والشيخ

رضي الله عنه ما دام يذكرها

- ومن لازمها كل يوم سبع مرات يحبه النبي صلى الله عليه وسلم محبة خاصة ولا يموت

حتى يكون من الأولياء.

- ومن داوم على قراءتها عند النوم سبع مرات على فراش طاهر فإنه يرى النبي صلى الله

عليه و سلم في المنام.

قال أحمد التيجاني أهداني رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة تسمى جوهرة الكمال

كل من ذكرها اثنا عشرة مرة وقال هذه هدية مني إليك يا رسول الله فكأنما زاره في روضته

الشريفة وزار جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة وجميع الأولياء من لدن آدم إلى

وقت تلفظ الذاكر بها¹.

من ذلك نلاحظ أن الأنكار عند التيجانيين أعظم من من أي عمل قد يقوم به المسلم

للتقرب من الله حتى القرآن نفسه لا يعدلها في الثواب بل حتى الرسول ذاته لم يحض بثوابها

حسب ما فهمنا المتواضع وأن صلاة الفاتح من الله وليس من تأليف البشر وهذه الأمور

¹ علي حرازم، المصدر السابق، ص91.

مدعات للشك مما أثار تنقادا صارخا من طرف الفقهاء والصوفية أنفسهم وحتى بعض التيجانيين.

ثالثا: مؤخذات من الخطاب التيجاني

1- موقف الشيوخ والفقهاء (بين التأييد والإنكار):

بعد حصول الفتح للشيخ أحمد التيجاني وبالتالي تحقيقه للقبطانية لم يمر هذا الحدث بسلام، فالمواقف المعارضة ازدادت حول الطريقة وإنكار كثير من المسائل والمعتقدات في الخطاب التيجاني، وممن عاصره نجد علي بن محمد المصري في تأليفه "الصوارم والأسنة" والذي رد عليه ابراهيم الرياحي بمؤلف سماه "الجواب المسكت" ، ومن أشد خصومها نجد الطيب بن كيران (1227هـ-1812م) وأبو القاسم زياني (1734-1833).

وكذلك ممن أنكر على التيجانيين نجد شيخ الطريقة البكائية الكنتية في موريتانيا ت (1281هـ-1864م)¹ والشيخ محمد بن سليمان المستغانمي ت (1347هـ-1927م) في مسائل نلخصها في ما يلي:

- أن صلاة الفاتح هي من كلام الله القديم وأن ثواب المرة تفوق ختم القرآن بستة آلاف مرة.

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص ص (170-172).

- الغلو في تقديس التيجانيين لشيخهم إذ يرون أنه أفضل الأولياء على الإطلاق بعد الصحابة وأنه مدد لهم من آدم عليه السلام إلى يوم القيامة.
- أفرط التيجانيون في فضائل أولاد الشيخ وأتباعه.

اتسعت دائرة الطريقة التيجانية وضمت إليها الكثير من المقدمين وكثر الدخلاء أصحاب الأغراض الشخصية فيها واختلطوا مع الأصليين واحتالوا على المريدين لعدم معرفتهم بفقهاء الطريقة وقد أعانهم في ذلك الجهال من أهل الطريقة مما أفضى لهم الأمر إلى التأمير عليهم والتسخط على من لا يوافقهم في رغباتهم¹، وللتيجانيين أنفسهم مواقف تجاه هذه المسائل المبالغ فيها:

- فمنهم من وجد لها مبررات شرعية وذلك بإخراجها عن ظاهرها الذي يقفز إلى الأذهان من أول وهلة.
- ومنهم من اعتبرها من المسائل الدخيلة على الطريقة وهي ليست من الشيخ أحمد التيجاني.
- واتجاه آخر يسلم بها دون تأويل ولا انكار، ويعتبرها هؤلاء من فيض الله الذي يخص به خاصته من عباده بغير حساب ولا عقاب.

¹سكيرج أحمد، جنابة المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التيجاني، ج2، دار الطباعة الحديثة، القاهرة-1944م، ص73.

وقف علماء التيجانية ضد تيار الغلو عند أتباع الطريقة بالإنكار عليهم والتصدي لهم من خلال التأليف ومن بينهم نجد الحافظ التيجاني المصري في مؤلفه "الإفادة الأحمديّة" :
 (إن الشيخ أحمد التيجاني قال جواباً لمن سأله: أيكذب عليك؟ قال: نعم، إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه بميزان الشرع فما وافق فاعملوا به وما خالف فتركوه ... فلا يصح أن نأخذ إلا بما نعتقد أنه من الشرع لا بما يفهم بعضهم فيما ينسب للشيخ، ويزعمون أننا نعتقد فيما نحن من اعتقاده برآء وربما لم يخطر على بالنا)¹.

2- الوهابية والطريقة التيجانية:

صاحبت نشأة الطريقة التيجانية ظهور السلفية الوهابية ودخولها المغرب العربي وبالتحديد المغرب الأقصى الذي انتقل إليها الشيخ أحمد التيجاني، وقد اختلفت آراء الباحثين كون الشيخ قد تأثر بالفكر الوهابي والخطاب الذي يروج له خصوصاً وأن حلقات الاتقاء عديدة فما بينها كاستتكار الهيمنة العثمانية على العالم الإسلامي وكذى الانحرافات التي طالت سلوكات المتصوفة وغيرها من القضايا التي كانت تشغل مفكري تلك الفترة من الزمن.
 بدت الانحرافات والضلالات في ميدان التعبد وسلوك عامة الناس والمتصوفة بالخصوص في القرن التاسع عشر جليلة حيث تسربت إليهم ما أدى إلى تعالي أصوات

¹ حافظ التيجاني، الإفادة الأحمديّة، ص 63.

العلماء الذين استنكروا ذلك ودعوا إلى عودة روح السلف الصالح والتصدي لمظاهر الجهل والانحطاط والانشغال بالأمر الشخصية. وبالتالي ومما لا شك فيه أن الشيخ استطاع ومن خلال تجواله أن يلخص الوضع.

أثار الخطاب التيجاني جدلا كبيرا في أوساط العلماء قديما وحديثا وقد ألف في هذا المجال عدة مؤلفات تهاجم هذا الخطاب وخاصة من طرف الوهابيين الذين ردوا على أقوال الشيخ من خلال ما ورد في كتاب جوهر المعاني وغيره، خاصة كبار علماء السلفية ومنهم محمد بن تقي الدين الهاللي، والشيخ صلاح الفوزان، والشيخ ناصر الدين الألباني وقد وصفوا القائل بها بالسفيه والواجب تجنب أهل البدع¹.

لم تكتف علماء السلفية الوهابية بالإنكار على الصوفية جميعا وبالخصوص التيجانيين منهم بل تصدوا لهذا الخطاب بحجة نصره الدين والذود عن عقيدته الصحيحة وقد جاء في أحد مؤلفاتهم قول: (... فلا يجوز السكوت على تلك البدع وهذه المنكرات إيثارا للسلامة، وإرضاء للخصوم، لأجل عرض من أعراض الدنيا الحقير، ولا يجب أن تؤجل النصيحة في هذا الأمر إلى مدى لا يعلم)².

¹ ربيع المدخلي، منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والوائف، ط1، دار الآثار، الجزائر-2002م، ص20.

² الوصفي، موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، ص316.

وقد واصل تهجم الوهابيين على المتصوفة لدرجة التكفير رغم ما جاء في أقوال الألباني: "...لو وقع فرد من هؤلاء الذين يصلون معنا ويصومون معنا، لو وقع في الكفر، نحن لا نكفره، لكن إذا علمنا ذلك، نبين أن هذا هو الكفر، وهذا هو الشرك بالله عز وجل، فأياك وإياه". لكن ما هو حاصل في الواقع غير ذلك فهم يكفرونه علنا دون حرج وهذا ما جاء في مؤلفاتهم وسنتكلم عن بعضها.

ومن أهم المؤلفات نجد "الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية" لصاحبه محمد بن تقي الدين الهلالي¹ يعد هذا الكتاب رداً على التجانية، وبين حقيقة هذه الطريقة وما فيها من الأباطيل، ليحذرنا من لم يقع في شباكها ويتنبه لما فيها والذين لا يزالون متورطين في مهاويتها. حيث أن المؤلف كان في البداية من المنتسبين إلى الطريقة التجانية كما يحكي في كتابه. ومن المتعصبين لها، وقد كان بارزا فيها بمرتبة "المقدم" المؤهل لإعطاء وردها وتلقيها مريديها².

¹ هو والرحالة المغربي الرائد الشيخ السلفي الدكتور محمد النقي المعروف بـ محمد تقي الدين الهلالي ، كنيته أبو شكيب إذ سمي أول ولد له على اسم صديقه الأمير شكيب أرسلان ويقال ويرفع نسبه إلى موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين، بن علي و فاطمة بنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وقد أقر هذا النسب السلطان الحسن الأول حين قدم سجلماسة سنة 1311 هـ .ولد الشيخ في نفس سنة بقرية "الفرخ" ، وتسمى أيضا بـ "الفيضة القديمة" على بضعة أميال من الريصاني، وهي من بوادي مدينة سجلماسة المعروفة اليوم بتاغيلالت الواقعة جنوبا بالمملكة المغربية. تزعرع في أسرة علم وفقه.

² الهلالي محمد تقي الدين، الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية، ط2، المدينة المنورة-1970م، ص85.

وكتاب "عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية" لصاحبه أحمد بن عبد العزيز القصير وفيه جاء ما يلي: لم يلتزم المؤلف بمرحلة زمنية معينة وإنما الفترة غير محددة ولا على طريقة صوفية واحدة فعنده كل الطرق تؤمن بوحدة الوجود حتى الطريقة أخذت حضاها من الكتاب¹ ردا على عقيدة وحدة الوجود وعلى العقائد والطقوس والآراء المتصوفين الكبار التي ورد الحديث عنها في ثنايا الكتاب بالرد الموجز ومخالفتها للإسلام. وكتاب "مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني" لصاحبه الشيخ محمد الأخضر الجكني الشنقيطي.

3-رد التيجانيين من خلال مؤلفاتهم:

لكن المتصوفة لم يبقوا مكتوفي الأيدي وإنما كان ردهم عنيفا وبالاستنكار لما بدر من الوهابيين فألفوا العديد من الكتب ومنها:

ما ألفه الحافظ المصري والذي يتميز بالهدوء في مناقشة المسائل المطعون فيها بطريقة علمية سلسلة، لكن في بعض مراحلها كان يتجاوز ذلك الهدوء، ومن مؤلفاته كتاب "رد على أكاذيب المفترين على أهل اليقين"، "الانتصار في الرد الإنكار على الطريقة"، "الانتصاف في رد الافتراء على السادة التيجانية"، براءة الطريقة التيجانية من كل ما يخالف الشريعة"...

¹ القصير أحمد بن عبد العزيز، عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، ط1، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض - 2003م، ص216.

ونجد كذلك "سرية الفلاح والجيش الكفيل" لمحمد بن الصغير الشنقيطي و"أقوى الأدلة والبراهين" لحسن حسن مالك و"الإيمان الصحيح" لأحمد سكيرج وكتاب "جيش الطلع بالمرهفات القاطع" لصاحبه محمد أنياس الكولخي وهو رد على كتاب "مشتهى الخارف الجاني..." أنف الذكر.

الكتب عديدة وكثيرة في الرد عن تهجم على الشيخ أحمد التيجاني وطريقته وقد تحجج الكثير منهم بكون أن الكلام الوارد عن الشيخ مدسوس ومشكوك فيه مع استعمال أساليب التملص بطرق ذكية من بعض المآزق التي قد يوضعون فيها.

خاتمة الفصل:

يجرنا الحديث عن الخطاب التيجاني إلى مجموعة من الاستنتاجات:

-لم تتوقف رؤية الشيخ التيجاني للرسول صلى الله عليه وسلم مرة واحدة بل يذكر أنه كان يلقنه الأوراد على مرحلتين.

-لم تختلف أوراد وأذكار الطريقة التيجانية عن الطرق الأخرى والتي سبقتها كالقادرية والرحمانية وغيرها.

-لم تخف الطريقة التيجانية رأبها في المسائل العقيدية كوحدة الوجود والتي يقربها الشيخ ويشترط فيعا أن يكون القلب سليما بالوهب الرباني والفيض الرحماني.

- أما مسألة أسبقية النور الأحمدى على الخلائق جميعا فإن التيجاني وأتباعه بالغوا كثيرا في تعظيمها إلى حدود لا يتقبلها العقل البشري.
- أثارت مسألة رؤية الرسول يقضة لا مناما جدلا كبيرا في أوساط المتصوفة والفقهاء ممن عاصروه وبعده خاصة من الوهابيين الذين شنوا حملة شرسة ضده متهمينه اتهامات خطيرة.
- لم يبق التيجانيون مكتوفي الأيدي بل ردهم كان سريعا بواسطة مجموعة من المؤلفات حاولوا من خلالها تبرئة شيخهم وفي بعض الأحيان القول بأنه هناك من الأقوال لم ترد عن الشيخ وهي مندسة.

خاتمة

خلال تناولنا موضوع الخطاب الصوفي في الفترة العثمانية ببلاد المغرب بالدراسة والتحليل فلا يخفى وصوله إلى أوج تطوره نتيجة لعدة عوامل نذكر منها دور الحكام العثمانيين في دعمه ونصرته خاصة في بداية تواجدهم بالجزائر وذلك للتمكين من حكمهم وبالتالي فقد خلصنا إلى مجموعة من الاستنتاجات نحصرها في ما يلي:

-مر الخطاب الصوفي بمراحل فمن طور الزهد إلى العشق الإلهي ثم طور السكر ثم طور الحلول وبعدها جاءت مرحلة التأليف التي أسست لعلم التصوف ووضعت له أسسا وقواعد ونجد من هؤلاء المؤلفين سراج الدين الطوسي وأبو حامد الغزالي بكتاب "إحياء علوم الدين" والذي يعتبر من أهم المؤلفات في التصوف.

-لم يكن ظهور الطرق الصوفية محل الصدفة بل كان نتيجة لنضج فعلي لواقع الخطاب الصوفي وتوفر العوامل التي ساعدت على جعلها قوة نذكر منها الحملات الصليبية على الأقطار الإسلامية تردي المستوى المعيشي...

-ساعدت الظروف وواقع المجتمع الإسلامي من جعل الأرضية الخصبة لتطور الفكر الصوفي وتغلغله في أوساط المجتمع خاصة النخب منهم حتى طبعته بطابع صوفي في جميع أمور الحياة وقد سيطرت السلطة الروحية على عقول العام والخاص.

-اهتمام السلطة المركزية بالطرق الصوفية في الجزائر وبلاد المغرب جعل منها قوة لا يستهان بها وقد شكل هذا التكامل نوعا من التوازن في الأدوار فقد اهتمت السلطة المركزية

بالمجال السياسي والحربي أما الميدان الاجتماعي والتعليمي ترك المجال فيه مفتوحا للطرق الصوفية.

- عملت المؤسسات الصوفية على توفير الأمن والأمان لجميع شرائح المجتمع إلى جانب ذلك كان مصدر بث لخطابها الداعي لأنه لا كون الخلاص إلا بطاعة الشيخ طاعة عمياء فهو المخلص بعد الله تعالى.

- عرفت بلاد المغرب في أواخر الوجود العثماني ظهور خطاب معادي للخطاب الصوفي عن طريق الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية كما عرفت بلاد المغرب إرهابات أولى لهذا الحدث لقلة النصوص المغاربية وقد فسرنا ذلك لكونه لم يكن حدثا مهما حتى تكتب له مؤلفات ويدون له تاريخ.

- عملت التهديدات الصليبية على تقوية الطرق الصوفية والتفاف الناس حولها نتيجة غياب شبه تام للسلطة المركزية مما جعلها تتدخل في قرارات الحكام بالعزل والتنصيب.

- شجعت كثرة الطرق الصوفية على الدخلاء في بث أفكارهم المغلوطة التي أثرت على التصوف السليم مما أثار حفيظة الشيخ عبد الكريم الفكون الذي دعى إلى العودة إلى الكتاب والسنة النبوية.

-نشأت الطريقة التيجانية في خضم تضارب في الخطابات مع تردي الوضع الاجتماعي وتضييق على الطرق الصوفية من طرف الحكام العثمانيين ورغم تلك الظروف استطاعت أن تكون لها مكانة في ظل العدد الهائل من الطرق الصوفية.

-لم تخرج الطريقة التيجانية عما ألفناه عن الطرق الصوفية الأخرى لكن الشيخ خصها ببعض الخصوصية كانت غايته منها الوصول إلى توحيد الطرق الصوفية وصرها في طريقة واحدة والدليل على ذلك شرط التخلي عن الطرق الأخرى وربطه بالرسول صلى الله عليه وسلم.

-عرف التيجانيون مؤاخذات بخصوص بعض المسائل التي لا يستوعبها العقل العادي ومن الذين وجهوا حملتهم الشرسة على الخطاب التيجاني نجد الوهابيين الذين ألفوا كتباً تطعن في عقائدهم.

-كان الرد سريعاً من طرف شيوخ التيجانية الذين برأوا شيخهم من بعض المسائل متحججين في ذلك كونها لم ترد عن شيخهم وقد ألفوا كتباً تبين وجهة نظرهم في الأقوال المشبوهة.

حلا حقا

-وثائق ورسائل-

الوثيقة الأولى: رسالة محمد بن عبد الوهاب إلى القطر التونسي.

الوثيقة الثانية: الرسالة التي بعث بها حمودة باشا ردا على رسالة محمد بن عبد الوهاب.

الوثيقة الثالثة: رسالة من الشيخ أحمد التيجاني إلى أحد رؤساء الدولة.

الوثيقة الرابعة: رسالة من الشيخ أحمد التيجاني إلى بعض طلابه.

الوثيقة الخامسة: نص إجازة الشيخ أبي العباس أحمد التيجاني للشيخ محمد بن مشري.

الوثيقة السادسة: رسالة من الحاج على التماسيني إلى أحد أصحابه بقمار.

جهانه وتبعوا يشركون واما من انزل من السماء من عند الله
 وسالك وانتم شعاعه في عبيد شع وانشرك بهم وكان ذلك ان
 الشعاة كلها لله كما قال الله تعالى واليه الشعاة جميعا
 طاب شع امر عيسى النابا انه وقال تبع بيومئذ لا شع الشعاعه
 الا ان اذن له الرضا نور حتى له قوله وهو سبحانه لا يرضى
 التوحيد كما قال تبع وطه شععون الذين ارتضوا الشعاعه
 ضووه تطلب في دار الدنيا الا ان الله كما قال الله والى الساجدين
 له طاب شع عواج الله اصدا وطاب شع وطاب شع من دون الله طاب
 يبعك وراييك بان يهتف يا انك اذن من الظالمين هذا
 كان رسول الله صل الله عليه وسلم وهو سيد الشعاعه
 وطاب شع الطلح المحمود ومن يدينه لا شع للبلاد الله
 والشع ابتداء بل ياتي بغير له سايدا فيهم بل يامر بعليه
 ايلاد شع يفرار مع راسك وراشك تفك وان شع نشع
 شع عجله ما ييد ظلمهم الخفة وكيف بعيره من الانبياء
 والاولياء وكما قال الذي في بناء الخايعه الله من العليين
 بل قد اجمع عليه السلطه الطاهره الصالحه والتابعين والحقه
 الراجعه وغيرهم من سلك مسلكهم ورجعهم منتقا فيهم
 هو واحد من شعوا الانبياء والاولياء الشعاعه بغير شع
 وتبعهم فيورهم بينا القبايع عليها واسرارها والطلاة
 عذرها وانما هذا عباد او من الصلوة والنور والحق لكل
 ذلك من عوادتي الاسرار التي اصبح يورثوها صل الله عليه

صل الله عليه وهو منتقا لايه الكذبة صل الله عليه وسلم
 انه قال لا تقربوا الساعه حتى يلقوا انواع من النبي والمشي كيقين
 وهو بعد انواع من النبي والاراد ان يلقوا صل الله عليه وسلم
 كما طاب التوحيد اعلم في حياته وبعد ذلك طاب موصل النبي
 انشرك ولقد ان يحضر الفخر وبيننا عليه كما كتبت في حروف
 صل على مطير وثبت في يدك انه بعث عليه بنابه طالب
 رضى الله عنه وامر ان لا يدع فورا مشربا الاسراء
 والاعتناء بالخمسة ولذا قال غير واحد من العلماء يجب
 هج القبايع المعينه على النبوة وانما استفتى على مصيبة
 الرسول صل الله عليه وسلم بل يندد الي ارضي الاخطاب
 بيننا وبين الناس حتى ان الذين ان كبرونا وفانلونا
 واستحلوا دماءنا واموالنا حتى نرضنا الله عليهم وكلنا بنا
 بهم وهم التي ندعو القامق اليه ونطالبه عليه بغير ما
 نفع عليه الخبة من كتاب الله وسنة رسوله واجماع
 السالكين الصالحين من اللغية المحققين بقوله صل وطاب شع شع
 لا يكون قبيحة ويكون الذين كلفه الله من لا يجب الاعوان
 باخية والبيانات دعونا بالصبيحة والسفان كما قال تعالى
 لقد ارسلنا رسلك بالبيانات وانزلنا معهم الطور والقرآن
 ليضع الناس بالامسك وانزلنا الحديد بيده يلقى شع
 الى اقامة الصلاة والركوة ووضع رمضان وهي بيت الله الخراج
 ونامر واداعروا ونهوا عن المنكر كما قال الله الذين ان كلهم

نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم، نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شر أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل الله فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله. من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى، ولا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا.

أما بعد، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾. وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمرنا بلزوم ما أتى به إلينا من ربنا، وترك البدع والتفرق والاختلاف. وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمته آخذة ما أخذته الأمم قبلها شبرا فشبرا وذراعا وذراعا. وأخبر في الحديث أن أمته ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: (من هي يا رسول الله؟) قال: (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي).

وإذا عرفت هذا، فمعلوم ما عمت به البُرَى من حوادث الأمور التي أعظمها الشرك بالله، والتوجه إلى الموتى، وسؤالهم النصر على العدى، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلى رب الأرض والسموات، وكذى التقرب إليهم بالندور، ذبح القربات، والاستعانة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله تعالى.

وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها، لأنه سبحانه أغنى الأغنياء عن الشركاء، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى، ويشفعون لهم عنده، وأخبر أنه لا يهدى من هو كذاب كفار.

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

فأخبر أن من جعل بينه وبين الله وسائط لاجل الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم، وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾. ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾. وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾.

فالشفاة حق، ولا تطلب في الدار الدنيا إلا من الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو سيد الشفعاء، وصاحب المقام المحمود، وآدم فمن دون دونه تحت لواء، لا يشفع إلا بإذن الله، ولا يشفع ابتداء، بل بل يأتي فيخر الله ساجدا، فيحمده بمحامد يعلمه إياه، ثم يقول له: «ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع» ثم يجد له حدا فيدخلهم الجنة، فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء؟ وهذا الذي ذكرنا لا يخاف فيه أحدا من علماء المسلمين، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم. وما حدث من سؤال الأنبياء والولياء من شفاة بعد موتهم، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وإسراجها والصلاة عندها وجعل الصدقة والنذور لها، فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر أخبر بوقوعها النبي صلى الله عليه وسلم أمته وحذر منها، كما في الحديث عن صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى تَعْبُدَ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ».

وهو صلى الله عليه وسلم حمى جانب التوحيد أعظم حماية، وسد كل طريق موصل إلى الشرك، فنهى ان يجصص القبر ويبنى عليه، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر، وثبت فيه لفظ أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن لا يدع قبرا مشرفا

إلا سواه. ولذلك قال غير واحد من العلماء: "يجب هدم القباب المبنية على القبور"، لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، حتى آل الأمر إلى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا، حتى نصرنا الله عليهم وضمفنا بهم، وهو الذي ندعوا الناس إليه ونقاتلهم عليه، بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع السلف الصالح من الأئمة، ممتثلين لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينَ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾. فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان، دعوانه بالسيف والسنان، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسَ بِالْقِسْطِ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾.

وندعو إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام، ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر، والله عاقبة الأمور.

فهذا ما نعتقد وندين الله به، فمن عمل على ذلك فهو أخونا المسلم، وله ما لنا وعليه ما علينا. ونعتقد أيضا أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة، وإنه لا يزال طائفة من أمته على الحق منصوره، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك.

انتهى

حتى انهم المذاق وخلصوا المذاق وخلصوا المذاق انما اتركه وعاد
 اناسه يجمعون برده اية ويخونون ههنا انك ما في اكرم
 ما سرع انهم به اجنات واضحه البله ورجع العباد كما ضم
 يا اظا العيون بعد تكلم بنوا الموسى من القبايه ايه العيون
 وكلمهم مع سائر من حضر من العباد والنايحيه كونه معلوم
 بينهم وبين الله واسلكه من الناس وتسمعوا اليه يا ايها
 وهو اشركوا ايضا الصلح مع الله غير ما منهم من الظلمه
 الذين القبح غير كماله والبر والبر والبر والبر والبر
 حتى انك ابر وانما عن سبيلهم من المايق العاقر وجره
 سبيلها وانما فيك ما وعقد عليه الصلاه والطاير افتم
 من يبع اليك غير وعمر اة انما ضربه خرا ايج من العباد الا
 تملح عثماني من عجمان وعلين من ايه كلابه وبيروا من ايه
 لك هو الذي من وراءه لا سبيل له من سبيل ان سبيل
 يا قول في اية الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 على الله عليه والبر والبر والبر والبر والبر والبر والبر
 وهي من علك التيمون وانما فيك الاستعجاب منه وانما
 عليه منه في الكواكب والبر والبر والبر والبر والبر
 عليه الصلاه والطاير يا ايها انما استعجاب لونه انما في
 في سائر الا والبر والبر والبر والبر والبر والبر والبر
 وتوسل لغيره انك التيمون في الا في الا في الا في الا في
 او يصعد من الكور والبر والبر والبر والبر والبر والبر

او فيه التيمون الا والبر والبر والبر والبر والبر والبر
 لتقلوا من ارايها ان ارايها ان ارايها ان ارايها ان ارايها
 للذين في زياره الا والبر والبر والبر والبر والبر والبر
 شق العاصم والبر والبر والبر والبر والبر والبر والبر
 انوا انما فيك من الشيطان ولا يشتمونك الا ان الشيطان كما في
 يد من كذا كذا انما فيك من الا والبر والبر والبر والبر
 عن الحقة زابض وعن الشيطان والبر والبر والبر والبر
 قفوه الا فيك من احد من المسلمين اعتره وبينه والبر والبر
 الذين لان اهل الحقة والجملة يفتنون ليس الا فيك الشيطان
 كما العاقر الضال والبر والبر والبر والبر والبر والبر
 ومن من شق العاصم من النامه كذا ورواها الطائفة ومن
 البرية يشق من مثل ربيته وعن رما العاصم فانهم
 طاعتهم ليس على الله عليه وسلم ولا يشق الله عليه
 عليه يبع الا الشيطان والبر والبر والبر والبر والبر
 للمؤمنين الذين يبعون الا فيك من الا والبر والبر
 الشيطان الا فيك الا فيك من الا في الا في الا في الا في
 على تدقيق العاصم في التكفير بالادوية والله يبع عليه
 واما ما سمعتم اليه من احد من اهل البيت من الا والبر
 عن غيرهم من الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 والعصية انما في الا في الا في الا في الا في الا في
 من الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في

اي

نوع مساجد العباد انما فيك من الا في الا في الا في الا في
 كان الله ان يظنوا الا في الا في الا في الا في الا في
 عذاب عليهم وكانك سمعت في الا في الا في الا في الا في
 في القبح من العباد والبر والبر والبر والبر والبر
 من ايا من غير عيال ولا من ايه في الا في الا في الا في
 من الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 ولو ما رضى الله واستصحبته حذرة الا في الا في الا في
 لشره في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 كما ضر وكان محذرا في الا في الا في الا في الا في
 مفار الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 على بغيره المستحسن والبر والبر والبر والبر والبر
 المسجون والكماليه امل الكرم الملوكة لهم ليطول في
 حقاك على علم ملكهم في الا في الا في الا في الا في
 عليهم في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 ملهم في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 اذ تلفيت من الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 وتشر لم من نازلة الا في الا في الا في الا في الا في
 ما في الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 مشر واذ الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 التكاثر وانما في الا في الا في الا في الا في الا في
 اذ ان ما له وان له شعبة في الا في الا في الا في الا في

للزوار تقية وتليق نفسه عن خطه وتزويه وشعر من شدة
 التكمير وابعثوا التبع والتفسير باذنه في الا في الا في
 تقع حول الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 كل مبلغ من غير سرافيه الا في الا في الا في الا في
 جزء الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 التي انتظا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 وانما في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 مع بعد الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 والبر والبر والبر والبر والبر والبر والبر والبر
 وجميع الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 للعلماء الذين في الا في الا في الا في الا في الا في
 الحسين والبر والبر والبر والبر والبر والبر والبر
 الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 واما في الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 حوزة الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 الله فكل الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 طاب حوزة الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 شوق حوزة الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 هذا الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في
 اول الا في الا في الا في الا في الا في الا في الا في

البر

راغتنص بالله صرا وعلينا اوتيك في قوله نعم قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
 وما كنا من مشركيه وبخل ولا صغية في النفاية ولا كل نفس للمدين ونجى حواء وما
 الفخ الذي من عنده الله واحاطا طال في حقوتكم ودار في رءوسكم واقترن اليه يد
 الطبع وولنته الهيل والخذ من الكج من البعثة الذي فتح ومن ما بعهم لم يضرهم
 من ظالمهم والكج من الظالمية الكلام في عا الحق وان هوى النفاية تطرق الكج وتحق
 مكلما وما شال ان يكون الكج في هوى النفاية من زهيب او ان يصير كثر ارثها يعرض
 او تصيب بان هوى العروب وان كان واردة اجمعا الى الكج لم توجوا كرفه تشيما
 بان في بعث رواياته زياته وهم بالقرن وفي تجبك عن ادراك هوى النفاية
 وتبهدج عنها بصر المطار في من المطار بان يفت يدك ما ليس اليك ولتخذ
 عينيك اي من عرف عليك ما الكج الشربا من يصيب امكن من هوى المستعملين
 اما المل هوى الصغاع والذين يايديهم مفا ليد هوى الصغاع مبع اجرا ان يكونوا
 من ضوائقا وتمت ايدهم الى ضوائقا الهمة عفا ليد هوى السنية والبايعج مبع
 الشريعة المحوية ويندجج الا بتداع في الدين والبقاء هوى للجماع ويصير المؤمن
 وقد انبا تنلي هوى الكذب واعترت في كج الخطاب عن عفا ليد البتة الزايعين
 عن السنة المنبصر الراكين مراكب الاعتقاد الراميين عن جمع الكلة والالتفاف
 بالصبغة النبوية ان تفرغ ليا من العفا ليد العاصم وتشر بل العفا ليد العجم
 وترجع الى الله وتومر بلقبيا ولم تكبر احد بذنب اخفاه بان يفتح مبع
 خير لكم وان توليتج ما علموا الكج غير عجز الله وزيه الكواه ومجدة الخطاب
 انك ان فموت يا اذا العرب نصك واسون بالتوبة حرصك واد ملت بالذاتية فرك
 جرحيا باخ الصلاح والصلاح والانتفاي عا للطاعة والنجاح وجمع الكلة والصلاح
 واما ان اكلت في حجة الضواية سمحك وشيدت في العنفة حرصك واخطيت
 عارضا رمك بان يبيحك ميعر مطح وما نفع اله من يتفقد الصلاح ويحيل
 في الحروب ما يرا الضاح والله تقع بعدد صلح الالفه بها حبه ويرطه
 ويجر ضراع البعثة البليغية حتى تبيع اي امر الله انتبهي

الجماعية

نص الرسالة:

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (سورة: الأعراف، آية: 89)،
 ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَبِحَنَّا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾
 (سورة: يونس، آية: 85-86)، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا
 اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة: المائدة، آية: 105)، ﴿ يَا
 أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْجُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ
 الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ
 صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَانِ ﴾ (سورة: المائدة، آية: 02).

أما بعد هذه الفاتحة، التي طلعت في سماء المفاتحة، فانك راسلتنا تزعم أنك القائم
 بنصرة الدين ، وإنك تدعو إلى البصيرة لما دعا إليه سيد الأولين والآخرين، وتحت على
 الاقتفاء والاتباع، وتتهى عن الفرقة بالابتداع، وأشرت في كتابك إلى النهي عن الفرقة
 واختلاف العباد، فأصبحت كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا
 وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ (سورة: البقرة، آية: 204-205).

وقد زعمت أن الناس قد ابتدعوا في الإسلام أموراً، أشركوا بالله من الأموات جمهوراً،
 في توسلهم بمشاهد الأولياء عند الأزمات، وتشفعهم بهم في قضاء الحاجات، ونذر النذور
 إليهم والقربات، وغير ذلك من أنواع العبادات، وأن ذلك كله إشراك برب الأرضين
 والسموات، وكفر قد استحللتم به القتال وانتهاك الحرمات، ولعمر الله أنك قد ضللت
 وأضللت، وركبت مراكب الطغيان بما استحللت، وشنعت وهولت، وعلى تكفير السلف

والخلف عوّلت، وها نحن نحاكمك إلى كتاب الله المحكم، وإلى السنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

أما ما أقدمت عليه من قتال أهل الإسلام، وإخافة أهل البلد الحرام، والتسلط على المعتصمين بكلمة الشهادة، وأدمت إضرار الحرب بين المسلمين وإيقاده، فقد اشترتكم في ذلك حطام الدنيا بالآخرة، ووقعتم بذلك في الكبائر المتكاثرة، وفرقتم كلمة المسلمين، وخلعتم من أعناقكم رقية الطاعة والدين، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَايِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (سورة: المائدة، آية: 94) وقال عليه الصلاة والسلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله - أي ومحمد رسول الله - فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله»

وحيث كنت لكتاب الله معتمدا، ولعماد سنته مستندا، فكيف بعد هذا -ويحك- تستحل دماء أقوام بهذه الكلمة ناطقون، وبرسالة النبي صلى الله عليه وسلم مصدقون، ولدعائم الاسلام يقيمون، ولحوزة الاسلام يحومون، ولعبدة الأصنام يقاتلون، وعلى التوحيد يناضلون، وكيف قذفتم أنفسكم في مهواة الإلحاد، ووقعتم في شق العصا والسعي في الأرض بالفساد؟

وأما ما تأولته عليهم من تكفيرهم بزيارة الأولياء والصالحين، وجعلهم وسائط بينهم وبين رب العالمين، وزعمت أن ذلك شنشنة الجاهلية الماضين، فنقول لكم في جوابه: معاذ الله أن يعبد المسلم تلك المشاهد، وأن يأتي إليها معظما تعظيم العابد، وأن يخضع لها خضوع الجاهلية للأصنام، وأن يعبدها بسجود أو ركوع أو صيام، ولو وقع ذلك من جاهل لانتفض إليه ولادة الأمر والعظما، وأنكر العارفون والعلماء، وأوضحوا للجاهل المنهج القويم، وهدوه الصراط المستقيم.

وأما ما جنحت إليه، وعولت في التفكير عليه، من التوجه إلى الموتى وسؤالهم النصر على العدى، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، التي لا يقدر عليها إلا الرب الأرضين والسماوات، إلى آخر ما ذكرتم، موقداً به نيران الفرقة والشتات، فقد أخطأت فيه خطأ مبيناً، وابتغيت فيه غير الإسلام ديناً، فإن التوسل بالمخلوقات مشروع، ووارد في السنة القويمة ليس بالمحذور ولا ممنوع، ومشارع الحديث الشريف بذلك مفعمة، وأدلته كثيرة محكمة، تضيق المهارق عن استقصائها، ويكل اليراع إذا كلف باحصائها، ويكفي منها توسل الصحابة والتابعين، في خلافة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، واستسقاؤهم عام الرمادة بالعباس، استدفاعهم به الجذب واليابس، وذلك أن الأرض أجدبت في زمن عمر رضي الله عنه، وكانت الرياح تذر تراباً كالرماد لشدة الجذب، فسميت عام الرمادة لذلك، فخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس بن عبد المطلب يستقي للناس، فأخذ بضبعيه، وأشخصه قائماً بين يديه، وقال: "اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك، فإنك تقول وقولك الحق: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (سورة: الكهف، آية: 82)، فحفظتهما لصالح أبيهما، فاحفظ اللهم نبيك في عمه، فقد دنونا به إليك مستغفرين، ثم أقبل على الناس وقال: "استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، والعباس عيناه تتضحان يقول: "اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالّة ولا تدع الكسير بدار المضيعة، فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم فأغنهم بغياتك فقد تقرب القوم إليك بمكانتي من نبيك عليه السلام، فنشأت سحابة، ثم تراكمت، وماست فيها ريح، ثم هزت، ودرت بغيث واكف، وعاد الناس يتمسحون بردائه ويقولون له: "هنيئاً يا ساقى الحرمين.

فاخبرني -يا أبا العرب- هل تكفر بهذا التوسل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، وتكفر معه سائر من حضر من الصحابة والتابعين، وهل أشركوا بهذا الصنيع مع الله غيره،

وما منهم إلا من أنهضته الدين القويم غيرة. كلاً والله، أقسم بالله وتالله، بل مكفرهم هو الكافر، والحائد عن سبيلهم هو المنافق الفاجر، وهم أهدي سبيلاً، وأقوم قبلاً. وقد قال عليه السلام: « إِفْتَدُوا بِمَنْ بَعْدِي، أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ». وإذا قدحت في هذا الجمع من الصحابة الذين، و [من] رواه لك مبلغاً عن سيد المرسلين؟ ثم ما تصنع يا هذا في الحديث الآخر الذي رواه مسلم في صحيحه مرفوعاً للنبي صلى الله عليه وسلم في أويس، وأنه أخبر به عليه الصلاة والسلام وهم من أعلام النبوة، وأمر عمر بطلب الاستغفار له. وقد قال الله تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (سورة: يوسف، آية: 97).

فالزائر للأولياء والصالحين أما أن يدعو الله لحاجته، ويتوسل بسر ذلك الولي في إنجاح بغيته، كفعل عمر في الاستسقاء، أو يستمد من الزوار الشفاعة له وإمداده بالدعاء، كما في حديث أويس القرني، إذ الأولياء والعلماء كالشهداء أحياء في قبورهم، إنما انتقلوا من دار الفناء إلى دار البقاء.

فأي حرج بعد هذا يا أيها القائم للدين، في زيارة الأولياء والصالحين؟ وأي منكر تقوم بتغييره، وتفتحم شق العصا وإضرار سعيه؟ ولعلك من المبتدعة الذين ينكرون أنواعاً كثيرة من الشفاعة، ولا يثبتونها إلا لأهل الطاعة، كما أنه يلوح من كتابك إنكار كرامات الأولياء، وعدم نفع الدعاء، وكلها عقائد من السنة زائغة، وعن الطريق المستقيم رائغة.

وقولكم أن ما قلتموه لا يخالف فيه أحد من المسلمين، افتراء ومين، وإلحاد في الدين، لأن أهل السنة والجماعة، يثبتون لغير الأنبياء الشفاعة، كالعلماء والصالحين وآحاد المؤمنين، فمنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للفتام الناس، كما ورد أيضاً أن أويس القرني يشفع في مثل ربيعة ومضر. وأما المعتزلة فإنهم منعوا شفاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم، وأثبتوا الشفاعة العظمى من هول الموقف، والشفاعة للمؤمنين والمطيعين أو

التائبين في الدرجات، ولم يثبتوا الشفاعة لأهل الكبائر الذين لم يتوبوا، في النجاة من النار، بناء على مذهبهم الفاسد من التكفير بالذنوب، وأنه يجب عليها التعذيب.

وأما ما جنت إليه من هدم ما بني على مشاهد الأولياء من القباب، من غير تفريق بين العامر والخراب، فهي الداهية الدهياعوالعظيمة العظمى من الظلم، التي أضلك الله فيها على علم، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة: البقرة، آية: 104). وكأنك سمعت في بعض المحاضر، بعض الأحاديث الواردة في النهي عن البناء على المقابر، فتلفته مجملا من غير بيان، وأخذته جزافا من غير مكيال ولا ميزان، وجعلت ذلك وليجةً إلى ما تقلدته من العسف والطغيان، في هدم ما على قبور الأولياء والعلماء من البنين. ولو فاوضت الأئمة، واستهديت هداة الأمة، الذين خاضوا من الشريعة لُججها، وقتحموا ثَبَجَهَا، وعالجوا غمارها، وركبوا تيارها، لاخبروك أن محل ذلك الزجر، ومطلع ذلك الفجر، في بناء في مقابر المسلمين، المعدة لدفن عامتهم، لا على التعيين، لما فيه من التحجير على بقية المستحقين، ونبش عظام المسلمين. وأما ما بينيه المسلمون أو الكفار في أملاكهم المملوكة لهم، ليصلوا بمن يدفن هناك حبلهم، فلا حرج يلحقهم، ولا حرمة ترهقهم. فكما لا تحجير عليهم في بناء أملاكهم دورا أو حوانيت أو مساجد، كذلك لا حرج عليهم في جعلها قبابا أو مقامات أو مشاهد.

ثم ليتك إذا تلقفت ذلك منهم، ووعيته عنهم، أن تعيد عليهم السؤال، وتشرح لهم نازلة الحال، وهل يجوز بعد النزول والوقوع، هدم ما بني على وجه الممنوع، وهل هذا التخريب محظور أو مشروع. فإذا أجابوك أنه من معارك الانتظار، ومحل اختلاف العلماء والنظار، وإن منهم من يقول بإبقائه على حاله، رعيًا للحائز في اتلاف ماله، وأن له شبهة في الجملة تحميه، وفي ذلك البناء منفعة للزائر تقيه. ومنهم من شدد النكير، وأبى إلا الهدم والتغيير.

فإذا تحقق عندك هذا، فكيف تقدم هذا الإقدام وتخوض مزلق الأقدام، وتطلق العنان في هدم كل مقام، من غير مراعاة إل في الدين ولا نمام. فإذا انفتحت لك هذه الأبواب، نظرت بنظر آخر ليس فيه ارتياب، وهو المنكر الذي اقتضى نظرك تغييره، ليس متفق عليه عند أهل البصيرة، وأنه من مدارك الاجتهاد، وقد سقط عنك القيام فيه والانتقاد. ثم بعد الوصول إلى هذا المقام، أعد نظرا في ايقاد النار الحرب بين أهل الإسلام، واستباحة المسجد الحرام، وأخاف أهل الحرمين الشريفين، والاستهوان لإصابة لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فيتضح لك أنك غيرت المنكر في زعمك، وبحسب اعتقادك وفهمك، وأتيت بجمل كثيرة من المناكر، وطائفة عديدة من الكبائر، آذيت بها نفسك والمسلمين، وابتغيت بها غير سبيل المؤمنين، وتعرضت بها لأذية الأولياء والصالحين، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الله عز وجل قال من عادى لي وليا فقد آذاني بحرب»، فكفى بالتعرض لحرب الله خطرا، وقذفا في العطب وضررا.

وأما إنكار زيارة القبور، فأى حرج فيها أو محذور، وأي ذميمة تطرقها أو تعروها، مع ثبوت حديث «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»، فأن هذا الحديث ناسخ لما ورد من النهي عن زيارتها، وماح لما في أول الإسلام، من حماية أئمة من أسباب ضلالتها، لقرب عهدنا بجاهليتها، وعبادة أصنامها وآلهتها. وكيف تمنع من زيارتها، والنبي صلى الله عليه وسلم قد شرعها، وسام رياضها وأربعها، فقد ثبت في حديث عائشة أم المؤمنين، أنه صلى الله عليه وسلم زار بقية الغرقد واستغفر فيه لموتى المسلمين، وثبت أيضا أنه زار قبر أمه آمنة بنت وهب واستغفر لها.

وأخذ بذلك الصحابة والتابعون، ودرج عليه العلماء والسلف الماضون، فقد ثبت في الأحاديث المروية عن أئمة الهدى، ونجوم الاقتداء، أن فاطمة سيدة نساء العالمين زارت عمها سيد الشهداء، وذهبت من المدينة إلى جبل أحد، ولم ينكر من الصحابة أحد، وهم إذ

ذاك بالمدينة متآمرون، وعلى إقامة الدين متناصرون. أفتجعل هؤلاء أيضا مبتدعين، وأنهم سكتوا عن الاتباع في الدين؟ كلا والله، بل يجب علينا اتباعهم، ومن أدلة الشرعية إجماعهم. وقد مضت على ذلك العلماء في جميع الأقطار، وانتدبوا بأنفسهم للاستمداد من قبور الصلحاء، وقضاء الاوطار، وخذلوا ذلك في كتبهم ومؤلفاتهم، وسطروه في دواوينهم وتعليقاتهم، وقسموا الزيارة إلى أقسام، وأوضحوا ما تلخص لديهم بالأدلة الشرعية من الأحكام.

وذلك أن الزيارة أن كانت للتعاط والاعتبار، فلا فرق في جوازها بين قبور المسلمين والكفار، فإن الشريعة أخبرت بعدم غفران كفره، وعليه حملوا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ (سورة:التوبة، آية:84). وإن كانت الزيارة لاستمداد الزائر من المزور، وتوخي المكان الذي فضله مشهور، والدعاء عند قبره لأمر من الأمور، فلا حرج فيها ولا محذور، بل هو مندوب إليه، ومرغب فيه، وأنه مما تشد المطي إليه، ومن خالف في هذا الحكم سبيل جمهورهم، واتبع من الشبهات مخالف منشورهم، فقد شدد العلماء في التتكير عليه، وسددوا سهام النقد إليه، وأشرعوا نحوه رماح التضليل، وأرهفوا له سيوف التجهيل، واتفقت كلمتهم على بدعته في الاعتقاد، وثنوا إليه عنان الانتقاد، ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (سورة:الرعد، آية:33).

وأما النهي الوارد في شد المطي لغير المساجد الثلاث فإنما هو بالنسبة لنذر الصلاة فيها، فإنه لا يختلف ثواب الصلاة لديها.

وأما المزارات فتختلف في التصريف مقاماتها، وتتفاوت في ذلك كراماتها، وذلك لسر في الاستمداد ولا تطلع عليه، ضرب بسور له باب بينك وبين الوصول اليه، وقد أوضح ذلك حجة الإسلام، ومن شهد له بالصديقية العلماء والأولياء العظام.

وأما إدماجكم لقبور الأنبياء في اثناء النكير، والتضليل لزائرها والتكفير، فهو الذي أحفظ عليكم الصدور، وأترع حياض الكراهة والنفور، وسدد إليكم سهام الاعتراض، وأوقد شواظ البغض والارتماض.

فقل لي يا أبا العرب- هل قمت لنصرة الدين أم لنقض عراه، وهل أنت مصدق بالوحي لنبيه أم قائل: إن هو إلا إفك افراه؟ وما تصنع بعد اللثيأ والتي، في الحديث: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»؟ وأخبرني هل تَضَلَّ سليمان بن داود في بنائه على قبر الخليل، ومن معه من أنبياء بني إسرائيل؟ وما تقول -ربحك- في الحديث الذي رواه جهابذة الرواة، وصححه المحدثون الثقات، وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لما أسرى بي إلى بيت المقدس، مرّ بي جبريل على قبر إبراهيم عليهما السلام، فقال لي إنزل فصل هنا ركعتين، فإن ههنا قبر أبيك إبراهيم عليه السلام»؟ وعنه صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر أنه قال: «من لم تمكنه زيارتي فليزر قبر إبراهيم الخليل عليه السلام». فأين تذهب بعد هذا يا هذا؟ وهل تجد لنفسك مدخلا أو معادا؟ وهل أبقيت بعد تضليل جميع الأنبياء ملاذا؟ ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (سورة: آل عمران، آية: 08)

وأما تلميحكم للأحاديث التي تتلقفونها، ولا تحسنونها ولا تعرفونها، فهمتم بسبب ذلك في أودية الضلالة، ولم تشيموا بها إلا بروق الجهالة، وسلكتم شعابها من غير خبير، ونحوتم أبوابها بلا تدبر ولا تدبير، فإن الحديث « لا تتخذوا قبري مسجدا»، محمله عند البخاري على جعله للصلاة متعبدا، حفظا للتوحيد، وحماية للجاهل من العبيد، لأن المصلي للقبلة يصير كأنه وصل إليه، فحمى صلى الله عليه وسلم حمى ذلك من الوقوع فيه. وأما قصده للزيارة والاستشفاع، والاستمداد ببركته والانتفاع، وقصد المسلمين إياه من سائر البقاع، فما يسعنا إلا الاتباع.

وكذلك ما لوحث به إلى شد الرحال، فإنك أخطأت في الاستشهاد به في نازلة الحال، وذلك أن الحصر في المساجد، دون سائر المشاهد.

وكذلك ما لمحت إليه من حديث تعظيم القبر بأسرجه، فإنك أخطأت في واضح منهاجه، مع بهرجة نقه في رواجه، ومحملة -على فرض صحته- على فعل ذلك للتعظيم المجرد عن الانتفاع للزائرين، أما إذا كان القصد به انتفاع اللائذين والمقيمين، فهو جائز بلا مين.

وأما ما تدعونه من ذبائح والنذور، وتبالغون في شأنها التغيير والتكثير، وتصف ألسنتكم الكذب، وتثيرون في شأنها الهرج والشغب، فكون الذبائح المذكورة مما أهل به لغير الله مكابرة للعيان، وقذف بالافك والبهتان، فإننا بلونا أحوال أولئك الناذرين، فلم نر أحدا منهم يسمي عند ذبحها ولي من الصالحين، ولا يلطخ الضريح، بدم تلك الذبائح، ولا يأتون بفعل من الأفعال، الحاكمة على تحريم الذبيحة والأهلال.

وأما نذرنا لتلك المزارات، فليس على أنها من باب الديانات، ولا أن من لم يفعل ذلك يكن ناقص الدين في العادات، وإنما يقصدون بذلك مقاصد الرقى والنشر¹، والانتفاع في الدنيا بسر في التصديق بها استتر ولم يدر منها إلا ما اشتهر.

والواجب علينا وعليكم الرجوع في حكم نذرنا إلى العلماء والأعلام، المتضلعين من دراية الأحكام، المقيمين لقسطاسها، المسرجين لنبراسها، الناقلين على أساسها، ومن لديهم محك عسجدها ونحاسها.

فإن كنتم للحق تقيمون، ومن مخالفة الشريعة تتجرمون، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة: النحل، آية: 43)، ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾

¹ النشرة بضم النون : ضرب من الرقية والعلاج، يعالج به من كان يظن أن به مسا من الجن.

(سورة:الأعراف،آية:86)، فإنهم يهدونكم السبيل، ويفتونكم في المسألة بالتفصيل، وأن هذا النادر أن نذر تلك الذبائح للولي المعين بلفظ الهدى والبدنة، فقد جاء بالسيئة مكان الحسنه. ولكن ما رأينا من خلع في هذا المحذور رسنه، ولا أهتصر فننه، وإن نذر تلك الذبائح لمحل الزيارة، بغير هاته العبارة، وكان من الذبائح التي تقبل أن تكون هديا، فهل يلزمه أن يسعى به لذلك المزار سعيا، أو لا يلزمه إلا التصدق به في موضعه رعيًا، خلاف في مذهب مالك شهير، قرره العلماء النحارير. وأن كان ذلك النذر مما لا يصح إهداؤه وتشرعّه، لا يلزمه إلا التصدق به في موضعه.

وإذا اتضح لديك الحال، فأى داعية للحرب والقتال؟ وهل يتميز المشروع من هذه الصور بالمحذور، إلا بالنيات التي لا يعلمها إلا العالم بما في الصدو؟ والله إنما كلفنا بالظاهر، ووكل إليه أمر السرائر. ولم يقض بالخواطر نقيبا، ولا جعل عليها مهيمنا من الولاة ولا رقيبيا.

وإذا التزمت سدّ الذريعة بالمنع من المشروع، خوفا من الوقوع في الممنوع، فالتزم هذا الالتزام، في سائر العبادات والوقائع في الإسلام، التي لا تفرقة فيها بين المسلم والكافر، إلا بما انطوت عليه الضمائر. فإن المصلي في المسجد يحتمل أن يقصد عبادة الحجارة، بمثل ما احتمل صاحب الذبائح والزيارة، والصائم يحمل أن يقصد بصومه تصحيح المزاج، أو مداواة والعلاج، والمزكي يحتمل أن يقصد مقصدا دنيويا، أو معبودا جاهليا، والمحرم بحجّ أو عمرة، يحتمل أن ينوي ما يوجب كفره.

وإذا وصلت إلى هذا الالتزام، نقضت سائر دعائم الإسلام، والتبس أهل الكفر بأهل الإيمان، وأفضى الحال إلى هدم جميع الأركان، واستبيحت دماء جميع المسلمين، وهدمت صلواتهم ومساجدهم وصوامعهم أجمعين.

فانظر أيها الإنسان، ما هذا الهديان، وكيف لعب بك الشيطان، وماذا أوقعك فيه من خسران. فارجع عن هذا الضلال المبين، وقل ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين.

وأما ما جلبتم من الأحاديث الواردة في تغيير النبي صلى الله عليه وسلم للقبور، وأنه أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بطمسها وتسويتها، فقد أخطأتم الطريق في فهمها، ولم يأتكم نبأ علمها، ولو سألتهم عن ذلك ذويه، لأخبروكم بأن محمله طمس ما كانت الجاهلية عليه، وكانت عادتهم إذا مات عظيم من عظمائهم، بنوا على قبره بناء كأطم من أطمهم، مباهاة وفخرا، وتعازما وكبرا، فبعث صلى الله عليه وسلم من يمحو من الجاهلية آثارها، ويطمس مباحاتها وفخارها، وإلا فلو كان كما ذكرتم، لكن حكم التسليم كحكم ما أنكرتم.

وإذا استبان لكم واتضح لديكم، انقلبت الحجة التي أتيتم بها عليكم، وكيف تجعلون تلك الأحاديث حجة قاضية، على وجوب كون القبور ضاحية، والفرق ظاهر بين البناء على القبور، وحفر القبور تحت البناء، فالأول من فعل الجاهلية الوارد فيه ما ورد، والثاني هو الذي يعوزكم فيه المستند، ولا يوافقكم على تعميم النهي أحد.

وأما ما تزعم إليه من التهديد، وقرعتم فيه بآيات الحديد، وذكرتم "أن من لم يُجِب بالحجة والبيان، دعونه بالسيف والسنان"، فاعلم يا هذا أننا لسنا ممن يعبد الله على حرف، ولا ممن يفرّ عن نصره دينه من الزحف، ولا ممن يظن بربه الظنون، أو يتزحزح عن الوثوق بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (سورة: الأعراف، آية: 34)، ولا ممن يميل عن الاعتصام بالله سراّ وعلنا، أو يشك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ (سورة: التوبة، آية: 51)، وما بنا من وهن ولا

فشل، ولا ضعف في النكاية ولا كسل، ننتصر للدين ونحمي حماه، وما النصر إلا من عند الله.

وأما ما جال في نفوسكم، ودار في رؤوسكم، وامتدت إليه يد الطمع، وسوّته الأمانى والخدع، من أنكم من الفئة الذين هم ومن حالفهم، لا يضرهم من خالفهم، وأنكم من الطائفة الظاهرين على الحق، وأن هذه المناقب تساق إليكم وتحقّ، فكلاً وحاشا أن يكون لكم في هذه المناقب من نصيب، أو يصير لكم أرثها بفرض أو تعصيب، فإن هذا الحديث وإن كان وارداً صحيحاً، إلا أنكم لم توفوا طريقه تتقيحاً، فإن في بعض رواياته "وهم بالمغرب" وهي تحجبكم عن هذه المناقب، وتبعدكم عنها بعد المشارق من المغارب.

فانفض يديك مما ليس إليك، ولا تمدّن عينيك، إلى من حرّمت عليك، فإنكاح الثريا من سهيل، أمكن من هذا المستحيل.

أما أهل هذه الأصقاع، والذين بأيديهم مقاليد هذه البقاع، فهم أجدر أن يكونوا من إخواننا، وتمتدّ أيديهم إلى خوانها، لصحة عقائدهم السنية، وأتباعهم سبيل الشريعة المحمدية، ونبذهم الإبتداع في الدين، وانقيادهم للإجماع وسبيل المؤمنين.

وقد أنبأنا في هذا الكتاب، وأعربت في طي الخطاب، عن عقائد المبتدعة، الزائغين عن السنة المتبعة، الراكبين مركب الإعتساف، الراغبين عن جمع الكلمة والائتلاف، فالنصيحة النصيحة، أن تنزع لباس العقائد الفاسدة وتتسرل العقائد الصحيحة، وترجع إلى الله وتؤمن ببقائه، ولا تكفر أحداً بذنب أجتناه. فإن تبتم فهو خير لكم، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله.

وزيدة الجواب وفضلكة الحساب، أنك أن قفوت يا أبا العرب نصحك، وأسوت بالتوبة جرحك، وأدملت بالإنابة قرحك، فمرحبا بأخي الصّلاح، وحيهلا بالمؤازر على الطاعة

والنجاح، وجمع الكلمة والسماح، وإن أطلت في لُجّة الغواية سبحك، وشيدت في الفتنة صرحك، واختلت عارضا رمحك، فإن بني عمك فيهم رماح، وما منهم إلا من يتقلد الصّفاح، ويجيل في الحرب فائز القداح.

والله تعالى الأمة الساعي فيما يحبه ويرضاه، ويخمد ضرام الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله. والسلام

إنتهى

الوثيقة الثالثة: رسالة من الشيخ أحمد التيجاني إلى أحد الحكام¹.

-كتبها لأحد رؤساء الدولة. قال فيها بعد البسملة والدعاء:

[وأما ما أعظك به، فاسمع ما يقوله ربنا في كتابه -وكفى به واعظا- قال سبحانه

وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ -إلى قوله: ﴿ أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴾ (سورة:الحشر، آية:18-20) وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ -إلى قوله: ﴿ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة:الأحزاب، آية:70-

71) - وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص151.

اللَّهُ ﴿(سورة:النساء،آية:131) وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (سورة:البقرة،آية:281)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (سورة:التحریم،آية:06).

واعلم أنك في مرتبة قد حوت ما لا يحاط بك به من الخيرات والبرور، وجمعت ما لا ينتهي إلى غايته من البلاء والشرور، وأنت واقف بينهما في هذه المرتبة. فراقب الله في قلبك وانظر إلى خلق الله بعين الشفقة، ولضعيفهم ومسكينهم بعين الرأفة وقضاء حوائجهم، وإياك والاستهزاء والتواني بهم في تبليغ أمورهم إلى مولانا السلطان فإن الله سبحانه وتعالى فإن الله سبحانه وتعالى نظرا في العبد عند كل نظرة ينظرها، فمن رآه بنظر في خلقه بعين الرأفة والرحمة وخفض لهم جناحه ونظر إليهم بعين إضافتهم لله تعالى وعظمتهم لذلك النظر وسارع في قضاء حوائجهم بما يقدر عليه وكان منه ذلك الله تعالى، نظر فيه ربنا سبحانه وتعالى بعين الرحمة وعين التكريم والتعظيم وسارع له قضاء حوائجه وكلاءه كلاءة الوليد من أبيه، فيا سعادة من ظفر بهذه النظرة من ربه. ومن كان على الأخرى والعياذ بالله من عدم المبالاة بخلق الله والتباعد عن قضاء حوائجهم والتناهي عن رحمتهم والشفقة عليهم فجزاءه ما هو معلوم في النار. يقول سبحانه وتعالى فيمن اتصف بهذه الصفاة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَلَا

يُحْضِرُ عَلَي طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿سورة:الحاقة، آية:30-34﴾. وهذا يكفيك إن اتظعت. ونسأل
الله التوفيق والسداد والغرق في بحر الهدى والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه صلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحابه وسلم تسليماً].

انتهى

الوثيقة الرابعة: رسالة من الشيخ أحمد التيجاني إلى بعض طلابه¹.

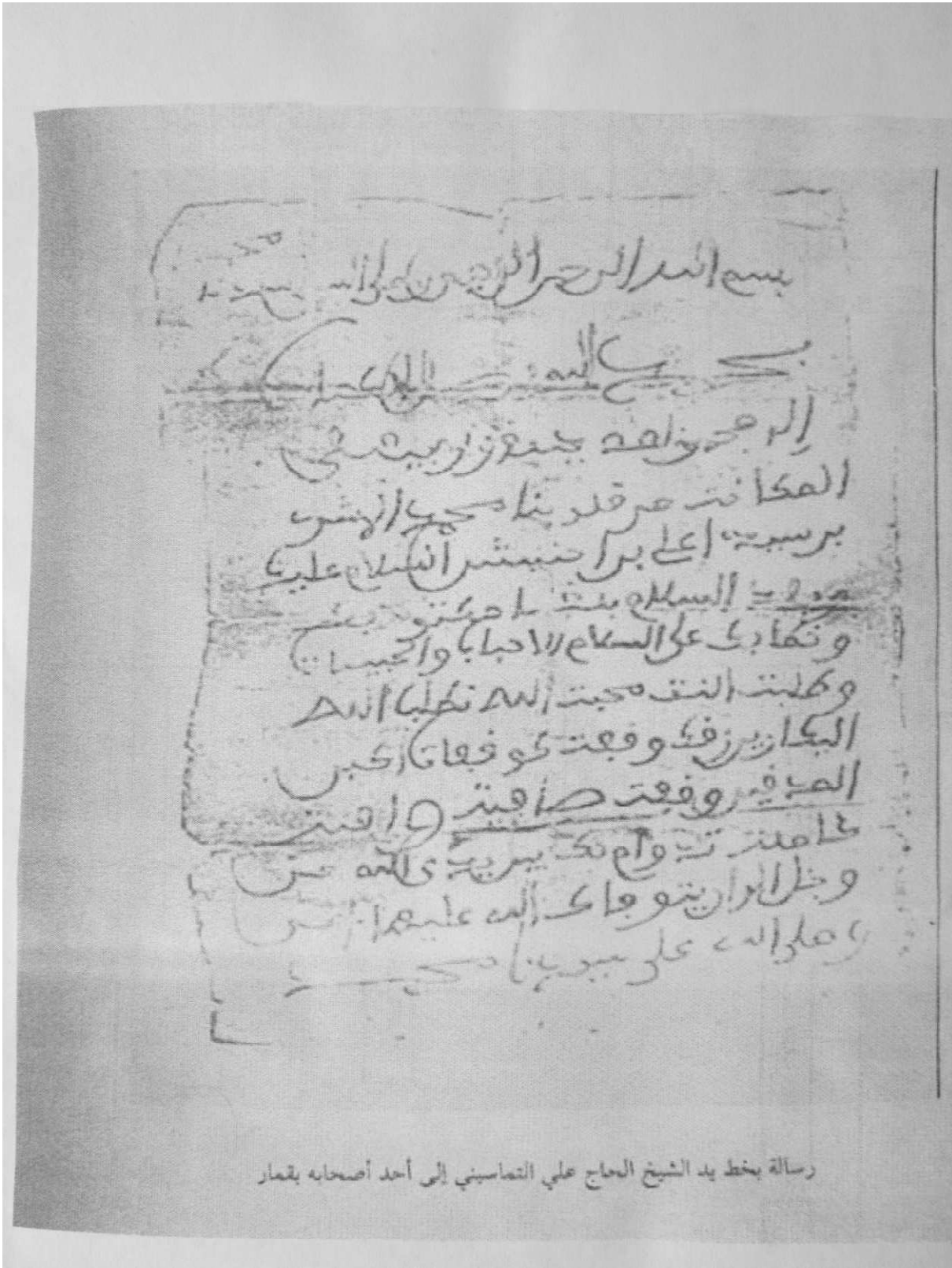
بعد البسملة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

إفالذي أعظك به وأوصيك به، عليك بتقوى الله عز وجل في شرك وعلانيتك وبتصفية قلبك من مخالفة أمره والتعويل على الله بقلبك والرضا بحكمه في جميع أمورك والصبر لمجاري مقاديره في كل أحوالك. واستعن على جميع ذلك بالإكثار من ذكر الله على قدر الاستطاعة بحضور قلبك فهو معين لك على جميع ما أوصيتك به. وأكبر ذكر الله فائدة وأعظمه جدوى وفائدة هي الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم مع حضور القلب فإنها متكلفة بجميع مطالب الدنيا والآخرة دفعا وجلبا في كل شيء، وأن أكثر استعمالها كان من أكبر أصفياء الله. والأمر الثاني مما أوصيك به ترك المحرمات المالية شرعا أكلا ولباسا ومسكنا فإن الحلال هو القطب الذي تدور عليه أفلاك ستائر العبادة. وإياك أن تقول أين تجده؟ فإنه كثير الوجود في كل أرض وفي كل زمان لكن يوجد بالبحث عن توفية أمر الله ظاهرا وباطنا ومراعاة ضرورة الوقت إن لم يوجد الحلال الصريح، وهذا المحل يحتاج إلى فقه دقيق واتساع معرفة بالأحكام الشرعية ومن كان هكذا لم يصعب عليه وجود الحلال. والأمر الذي لا بدّ منه بعد هذا، وهو بداية جميع الأمور ونهايتها هو تعلق القلب بالله تعالى والانحياش إليه والرجوع إليه وترك كل ما سواه عموما وخصوصا، فإن قدر العبد على ارتحال القلب إلى الله بكل وجه وعلى كل حال بحركة القلب حسا فهو الغاية، وأن لم يقدر

¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص152.

فيلازم بعد كل صلاة هذا الدعاء ثلاثا أو سبعا ثم يمر به على قلبه في غير الصلوات ويحمل نفسه عليه حتى يصير له ذلك حالا والدعاء هو هذا: " اللهم عليك معولى وبك ملاذي وإليك لتجائي وعليك توكلي وبك ثقتي وعلى حولك وقوتك اعتمادي وبجميع مجاري أحكامك رضاي وبإقرار بساريان قيوميتك في كل شيء وعدم احتمال خروج شيء دق أو جل عن علمك وقهرك حتى لحظة سكوني". فإذا داوم عليه كلما رأى من أحوال النفس ما لا يطابق هذا الدعاء ذكر نفسه بمعاني هذا الدعاء وصبر على حمل نفسه سهل عليه تعلق القلب بالله تعالى برفض كل ما سواه. وهذا باب كبير من العلم يعمله من ذاق أدنى شيء من علوم الرجال ويعلم قدره فلا تهمله. وعليك بإصلاح نفسك قدر الاستطاعة فإن العمر قصير والسفر طويل والعقبة كؤود والحمل ثقيل والحمل ثقيل والحساب بين يدي الله شديد والعمل بأمر الله هو المنجي من جميع هذه الأمور...]

الوثيقة السادسة: رسالة من الحاج علي التماسيني إلى أحد أصحابه بقمار¹.



¹ عبد الباقي مفتاح، مر س، ص 230.

- تصميمات وخرائط -

1-تصميمات:

التصميم الأول: شيوخ الطريقة التيجانية

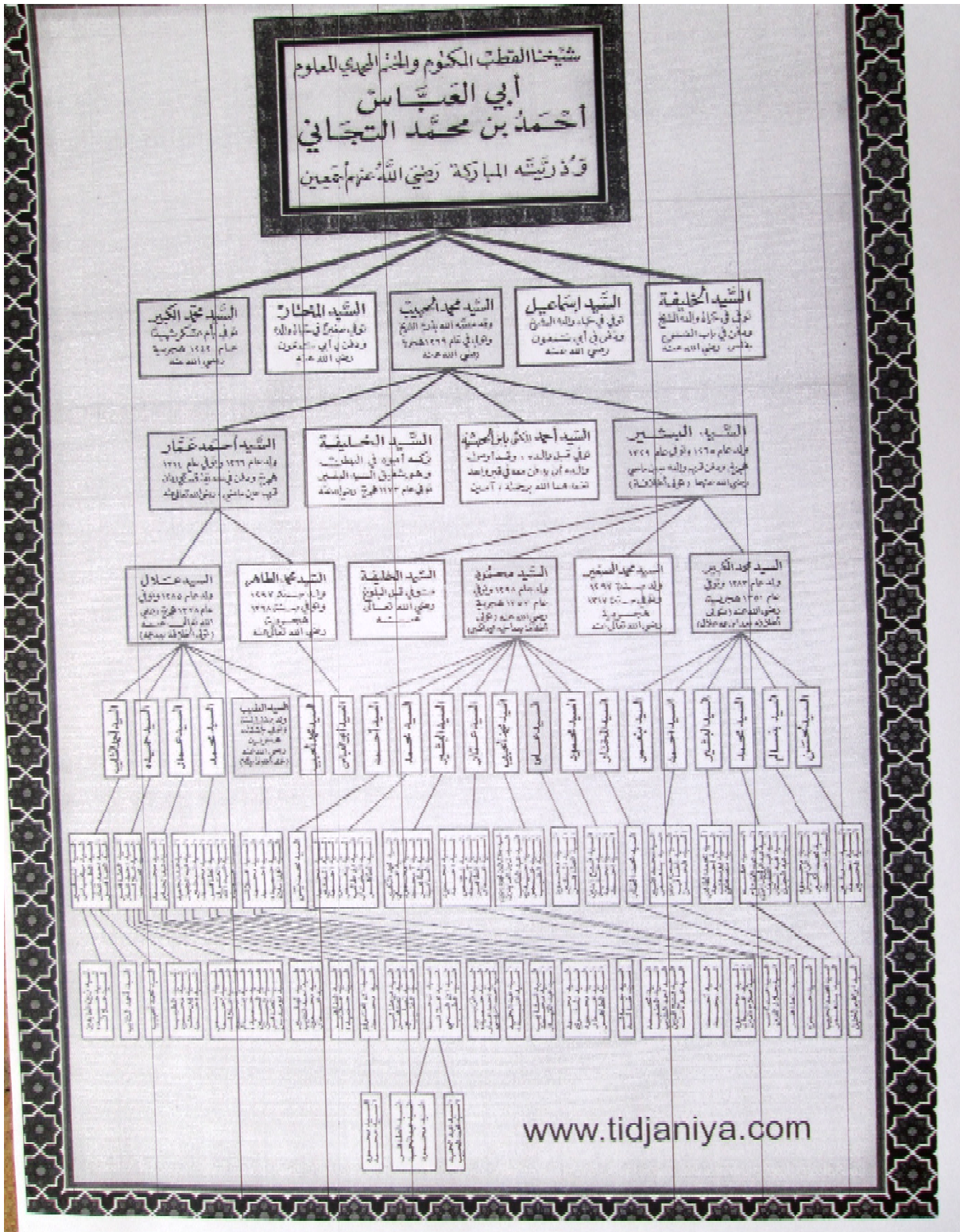
التصميم الثاني: شيوخ زاوية عين ماضي

التصميم الثالث: شيوخ زوايا تماسين

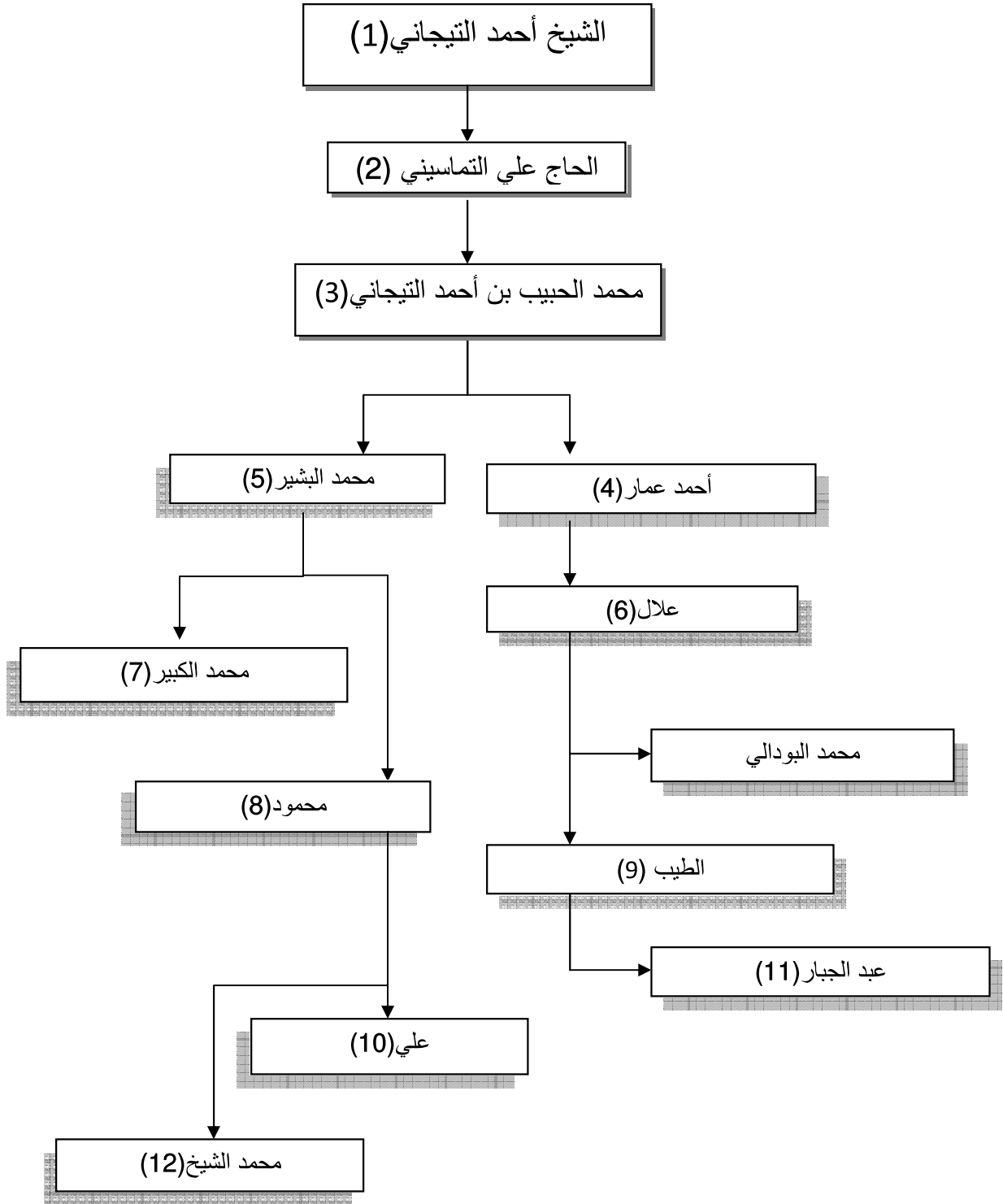
2-خرائط:

خريطة رقم 01: موقع الزوايا التيجانية الكبرى ببلاد المغرب.

التصميم الأول: شيوخ الطريقة التيجانية¹

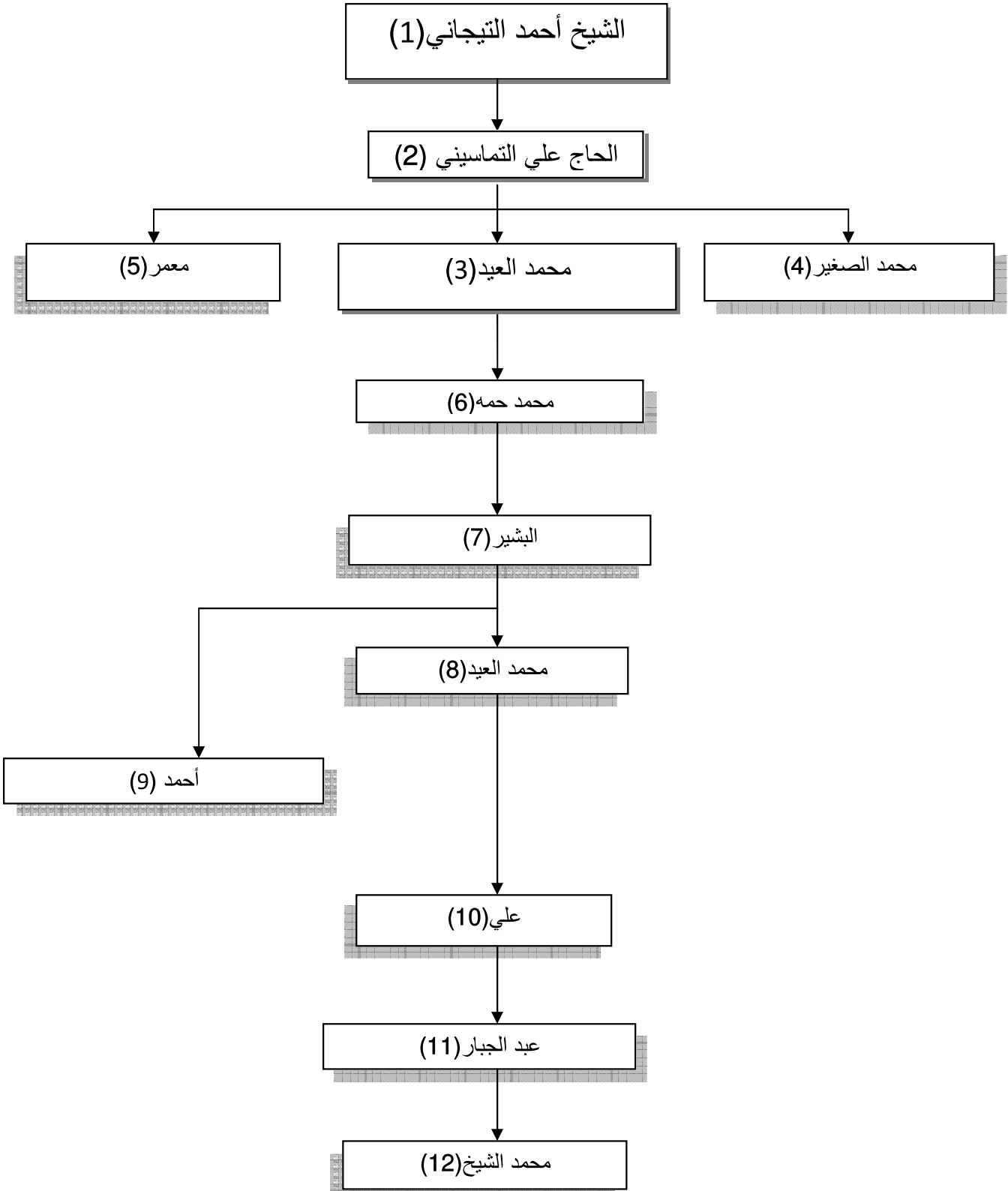


¹ حسب موقع الطريقة التيجانية: www.tidjaniya.com

التصميم الثاني: شيوخ زاوية عين ماضي¹

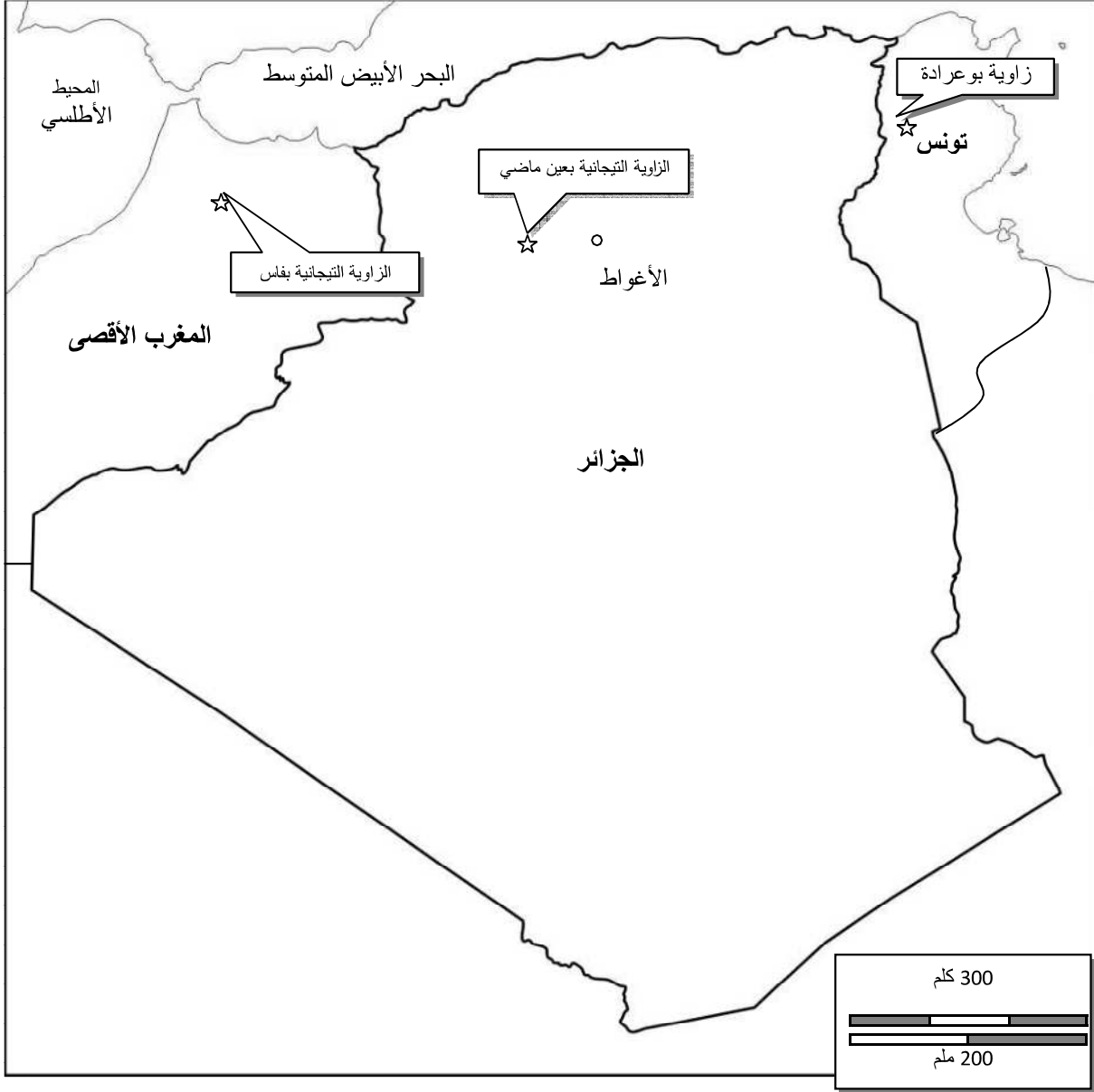
¹ تم إنجاز هذا المخطط وتم تعديله اعتماداً على كتاب عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 229.

التصميم الثالث: شيوخ زوايا تماسين¹



¹ عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 229.

خريطة رقم 01: موقع الزوايا التيجانية الكبرى ببلاد المغرب¹



¹ الخريطة من وضعنا

قائمة المصادر

والمراجع

أولاً: القرآن الكريم بقراءة ورش عن الامام نافع، دار العالمية للنشر والتجليد، القاهرة-2014م.

ثانياً: السنة النبوية

- الترمذي أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، ط1، دار بن الجوزي، القاهرة-2007م.

- البخاري محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، ط1، دار بن كثير، دمشق، بيروت-2002م.

ثانياً: المصادر باللغة العربية

1- ابن الجني، الخصائص، تح النجار محمد ، ج1، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-1999م.

2- ابن سحنون الراشدي، الثغر الجمان في ابتسام الثغر الوهراني، تح تق المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة-1973م.

3- ابن منظور، لسان العرب، ج2، ج10، دار صادر، بيروت-د.ت.

4- ابن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر، ت.تق.محمد عبد الكريم، ش.و.ن.ت، الجزائر-1975م.

5- ابن عربي، الفتحات المكية، ج2، تح أحمد شمس الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت-2006م.

6- ابن غنام حسين، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، المعروف بتاريخ نجد، ت ناصر الدين الأسد، ط4، دار الشروق، بيروت-1994م.

- 7- ابن كثير إسماعيل، البداية والنهاية، ج14، ط1، تح عبد الله بن عبد المحسن تركي، دار الهجر، الجيزة-1998م.
- 8- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج7، ج9، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956م.
- 9- أبي راس الناصري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ت. محمد بن عبد الكريم، م.و.ك، الجزائر-1990م.
- 10- أبي عبد الرحمان بن حنبل، السنة، ج1، تح القحطاني محمد، ط1، دار بن القيم، المملكة العربية السعودية-1986م.
- 11- أحمد شريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب الأشراف، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر- 1980م.
- 12- الجرجاني علي، التعريفات، تح نصر الدين التونسي، ط1، شركة القدس، القاهرة-2007م.
- 13- حمدان خوجة، المرأة، ت.ت العربي زييري، ش.و.ن.ت، الجزائر-1975م.
- 14- دحلان أحمد بن زياني، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ط1، المطبعة الخيرية، مصر-1888م.
- 15- السلمي أبو عبد الرحمن، طبقات الصوفية، تح أحمد شرباصي، ط2، دار الشعب، القاهرة-1998م.
- 16- السهروردي، عوارف المعارف، تح سمير شمس، دار صادر، بيروت- د.ت.

- 17- الشيخ بن سنوسي، السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين، تح محمود محمد خلف، دار الكتاب العلمية، بيروت-2015م.
- 18- الطبري أبو جعفر، الرياض النظرة في مناقب العشرة، ج4، تص محمد بدر الدين دار الكتب العلمية للنشر، بيروت-2003م.
- 19- الطوسي أبو الناصر، اللمع، تح عبد الحليم محمود، دار الكتاب الحديث بمصر، مصر-1960م.
- 20- علي الجرجاني، التعريفات، تح محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة-2004.
- 21- علي حرازم برادة، جوهر المعاني وبلوغ الأمانى في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، ج1، ج2، دار الكتاب العلمية، بيروت -1997م.
- 22- عمر بن سعيد الفتوي الطوري، رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم (في هامش كتاب جوهر المعاني)، ج1، المكتبة التجارية الكبرى، ب.ط، ب ت.
- 23- الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، تح سيد عمران، دار الحديث، القاهرة-2004م.
- 24- القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، تح معروف مصطفى، المكتبة العصرية، بيروت-2003م.
- 25- الكتاني محمد، سلوة الأنفاس ومحادثه الأكياس بمن أقبر من علماء والصلحاء بفاس، ت شريف الكتاني، ج1، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس، فاس- ب ت.
- 26- الكلابادي أبو بكر، كتاب التعريف لمذهب أهل التصوف، تص أرثر جون أربري، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة-1994م.

- 27- محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075-1894/1664/1311)، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء-1977م.
- 28- محمد بن أحمد العسكري المعروف بأبي زيان، كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار، الخزانة العامة الرباط رقم 2339.
- 29- محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج2، المطبعة التجارية، الاسكندرية- 1903م.
- 30- محمد بن محمود ابن العنابي، السعي المحمود في نظام الجنود، ت محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر-1983م.
- 31- أوفрани، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، ت هوداس، المطبعة المشرقية أندري بوردين، باريس-1888م.

ثالثا: المراجع باللغة العربية

- 1- ابراهيم بن محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلالي بن إبراهيم العوامر، ط الجزائر عاصمة الثقافة العربية، دارالنشر الثالثة، الجزائر-2007م.
- 2- ابن بشر عثمان بن عبد الله، في تاريخ نجد، ج1، ط4، ت عبد الرحمان بن عبد اللطيف، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، رياض-1982م.
- 3- ابن عذاري المراكشي، البيان الأندلس والمغرب، تح محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، بيروت 1985م.

- 4- أحمد بن أبي ضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج3، تح لجنة من وزارة الثقافة، دار العرب للكتاب، تونس-1999م.
- 5- أحمد جلي ، وطائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها
- 6- أحمد سكيرج، جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني، دار الطباعة الحديثة المغرب-1974م، ص50.
- 7- _____، كشف الحجاب عن تلاقي مع الشيخ التجاني من أصحاب، الطبعة الحجرية، 2007م.
- 8- أحمد عيسى عبده غالب، مفهوم التصوف، ط1، دار الجيل، بيروت-1992م.
- 9- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج6، دار الثقافة، بيروت-1972م.
- 10- الحكيم سعاد، المعجم الصوفي ، ط1، د الندرة للطباعة والنشر، بيروت-1981م.
- 11- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-2000م.
- 12- الغنية لطالبي، طريق الحق للشيخ عبد القادر الجيلاني، ج2، المكتبة الثقافية، بيروت د.ت.
- 13- الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العام والولاية، ط1، تق تح تع سعد الله أبو القاسم، دار الغرب الاسلامي، بيروت-1987م.
- 14- الفيلاي محمد طاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الفن القرافيكي، الجزائر-1976م.

- 15- الفيومي محمد إبراهيم، ابن عربي صاحب الفتحات المكية، الدار المصرية اللبنانية، مصر- د ت.
- 16- إميل برهيه، الفلسفة اليونانية، تر جورج طرابيشي، ج1، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1987م.
- 17- بلعلی آمنه، تحليل الخطاب الصوفي (في ضوء المناهج النقدية المعاصرة) ، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر-2010م.
- 18- بوداود عبید، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13-15م) دراسة في التاريخ السوسيو-ثقافي، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران-2003م.
- 19- بوعزيز يحيى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، الجزائر-1995م.
- 20- تركي إبراهيم محمد، التصوف الاسلامي (أصوله وتطورات)، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية-2007م.
- 21- التلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)، منشورات كلية الأدب، نوبة-1992م.
- 22- جابر عصفور، عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، دار الأفاق العربي، بغداد-1982م.
- 23- جيليان أندري، تاريخ افريقيا الشمالية، تر بن سلامة ومزالي ، الدار التونسية للنشر، تونس-1978م.

- 24- خالق عبد الرحمن، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، دار الحرمين، القاهرة - 1993م.
- 25- زايد أحمد، صور من الخطاب الديني المعاصر، ط1، دار العين للنشر، القاهرة- 2007م.
- 26- زروق محمد، دراسات في تاريخ المغرب، افريقيا الشرق للطباعة ، الدار البيضاء- 1990م.
- 27- زكريا بيومي، الطرق الصوفية في مصر ، ط1، الناشر دار الهجرة للنشر ،القاهرة- 1412هـ.
- 28- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)، ج1، ش و ن ت، الجزائر-1981م.
- 29- سعد الله أبو القاسم، رائد التجديد الاسلامي محمد بن العنابي المتوفي 1850 م، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت-2000 م.
- 30- _____، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت-1986م.
- 31- سعيدوني نصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، دار المغرب الإسلام، بيروت- 1999م.
- 32- شالر وليم، مذكرات قنصل أمريكا (1816-1824)، تر.تق العربي إسماعيل، ش.و.ن.ت، الجزائر-1982م.

- 33- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة-1988م.
- 34- عبد اللطيف الشاذلي، الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن السابع عشر، الرباط-1982م.
- 35- علي محمد صلابي، الثمرة الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، ج1، ط1، مكتبة الصحابة ومكتبة التابعين، الشارقة-2001م.
- 36- فايز الداية، علم الدلالة العربية النظرية والتطبيق (دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية)، ط2، دار الفكر دمشق-1996م.
- 37- مجيد الموسوي ضياء، غاية التصوف وأدوات المتصوف، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر-2011م.
- 38- محمد التيجاني، السر الأبهري في أورد القطب الأكبر، ط1، المكتبة الثقافية بيروت.
- 29- محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع محمد شاوش- محمد عجيبة، ط3، دار السراس للنشر، تونس-1993م.
- 40- محمد بن عبد الله التيجاني، الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المرید التيجاني، مكتبة القاهرة، القاهرة- د ت.
- 41- محمد بن مشري، الجامع لدرر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، ت محمد راضي كنون، ج1، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط-2001م.
- 42- محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الاسلامي والأندلس في العصر المريني (1213-1465)، الكويت-1987م.

- 43- محمود علي عامر، تاريخ المغرب العربي الحديث، جامعة دمشق للنشر ، دمشق-2000م.
- 44- محمود علي، تاريخ المغرب العربي الحديث "المغرب الأقصى -ليبيا"، منشورات جامعة دمشق، دمشق-2000م.
- 45- محي الدين الطعمي، روضة المشتاقين لحكايات الصوفية وأحوال الصالحين، ط1، دار الروضة، القاهرة-2006م.
- 46- مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، منشورات عالم المعرفة، كويت-1995م.
- 47- ميشال فوكو، حفريات المعرفة، تر سالم يفوت، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-1987م.
- 48- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، م.و.ك، الجزائر-1985م.
- 49- ناصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ط2، سينا للنشر، القاهرة-1994م.
- 50- هلال عمار ، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1862)، د.م.ج، الجزائر-1995م.
- 51- ودان بوغوفالة، الثورة الفرنسية في الإسطوغرافيا المغاربية، دراسة تاريخية تحليلية في نماذج من كتابات القرن 13 هـ / 19 م، مطبعة الرشاد، سيدي بلعباس، ط. 1، 2004م.
- 52- وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر تع عبد القادر زيادية، دار القصة للنشر، الجزائر - 2006م.

- 53- يعيش محمد، شعرية الخطاب الصوفي (الرمز الخمري عند ابن الفارض نموذجاً)، منشورات كلية الأدب والعلوم الانسانية، فاس-1996م.
- 54- يقطين سعيد، تحليل الخطاب الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت-1989م.
- 55- يونس محمد، الخطاب الاسلامي في الصحافة العربية، دار القلم للنشر والتوزيع، الإمارات-2004م.
- 56- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر-2005م.
- 57- عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط-2006م.
- 58- عبدالله زروق، أصول التصوف، ط1 الناشر مكتبة الزهراء، القاهرة-1418هـ.
- 59- هلال عمار، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، م.و.ف.م، الجزائر-1988م.

خامساً: الأطروحات والرسائل الجامعية

أ- أطروحات الدكتوراه:

- 1- الساسي عمارة، الخطاب الصوفي وأشكاله التواصلية - الطريقة التجانية نموذجاً- رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية تخصص: علوم اللسان العربي، جامعة محمد خيضر - بسكرة، 2014/2015م.

2- عبد القادر سكران، الرحلة الحبيبية الوهرانية الجامعة للطائف العرفانية لخديم الحضرة التجانية ذات المواهب الربانية، أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، رسالة دكتوراه، جامعة وهران 2007، ص 205.

ب- رسائل الماجستير:

1- أحمد بن الشين، الطريقة التجانية بين الماضي والحاضر، مذكرة ماجستير، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر 2001م.

2- بونقاب مختار، تاريخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر، رسالة لنيل شهادة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2002م.

ج- ماستر:

1- بوده مريم، إشكالية المصطلح اللساني في الكتابات العربية الحديثة، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية، جامعة بسكرة السنة الجامعية 2012/2013م.

سادسا: الدوريات الوطنية والدولية

أ- الدوريات الوطنية:

1- المهدي بوعبدلي، الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، مجلة الأصالة، عدد 13.

2- بوراوي عبد المجيد، القراءة من النص إلى الخطاب، مجلة التبيين، 12-13، الجزائر - 1998م.

3- عبد العزيز الهادي، دور التربية الصوفية في تهذيب سلوك الفرد في ظل العولمة، مجلة الملتقى الوطني حول أمجاد الفكر الصوفي، ط4، دار الكتاب العربي، عين تموشنت - 2014م.

4- يحيى بوعزيز، الثورات الجزائرية في القرن 19 و 20، مجلة الثقافة، العدد 63-الجزائر، وزارة الثقافة والسياحة، ماي/جوان 1981م.

ب-الدوريات الدولية:

1- العيد مسعود، الحركة التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سرتا، عدد 3 1980م.

سابعا:الموسوعات والمعاجم

1- التهانوي محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، ط1، تق إش مر العجم رفيق، مكتبة لبنان الناشر، بيروت-1996م.

2- الزمخشري، قاموس عربي-عربي، ر-ق، ابراهيم قلاتي، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر 1998م.

3- المنجد في اللغة العربية، ط40، دار المشرق، بيروت-2003م، ص67.

4- أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-2000م.

5- دائرة المعارف الإسلامية (البريطانية) تأليف مجموعة من المستشرقين ترجمها للعربية أحمد الشنتاوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد ج15، الناشر دار المعرفة-بيروت د.ت.

6- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت-1985م.

7- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول-1996م.

8- إميل يعقوب، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت-1987م

ثامنا: المواقع الإلكترونية

1- أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، المعرفة الصوفية، مجلة الرسالة، العدد 932-1951
الموقع: مجلة _الرسالة

[https://ar.wikisource.org/wiki/العدد_932/المعرفة_الصوفية/](https://ar.wikisource.org/wiki/العدد_932/المعرفة_الصوفية)

تاسعا: المراجع باللغة الأجنبية

1-المراجع:

1- Alexandre P, Gilles V, Les voix d'Allah, Edition Marinoor,1995-
p125.

2- Alexandre Popovic et Gilles Veinstein, Les Voix d'Allah, Edition
Marinoor, Nov-1995, p125 .

3- Berque(J), Ulémas fondateur insurgés, Paris, Sind Bad,
1981,p57.

4- De GRAMMONT HENRI, histoire d'Algérie sous la domination
Turque (1515-1830), E. Leroux, Paris, 1887, P207.

6- Dépont et Capolani,Les Confréries Religieuses Musulmanes ,
Adolphe Jourdane , Alger- 1897,p503 .

7- DERMENGHEM(E),L'Algérie religieuse in Initiation à l'Algerie,
Maison neuve,Paris -1957,P254.

8- Doutte(E) ,Notes sur l'islam maghrébin ,les marabuots -Extraits
de la revue de l'histoire des religion- Paris 1900 PP 10-11.

- 9- Général P.J André , Contribution a l'étude des confréries religieuses musulman , Alger , édition la maison du livres 1956 p 292.
- 10- GHALEM M, L'histoire de l'Algérie des origines à 1830 in Algérie, 2000,p29.
- 11- ROBIN N.J , La grande kabylie sous le régime turc ,Ed , Bouchene, Alger, 1998,p19.
- 12- Berque(J),L'intérieur du Maghreb XV /XIX siècles ,Pari .Gallimard-1987 .
- 13- Broudel(F),Méditerranée et monde méditerranéen ,T.I , Paris, Armend Colin,. 1966,P251.
- 14- Kaddache (M.) ,L'Algérie durant la période Ottomane, O.P.U ,Alger, 1991, p94.
- 15- Maha (A), Histoire de la grande Kabyle XIX^{eme}-XX^{eme} siècle antropologie historique du lien social dans les communauté villageoises, ED.Bouchain , Alger- 2001,P50.
- 16-Merciar (E.) , L'Afrique septentrionale ,T3, Leroux,paris , 1891,p477.

2-الدوريات باللغة الأجنبية:

- 1- Delpeche (A), Un diplôme de Mokadem de la confrerie religieuse Rahmaniya, R.A, N°18,1874,pp(418-429).

2- Emerit (M), le voyage la condamine à Alger en 1731, R.A, N°98- 1954.

3- Venture de Paradis, Alger au 18^{eme} siècle, Fagnan, Alger- 1898.

فهارس

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

الصفحة	الاسم
(أ)	
121	إبراهيم
231-220-216-215	إبراهيم الرياحي
83	إبراهيم باشا
123	إبراهيم علي القادري
63	ابراهيم ود علي
107-106-105	أبو الحسن الشاذلي
165	أبو العباس أحمد بن محمد
57	أبو الفداء إسماعيل التميمي
155	أبو القاسم سعد الله
124-107	أبو بكر الصديق
41	أبو حامد الغزالي
41-36	أبو حامد الغزالي
128	أبو حفص عمر
57-56	أبو راس الناصري المعسكري
34	أبو سليمان الداراني
128	أبو سليمان عبد الحفيظ العجمي
41	أبو عبد الرحمن السلمي
.121-106-105	أبو مدين شعيب
40	أبو نصر سراج الطوسي
40	أبوا بكر الكلاباذي

170	أبي العباس أحمد الهندي 170.
121	أبي بعزي 121.
185	أبي ربيع سليمان 185.
39	أبي هريرة 39.
191	أحمد أكنسوس 191.
191	أحمد البناني 191.
155	أحمد البوني 155.
110	أحمد التنبكتي 110.
-169-168-167-165-166-129	أحمد التجاني
-180-176-175-174-173-171	
-191-190-189-185-183-181	
-204-203-202-201-193-192	
-213-212-210-209-208-207	
-224-221-220-219-215-214	
.226	
128	أحمد الدجاني
168	أحمد الصقلي
84	أحمد باشا
128	أحمد بن إدريس
53	أحمد بن حمبل
169	أحمد بن عبد الرحمن الأزهار
155	أحمد بن عبد الله
191	أحمد بن قدور الشلالي
166	أحمد بن محمد
191	أحمد بن سعد الشلالي

158	أحمد زروق
182	أحمد سكيرج العياشي
167	الأخضري
39	آدم
21	أرسطو
20	أفلاطون
237-41	أفلوطين
202	ألكسندر بوبوفيتش
140	الإمام الجزولي
19	الأمدي
125	الأمير عبد القادر
246	أنبوحة
(ب)	
89	بابا علي داي
125	الباي حسن
147	بركات القسنطيني
54-38-37	البسطامي
244	بن أبي جمرة
57	بن الأحرش
244	بن الحجاج
155	بن العنابي
17	بن منظور
53-40	بن تيمية
244	بن حجر المكي الهيثمي
155	بن حمدوش

167	بن رشد
57-56-55-53-52	بن عبد الوهاب
249-241-240-238-105-40-39	بن عربي
53	بن قيم الجوزي
191	بوحسون الماضوي
19	بوراوي عبد الحميد
(ث)	
156-147	الثعالبي
(ج)	
54	جابر
20	جابر عصفور
38	الجرجاني
35	الجنيد
(ح)	
191	الحاج أحمد الزاوي الشلالي البوشيخي
191	الحاج علي التماسيني
88	حاصي مصطفى
213-34	الحسن البصري
155-147	حسن بن باديس
55	الحسين بن علي
89-88	حسين بن علي
45-39-38	الحلاج
137-96-92-87	حمدان خوجة
57-56	حمودة باشا

89	حمودة باي
(خ)	
191	خليفة بن كربوب
(د)	
60	داي عثمان
85-80	داي علي باشا
83	داي مصطفى
(ر)	
36	رابعة العدوية
59	الرايس درغوث
(ز)	
18	الزمخشري
55	الزياني
(س)	
244	السبكي
55	سعود بن عبد العزيز
59	سنان باشا
166	السنوسي التيجاني الماضوي
117	السهر وردي
129	سيدي بلقاسم بن محمد
111	سيدي محرز
111	سيدي يعقوب
202	سيميان
244	السيوطي

(ش)	
35	الشبلي 35
126	الشيخ الطيب 126
51	الشيخ عبد الله بن إبراهيم 51
121	الشيخ عيسى 121
125	الشيخ محي الدين 125
(ص)	
139	صالح باي 139
84	صالح باي 84
(ط)	
33	الطبري
(ع)	
158	عبد الرحمن الأخضري
106	عبد الرحمن الثعالبي
147	عبد الرحمن الوغليسي
126-107	عبد السلام بن مشيش
169	عبد الصمد الرحوي
121	عبد العزيز
55	عبد العزيز بن محمد بن سعود
155-121-120-113	عبد القادر الجيلاني
125	عبد القادر بن شريف
191	عبد القادر بن عبد الرحمن
122	عبد القادر لغريسي 122

161-160-159-158-157	عبد الكرم الفكون
123	عبد المنعم القادري 123
243-240	عبدة الشنقيطي
51	عثمان بن وور 51
127-124-123	العربي الدرقاوي
215	العربي بن السايح .215
244	العفيف اليافعي .244
33	علي .33
84	علي باشا بورسالي .84
-216-215-214-213-184-182	علي حرازم
.220	
.249-245-241-241-191-182	عمر بن سعيد الفتوي
57-56	عمر محجوب
147	عيسى بن سلامة البسكري
124	عيسى عليه السلام
(ف)	
202	فاينشتاين
(ق)	
214-41-37	القشيري عبد الكرم
(م)	
155	المازوني
43	المأمون
167	المبروك بن بوغافيا
15	محمد

113	محمد أحمد الميهمي
246	محمد الحافظ المصري
167	محمد الحبيب
147	محمد الزواوي الفراوي
155-147	محمد السنوسي
143	محمد الشريف
90	محمد الشيخ
191	محمد الغالي بوطالب
125	محمد الفاسي
167	محمد الكبير
156	محمد النقاوسي
191	محمد الهاشمي السرخيني
147-106	محمد الهواري
84	محمد باشا
83	محمد بكداش
169-168	محمد بن الحسن الونجلي
167	محمد بن حمو
129	محمد بن سالم الحنفاوي
55	محمد بن سعود
128	محمد بن عبد الرحمن
170	محمد بن عبد الكريم السمان
168	محمد بن عبد الله التازي
126	محمد بن عبد الله الشريف
129	محمد بن عثمان باشا
127	محمد بن علي السنوسي

191	محمد بن قدور العبدلاوي
166	محمد بن مختار
215-214-213-184-182	محمد بن مشري الحسني السباعي
155	محمد بن يوسف السنوسي
51	محمد حياة السندي المدني
191	محمد سلامة
83	محمد عثمان باشا
57	محمد علي باشا
58	محمود الثاني
58	محمود الثاني
170-169	محمود الكردي المصري
110	محمود باشا
174	محي الدين الطعمي
166	المختار بن أحمد
88	مراد باي علي
155	مرائي الفراونسي
84	مصطفى باشا
20	مصطفى ناصف
168	المولى الطيب الوزاني
143	المولى رشيد
142	المولى زيدان
144-143	المولى سليمان
140	المولى محمد
24-21	ميشال فوكو
(ن)	

57	نابلون بنا بارت
191	النوي بن عطاء الله
(هـ)	
21	هاريس
16	هيررت بول غراس
(ي)	
158	يحي الأوراسي
147	يوسف المدرومي
244	يوسف بن اسماعيل النبهاني
156	يوسف بن محمد بن يوسف
61	يوسف داي

فهرس الأماكن

والممدن

فهرس الأماكن والمدن

(أ)	
191-184-183-176-175-170	أبي سمغون الأبيض
169	سيدي الشيخ
55-51	الأحساء
103-94-90-70-64-59	الاسبان
81-80-60	إسطنبول
184	الأغواط
70	ألمانيا
121-103	الأندلس
57	أوريا
128	آيت إيثن
128	آيت سماعيل
70	إيطاليا
(ب)	
135-89	بايلك الشرق
89	بايلك الغرب
89	بايلك تطري
137-135	بايلك وهران
137-105	بجاية
108	بشار
51	البصرة
-95-94-92-91-88-59-55-50	بلاد المغرب
-108-107-105-104-103-99-97	

-131-130-121-120-111-109 194-165 124	بني زروال
(ت)	
137 -127-121-111-107-106-105 -174-170-169 174 -83-69-62-61-60-59-56-50 95-93-92-91-89-88	تافيلاط تلمسان توات تونس
(ج)	
56 168 -68-63-62-61-59-58-57-50 -86-85-81-80-79-78-73-69 -95-94-93-92-91-90-89-88 99-98-96 58 108	جامع الزيتونة جبل زينب الجزائر جنوب اليونان جنوب وهران
(ح)	
55 51	الحجاز حريملا
(د)	
52	الدرعية
(ر)	

52	الرياض
(ز)	
169	زاوية سيدي عبد القادر
(س)	
55-54	السعودية
129	السودان
144	السوس
(ش)	
96-51	الشام
54	شبه الجزيرة العربية
(ص)	
75	الصحارى المغربية
(ع)	
-183-181-174-169-167-166	عين ماضي
191-190-184	
50	العينية
(ف)	
-184-170-168-128-127-121	فاس
-191-190-189-188-186-185	
193	
(ق)	
89-83	قسنطينة
191	القصر الأبيض
192	قمار
127	قورارة

(م)	
81-127-107	مازونة
51	المدينة المنورة
127	مستغانم
-105-104-96-85-77-70-55-50	المشرق
107	
128-121-107-96-57	مصر
122-107-81	معسكر
-68-67-66-65-64-63-55-50	المغرب الأقصى
-78-77-75-74-73-71-70-69	
-100-96-95-94-93-90-89-88	
138	
104	المغرب الأوسط
51	مكة
52	منفوحة
(ن)	
60-55-50	نجد
58	نفارين
(هـ)	
192	الهقار
129	الهند
(و)	
122	واد الحمام
192	واد سوف
143	وادي درعة

127	وادي شلف
-----	----------

فهرس الطرق

الصوفية والطوائف

والفرق الدينية

فهرس الطرق الصوفية

(ب)	
114	البدوية
(ت)	
142-140	التاغية
-177-176-171-165-144-114	التجانبة
-189-186-183-182-181-180	
-200-198-197-193-192-191	
-212-211-210-208-204-202	
-220-219-217-216-215-214	
-227-226-225-224-223-221	
-257-256-255-238-231-230	
261-260-259	
(خ)	
114	الختمية
129	الخلواتية
(د)	
124-123	الدرقاوية
143-140	الدلائية
(ر)	
129-128	الرحمانية
114	الرفاعية
(ز)	

158	الزروقية
(س)	
142-140	السمالية
127	السنوسية
113	السهروردية
(ش)	
126-124-123-114-106-42	الشاذلية
107	الشيخية
(ط)	
168	الطبيية
(ع)	
142-140	العايشية
(ق)	
122-121-120-114-113-42	القادرية
(م)	
126	المدنية
(ن)	
168	الناصرية
114	النقشبندية
(هـ)	
126	الهبيرية

الفرق والطوائف

(ب)	
237	البراهمانيون
(ح)	
35	الحنابلة
(س)	
21	السفسطائية
(ش)	
35	الشيعة
(ص)	
15	الصليبية
(م)	
41-35-34-15	المتصوفة
53-45-34-29-27	المسلمين.
99-98-88-60	المسيحي
34-15	المعتزلة.
35	المعتزلة 35
(و)	
57-56-55-54-53-52-50	الوهابية

فهرس القبائل

والأجناس

فهرس القبائل والأجناس

فهرس القبائل

(أ)	
142	الأسرة السجلناسية العلوية
142	الأسرة الفيلاية
108	أولاد بوبكر
107	أولاد سيدي الشيخ
(ب)	
108	البربر 108
166	بني توجين 166

فهرس الأجناس

(أ)	
81-60-59	الأترك
85-71-70	الأعلاج
41	الإغريق
(ع)	
85-82-70	عثمانيون
25-19-17-81	عرب
(ك)	
87-85	كراغلة

فهرس القبائل والأجناس

فهرس القبائل

(أ)	
142	الأسرة السجلناسية العلوية
142	الأسرة الفيلاية
108	أولاد بوبكر
107	أولاد سيدي الشيخ
(ب)	
108	البربر 108
166	بني توجين 166

فهرس الأجناس

(أ)	
81-60-59	الأترك
85-71-70	الأعلاج
41	الإغريق
(ع)	
85-82-70	عثمانيون
25-19-17-81	عرب
(ك)	
87-85	كراغلة

الفهرس العام

الفهرس العام

أل.....	مقدمة.....
14.....	مدخل:الخطاب (تأسس وتنظير).....
15.....	توطئة.....
15.....	أولاً:تحديد مصطلح الخطاب.....
17.....	1- مفهوم الخطاب.....
17.....	أ-الخطاب لغة.....
18.....	ب-الخطاب في المعاجم العربية.....
18.....	2-الخطاب اصطلاحاً.....
19.....	أ-مفهوم الخطاب عند العرب.....
20.....	ب-مفهوم الخطاب عند الغربيين.....
23.....	3-تحليل الخطاب.....
23.....	أ-التحليل لغة.....
23.....	ب-التحليل اصطلاحاً.....
25.....	ثانياً:الخطاب الديني.....
25.....	أ-مفهومه.....
27.....	ب-أهمية الخطاب الديني الاسلامي.....
27.....	ج-آليات الخطاب الديني.....

28	د-أنواع الخطاب الديني الاسلامي
30	ثالثا: الخطاب الصوفي(الطريقي)
32	2-خصائصه
32	رابعا:نشأة الخطاب الصوفي وتطوره
35	1-تطور فعل الحب
36	2-تطور السكر
37	3-تطور الفناء
38	4-تطور معنى الحلول
40	5-طور التأليف وإرساء قواعد علم التصوف
42	6-تطور الطرق الصوفية
43	خامسا: البيان والعرفان والبرهان ديناميكية تفاعلية
44	خلاصة

القسم الأول: الخطاب الصوفي للطرق الصوفية في الجزائر وبلاد المغرب

	<u>الفصل الأول: حركية الخطاب السياسي وانعكاساته على أوضاع بلاد المغرب أثناء الوجود</u>
48	العثماني
50	توطئة:
50	أولا: الأحداث الخارجية وانعكاساتها على بلاد المغرب
50	1- الوهابية وانتقالها إلى بلاد المغرب

- أ-الدعوة الوهابية في المشرق 50
- ب-تعاليم الوهابية 52
- ج-من الدعوة إلى السياسة 54
- د-الارهاصات الأولى لانتقالها إلى بلاد المغرب 55
- هـ-رسالة محمد بن عبد الوهاب إلى أهل تونس 56
- 2-حملة نابليون على مصر 57
- 3-الدولة العثمانية 58
- ثانيا:الأوضاع الداخلية في بلاد المغرب قبيل وأثناء الوجود العثماني 59
- 1-تونس 59
- أ-عهد الدايات 60
- ب-عهد البايات المراديين 61
- ج-عهد أسرة الحسينيون(1705-1814)م 61
- د-الدولة الحسينية في عهد حمودة باشا(1756-1814)م 62
- 2-المغرب الأقصى والدور الصوفي 63
- أ-عشية ظهور الأسرة السعدية 63
- ب-المغرب في العهد السعدي 66
- ج-المغرب في عهد الأشراف العلويين 73
- 3-الجزائر 78

79	أ-عهد البيلرييات
79	ب-الباشوات
79	ج-عهد الآغوات
80	د-عهد الدايات
82	هـ-ظاهرة اغتيال الحكام
84	و-طبيعة الحكام وثقافتهم
86	ز-بوادر الصراع بين الانكشارية ورياس البحر
88	4- العلاقات السائدة بين دول بلاد المغرب
88	أ-العلاقات الجزائرية التونسية
89	ب-العلاقات الجزائرية المغربية
91	ثالثا:الخطاب السياسي التواصلي بين دول بلاد المغرب
91	1-الوطنية والمواطنة في الخطاب المغاربي
93	2-مبدأ التواصل أو القطيعة مع الغرب
97	3-العقل والأخلاق بين الدين والعلمانية
99	خلاصة الفصل
101	الفصل الثاني:مظاهر الخطاب الصوفي ببلاد المغرب
103	توطئة
104	أولا:الخطاب الطرقي بين الدين والعبادة والطريقة

104	1-التصوف غداة الوجود العثماني ببلاد المغرب
108	2-التأثيرات المختلفة التي عرفها التصوف أثناء انتشاره.....
108	أ-تأثيرات الطقوس البربرية على التصوف
108	ب- مكانة المرأة وأثرها على التصوف
110	ج- تأثيرات الطقوس الزنجية على التصوف
111	ثانيا:الطرق الصوفية ببلاد المغرب في العهد العثماني
111	1- تعريف الطريقة.....
112	2-انتشار الطرق الصوفية.....
114	3-العوامل المساعدة على انتشار الطرق الصوفية في العهد العثماني
115	أ- العامل السياسي.....
115	ب-العامل الاجتماعي.....
116	ج-العامل الاقتصادي.....
116	4-عناصر الطريق.....
116	أ-العهد
118	ب-الشيخ.....
119	ج-المريد
119	د-علاقة الشيخ بالمريد
120	5-الطرق الصوفية

120	أ-أوضاع الطرق الصوفية.....
130	ب-الخطاب الجهادي وإقرار الشرعية للشيخ.....
131	خلاصة الفصل.....
132	الفصل الثالث: الطرق الصوفية وماهية الخطاب الصوفي.....
134	توطئة.....
135	أولاً: الخطاب الروحي والسلطة ببلاد المغرب.....
144	ثانياً:الخطاب الصوفي للطرق الصوفية خلال الوجود العثماني.....
144	1- الخطاب الطريقي وحركة التواصل الاجتماعية.....
146	أ-الدور التربوي التعليمي.....
147	ب-الدور الاقتصادي.....
148	ج-الدور الاجتماعي.....
152	د-المكانة الاجتماعية للشيخ.....
153	2-الخطاب الصوفي وحركة التأليف.....
153	أ-العوامل المؤثرة على كتابات الطريقة.....
154	ب-تأثير المؤلفات المشرقية.....
154	ج- حركة التأليف والمؤلفين.....
157	ثالثاً:الخطاب الديني الاصلاحى.....
161	خلاصة الفصل.....

القسم الثاني: الحركية التواصلية في الخطاب الصوفي التيجاني

الفصل الأول: الطريقة التيجانية (الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية

التيجانية).....	163.....
توطئة.....	165
أولاً:تعريف الشيخ أحمد التيجاني.....	165
1-نسبه.....	165
2-مولده ونشأته.....	166
3-رحلاته.....	167
ثانياً:نشأت طريقته الصوفية.....	173
1-حصول أحمد التيجاني على الفتح الأكبر.....	173
أ- البذور الأولى للفتح الأكبر.....	173
ب- نشأة طريقة.....	175
ج- الطريقة التيجانية (الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التيجانية) .	176
2- أسس ومبادئ الطريقة التيجانية.....	177
أ- شروط الانضمام إلى الطريقة التيجانية.....	177
ب-مبادئ الطريقة التيجانية.....	180
3-خصائص الطريقة التيجانية.....	181
ثالثاً:نشر الطريقة التيجانية.....	183

183	1-نشاط الشيخ.....
184	أ-هجرته إلى فاس
185	ب-بناء الزاوية في فاس
188	ج-تحركات الشيخ.....
189	د-وفاة الشيخ
190	2-دور المقدمين
192	رابعا: التيجانية والسلطة(صراع هيمنة أم وجود).....
193	خلاصة الفصل.....
195	الفصل الثاني: مكونات الخطاب الصوفي في الطريقة التيجانية.....
197	توطئة.....
197	أولا: خصوصيات الطريقة.....
197	1-الخصوصية النسبية
198	2-الخصوصية السلوكية الصوفية.....
199	3-الخصوصية العرفانية.....
200	أ-الختم
201	ب-الكتم
201	ج-الفيض
202	ثانيا: الخطاب الاصلاحى في الطريقة التيجانية

205	1- الأمراض الروحية
205	أ-مرض الأقوال.....
206	ب-مرض الافعال.....
206	ج-أمراض الأحوال.....
207	2-المنهاج التربوي عند الشيخ أحمد التيجاني.....
207	أ-التربية بأذكار الطريقة.....
208	ب-التربية بالصلوات الخمس
209	ج-التربية بصلاة الفاتح وجوهر الكمال.....
210	ثالثا:الخطاب الصوفي في المؤلفات التيجانية.....
210	1-النشاط الثقافي والديني
210	أ-النشاط الثقافي
211	ب-التربية والتعليم.....
212	ج-أهم مؤلفات الطريقة التيجانية
222	2-النشاط الديني الدعوي.....
222	أ-الدعوة.....
223	ب-أحياء المناسبات الدينية.....
224	ج-الدعوة إلى التحلي بالأخلاق الكريمة.....
224	ثالثا: نشاط الطريقة التيجانية الاجتماعي

225	1-الاصلاح بين المتخاصمين
226	2-مساعدة الفقراء والمحتاجين
227	خلاصة الفصل
228	الفصل الثالث:الخطاب التيجاني(بين التأثير والتأثر)
230	توطئة
230	أولاً:أوراد الطريقة التيجانية
231	1- الأوراد اللازمة
231	أ-ورد الصباح وورد المساء
233	ب-ورد الوظيفة
235	ج-ذكر يوم الجمعة (الهيللة) :
236	2- الأوراد الاختيارية
237	ثانياً:أهم المسائل العقائدية المختلف فيها
237	1-مسألة وحدة الوجود
240	2-مسألة أسبقية النور الأحمدى على الخلائق جميعاً
242	3-مسألة رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة
246	4-مسألة ولاية أحمد التيجاني ومكانتها
250	5-حقيقة صلاة الفاتح وجوهر الكمال
254	ثالثاً: مواقف من الخطاب التيجاني

254	1-موقف الشيوخ والفقهاء(بين التأييد والإنكار).....
257	2- الوهابية والطريقة التيجانية
260	3-الرد التجانيين من خلال المؤلفات
261	خلاصة الفصل.....
263	خاتمة.....
268	الملاحق.....
305	قائمة المصادر والمراجع.....
320	الفهارس.....
321	فهرس الأعلام.....
333	فهرس الأماكن والمدن.....
339	فهرس الطرق الصوفية والطوائف والجماعات الدينية.....
343	فهرس القبائل والأجناس.....
345	فهرس الموضوعات.....